ISSN: 2231-1912

مجلة الدراسات العربية مجلة علمية أدبية ثقافية سنوية

العدد : ۱۹ دیسمبر: ۲۰۲۲

رئيس التحرير أ. د. صلاح الدين تاك

المحرر د. طارق أحمد آهنغر

هیئة التحریر أ. د. منظور أحمد خان أ.د. شاد حسین



قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير سري نغر، كشمير (الهند) ١٩٠٠٠٦

© جميع الحقوق محفوظة

اسم المجلّة:

مجلّة الدراسات العربية ISSN 2231-1912

رئيس التحرير:

أ. صلاح الدين تاك

الناشر:

قسم اللغة العربية، جامعة كشمير، سرى نغر (الهند)

الكتابة والتصميم:

د. طارق أحمد آهنغر

بدل الاشتراك:

في الهند: ٣٠٠ روبية هندية في الخارج: ١٥ دولارا

المراسلات:

توجّه المقالات والرسائل والاشتراكات إلى العنوان التالى:

رئيس قسم اللغة العربية، جامعة كشمير، سري نغر (الهند) - ١٩٠٠٠٦

الهاتف:

0194-2272330، 2272331، Ext. 2330 البريد الإلكتروني: hodarabic@kashmiruniversity.ac.in

جميع المقالات والبحوث المنشورة في هذا العدد تعبِّر عن آراء كتّابها ولا تعكس بالضرورة عن رأي المجلّة

من أهداف المجلّة:

- إتاحة الفرصة للباحثين ومدرستي
 اللغة العربية للتعبير عن آرائهم
 وأفكارهم.
- الطلاع الدارسين والباحثين على الثقافة العربية والمستجدات في العالم العربي.
- اكتشاف إمكانيات الاتصال والتفاعل بين معاهد اللغة العربية ومراكزها في الهند وخارجها.
- تزويد مدرسي اللغة العربية بالمعلومات الجديدة عن المناهج التعليمية والتدريبية.
- نشر العلوم والفنون العربية وتعميم
 اللغة في الهند.

محتويات العدد

٥	كلمة العدد		
	الدراسات اللغوية والإسلامية		
٧	دور المعاجم في تكوين الشخصية د. نعيم الحسن الأثري	٠١	
**	الميزات النحوية من خلال " المحكم والمخصص " لابن سيدة	٠٢	
**	الاندلسي د. أصغر علي بيك		
£ £	تدريس اللغة العربيّة في مدارس بنغال الغربيّة القوميّة وتحدِّياتها وأهمّ	۳.	
2 2	المقترحات لحلّها عبد المتين		
٥٦	مسيرة الإسلام إلى مليبار وانعكاساته د. حسينة بيغم تتارشيري	. ٤	
	الثقافة والأدب		
	الصّراع بين المرأة والرجل في رواية "امرأة عند نقطة الصفر"	٠١	
٦٨	لنوال السعداوي أختر الإسلام واني		
۸۸	فضاء الصحراء: قصة الرمال الفاضلة في السيرة السردية	٠٢	
	لإبراهيم الكويي الأستاذ نعار محمد		
91	الصحراء والأدب العربيالدكتور بلال أحمد شاه	٠٣	
	تعريف مؤجز بكتب المقالات للشيخ علي الطنطاوي	٤ .	
171	الدكتور غلزار أحمد بال		

٥.	إسهامات نجيبة الرفاعي الإماراتية في الأدب العربي الحديث	١٣٦
	محمد نسار–ب وعبد الله نجيب ـ يم	111
	القصة والمسرحية	
٠,١	رواية الأجيال وخصائصها الفنية عبد المنعم بري	1 £ 7
٠٢	المأساة الإنسانية في ضوء قصص الطيب صالح القصيرة	100
	بشارت حسين	
٠٣	مسرحيات عبد القادر علولة من منظور الوعي الاشتراكي: دراسة نقدية	177
	د. أرشد محمود	, , ,
	الشعر والنقد	
٠,١	الأدب عند الرومنطيقيين العرب د. منصور أمين. ك	1 / 9

كلمة العدد

الحمد لله الذي وفقنا في إعداد العدد التاسع عشر من "مجلة الدراسات العربية "وتقديمه إلى القراء الكرام بكل بهجة وسرور، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد! فإنّ هذه المجلة مجلة علمية أدبية ثقافية سنوية تتضمن المعايير العلمية الرصينة لمختلف فروع المعرفة الأدبية والفنية. ونحن نرجو أن نبني بهذه المجلة فضاء للحوار المعرفي والأدبي مفتوحاً للباحثين من مختلف الكليات والجامعات من داخل البلاد وخارجها الذين لديهم أعمال بحثية أصيلة معتقدين بأنّ البحث العلمي والأدبي هو سبيل نهضة الأمم في شتى المجالات ودوره مهم وأساسي لمواكبة التقدم والرقي في تنمية القدرات البشرية، كما هو محور أساسي في حفز الهمم والإبداع والابتكار. ولذا تم إصدار العدد الجديد لهذه المجلة الذي أسهم فيه الأساتذة الأفاضل والباحثون المجتهدون من جميع أنحاء الهند حيث قاموا بإسهام مقالات علمية حول الموضوعات الأدبية والعلمية في مجالات مختلفة.

قد قسمنا هذا العدد في أربع حلقات: أما الحلقة الأولى فتحتوي على البحوث اللغوية والتاريخية التي تعالج ميزات المعاجم العربية ودورها المهم في تدريس اللغة العربية والبحوث العلمية، كما تسلط الأضواء على الميزات النحوية في "المحكم والمخصص" لابن سيدة الأندلسي. وهناك مقالة تعالج تحديات تدريس اللغة في الهند وتعرض أهم اقتراحات لحلّها، وأخرى تعرض تاريخ مسيرة الإسلام إلى جنوب الهند.

وتحتوي الحلقة الثانية " الثقافة والأدب" معالجة القضايا الاجتماعية والأدبية والثقافية. وهناك مقالتان تعرضان رؤية الأديبة الشهيرة: نوال السعداوي تجاه تحرير المرأة ومكانتها في المجتمع العربي، ومقالتان تسلط الأضواء على الصحراء وانعكاسها في الأدب العربي قديما وحديثا وخاصة نظرية إبراهيم الكوني في هذا الصدد. وهناك مقالتان تلقيان الضوء على مساهمة الشيخ الطنطاوي ونجيبة الرفاعي الأديبة

الإماراتية في الأدب العربي والثقافة العربية.

وأما الحلقة الثالثة في "القصة والمسرحية" وفيها ثلاث مقالات تلقي الأضواء على ميزات القصة والمسرحية. المقالة الأولى تقدم مفهوم "رواية الأجيال " وميزاتها الفنية. والمقالة الثانية تعكس المعاناة الاجتماعية الإنسانية في قصص الطيب الصالح القصيرة. والمقالة الثالثة تقدم دراسة نقدية لمسرحيات عبد القادر علولة من منظور الوعي الاشتراكي. وأما الحلقة الأخيرة في " الشعر والنقد" ففيها مقالة تعرض خصائص الرومنطيقيين العرب وميزاتهم في الخيال والأسلوب والموضوع.

ويجدر بنا أن نذكر أن قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير يلعب دورا فعالا حيويا في نشر اللغة العربية وآدابها في ولاية جامو وكشمير وخارجها. إنه ظل يصدر مجلته هذه منذ عام ٢٠٠٢م إلى يومنا هذا بكل اهتمام والتزام مؤمنا بأنها ستساعد في ترويج اللغة العربية في الهند وأصبح هذا هدفا رئيسيا لها. ونود أن تستمر هذه النشاطات بفضل الله تعالى وسبحانه، لذا نرحب بالاقتراحات والإرشادات من الدوائر الأدبية كما نرحب باقتراحاتهم المخلصة التي ستهدينا إلى تحسين هذه المجلة.

وفي الختام أجد لزاما عليّ أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لهيئة إدارة المجلة وهيئة مشاورتها ولكل من أسهم في إعداد هذه المجلة وبذل قصارى جهوده لذلك، ولا سيما لمحرر المجلة الدكتور طارق أحمد آهنغر على جهوده الجبارة في سبيل إعداد هذه المجلة وتيسير عمله. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

رئيس التحرير

دور المعاجم في تكوين الشخصية

د. نعيم الحسن الأثري ا

الملخص

من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن لكل أمة لغة تتحدث بها، وتترجم بكلماتها ومفرداتها ما يختلج بنفوس أبنائها. وحاجة كل أمة للحفاظ على لغتها ومفرداتها حاجة كبيرة. لا يستهان بها، فهي وسيلة الفكر والسياسة والاجتماع.

فإن اللغة العربية هي من أهم اللغات العالمية الحية وأعرقها منذ القدم باعتبارها أعظم اللغات البشرية كفاءة، وأكثرها مرونة، وأقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول، وذلك بناء على خواصها اللغوية وأصولها الإيقاعية وخصب مناهجها في الاشتقاق وقياسية أوزانها، وشدة حرصها على جمال الأسلوب وأنواع منوعة من البلاغة والبيان. وهذه المقالة تلقي الضوء على دور المعجم في تكوين الشخصية كما تبين الخصائص المعاجم والقواميس العربية الشهيرة.

المكلمات المفتاحية: القواميس، المعاجم، المعاجم الإليكترونية

ولغتنا العربية لغة الضاد تمتاز بالدقة والقوة والجمال والوضوح والقدرة على التعبير والتطور. ولها أسلوب يحفز أفئدة العرب في مشارق الأرض ومغاربها. وهي غنية بمفرداتها ومعانها المتعددة، وهي لغة الشعر والنثر والهجاء والمدح والغزل. وشرح الكلمات الصعبة والوصول إلى الغرض المقصود من الكلمة المنطوقة أو المكتوبة. ولذلك نحن نحتاج إلى المعاجم والقواميس.

ومن المعلوم أن المعجم هو كتاب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب عادة ترتيبا هجائيا، مع شرح معانها وتوفير معلومات وافية ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك

١ أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة دلهي، دلهي الهند.

الشروح والمعلومات باللغة ذاتها أم بلغة أخرى. ونستخدم قاموسا أو معجما لحل المشكلات اللغوية. وله وظائف عديدة، منها المحافظة على سلامة اللغة، وذكر المعاني مع شرحها وتوضيحها وتفسيرها، والكشف عن معاني الكلمات والألفاظ، والتأصيل الاشتقاقي، وضبط الكلمات، والتعريف بالمصطلحات والمواضع والبلدان، وذكر أسماء الأشياء، وتحديد الرسم، والمعلومات الصرفية والنحوية، ومعرفة التعدي واللزوم، ومعرفة المصادر والجموع والتذكير والتأنيث والمشتقات غير القياسية، ومعلومات الاستعمال، ومعرفة كون اللفظة عامية أو فصيحة، ومعرفة مرادفات وأضداد الكلمات وتحديد استعمالها، والمعلومات الموسوعية، وبيان النطق، والتنبيه برموز معينة على الفصيح والمعرب والدخيل والمولد من الألفاظ، وذكر الشواهد من القرآن والحديث النبوي والشعر العربي الفصيح لتوضيح المعني.

والمُعجَم «كل قائمة تجمع كلمات في لغة ما، على نسق منطقي ما، وتهدف إلى ربط كل كلمة منها بمعناها، وإيضاح علاقتها بمدلولها»، (ج. معجمات، معاجم) اسمه مشتق من فعل (أعجَمَ)، أي أزال العُجمة. قال ابن جني: (أعجمتُ الكتابَ: أزلتُ استعجامه). والمُعْجَم كتاب يشتمل على عدد كبير من مفردات اللغة مرتبة ترتيبا معرفة بطريقة نطقها وشرحها وتفسير معانها.

ومن الأخطاء الشائعة عند بعض الناس أنهم يستعملون كلمة "قاموس" مرادفة لكلمة معجم، ومعنى القاموس في اللغة هو البحر، لا المعجم. وسبب هذه التسمية جاء من اسم أشهر معجم عربي، وهو القاموس المحيط لمؤلفه الفيروز آبادي. فصار بعض الناس لشدة شهرة القاموس المحيط يُسمُّون كل معجم قاموساً. وهذا خطأ. ولفظ قاموس في الوقت الحاضر من الشائع أن يطلق أكثر على الكتب التي فيها ترجمة كلمات لغة إلى لغة أخرى. وهذا خطأ أيضاً. والصواب هو استعمال كلمة معجم لكل أنواع المعاجم، وإبقاء كلمة القاموس اسم علم لمعجم محدد، هو الذي ألفه الفيروز آبادي حصراً.

بدأت فكرة المعجم عند العرب بعد نزول القرآن الكريم، ودخول غير العرب

في الإسلام واستعصاء بعض مفردات القرآن على الكثير منهم. مما استدعى شرح غربب القرآن والحديث ولغة العرب عموما.

ولقد أدرك العلماء العرب السابقين ذلك وعرفوا أهمية جمع شتات اللغة واحتوائها وحمايتها من الضياع والاندثار.. فعملوا على جمعها في كتب ومجلدات وأسموها المعاجم اللغوبة.

فيرجع إليها الإنسان ليتزود بما يحتاج إليه من ألفاظ يعبر عنها وبها عما تخطر له من أفكار وتبدو له من معان ويختار منها ما يتلاءم مع مشاعره وأخيلته من صيغ ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات وبذلك يحيي لغته وينعشها ويبقها ثابتة حية مع الزمن باستخدامه المستمر السليم لها نطقاً وكتابة وبما يبدعه وينتجه فيها فكره كما أنه يتخطى حاجز الزمن ويعيش مع الأجيال الماضية فيستفيد من خبراتها وما أبدعته قرائح أهلها وأنتجته عقولهم.

تمثل المعجمات العربية مصدراً هاماً للباحث في الدراسات اللغوية والأدبية، ولا سيما بعد أن ظهرت المعجمات الكبرى، واتسع منهجاً ليشمل كثيراً من شؤون الحياة العربية لغوياً وأدبياً وفكرياً وتاريخياً وما إلى ذلك بالإضافة إلى الهدف الأساسي وهو جمع ألفاظ اللغة وتحديد صيغها ومعانها وما يَعْرِض لها أحياناً من اختلاف بين لهجات القبائل، أو اختلاف بين آراء أهل اللغة، أو ما أشبه ذلك.

يحتل المعجم مكانةً ساميةً عند جميع الأمم التي تحافظ على لغتها وتراثها، فهو ديوان اللغة، وعنه يأخذون ألفاظها ويكشفون غوامضها، ولذا لا يكاد فرد من أفراد الأمّة ممّن لديه قسطٌ من العلم يستغني عن الرجوع إلى المعجم.

فيرجع إليها الإنسان ليتزود بما يحتاج إليه من ألفاظ يعبر عنها وبها عما تخطر له من أفكار وتبدو له من معان ويختار منها ما يتلاءم مع مشاعره وأخيلته من صيغ ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات وبذلك يحيي لغته وينعشها ويبقيها ثابتة حية مع الزمن باستخدامه المستمر السليم لها نطقاً وكتابة وبما يبدعه وينتجه فيها فكره كما أنه يتخطى حاجز الزمن ويعيش مع الأجيال الماضية فيستفيد من خبراتها

وما أبدعته قرائح أهلها وأنتجته عقولهم.

وقد اعتنى اللغويون العرب بالمعجم من حيث المحتوى والهيكل منذ القرن الثاني الهجري، فازدهرت الصناعة المعجمية العربية وتعددت مدارسها.

أما عن فوائد استخدام المعاجم وحاجتنا إليها فهي كثيرة:

- ١. تعتبر المزود الأكبر للثروة اللغوية لتلك المفردات والكلمات التي نقولها أو نسمعها.
 - ٢. تعد المعاجم مرجعا نحويا في تصريف الكلمة ومعرفة اشتقاقاتها..
- ٣. يزيد من الملكة الأدبية لدى الباحث بوجود النصوص الشرعية والشواهد
 الأدبية.
 - ٤. وتعد كذلك مرجعا جغرافيا لبعض الأماكن، ومرجعا للوقائع التاريخية..
 - ٥. تعتبر مرجعا للمصادر السماعية التي لا قاعدة لها..
 - ٦. يعدُ مرجعا في التصحيح والتدقيق الإملائي..
- ٧. تعتبر كذلك مرجعا نحويا في ضبط المفردات بالشكل والحركات.. والتفريق
 بن الكلمات
 - ٨. التي لها نفس الأحرف والترتيب..

هذا قليل من كثير بالنسبة لأهمية المعاجم.

وكانت أولى الرسائل المعجمية في القرآن الكريم تنتسب لعبد الله بن العباس (ت. ٦٨ هـ/١٧٨م)، أجاب فيها على أسئلة نافع بن الأزرق (ت. ٦٥هـ/١٨٤م) والمسماة مسائل نافع بن الأزرق في القرآن.

ثم توالت الرسائل في هذا المجال ومنها:

- غريب القرآن لأبي سعيد أبان بن تغلب المعروف بالجريري (ت. ١٤١ هـ/٧٥٨م).
- تفسير غرب القرآن لأبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك (ت. ١٧٩

المعاجم العربية

ظهرت المعاجم العربية بمعناها العام والشامل لمفردات اللغة العربية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وفيما يلي بعض المعاجم العربية وطريقة التبويب والتصنيف التي اتبعها مؤلف كل معجم:

المعجم	المؤلف	ترتيب المفردات
العين	الخليل بن أحمد	طريقة المخارج
	الفراهيدي	
البارع في اللغة	أبو علي القالي	طريقة المخارج
تهذيب اللغة	أبو منصور الأزهري	طريقة المخارج
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية	الطريقة الألفبائية بحسب
		الأوائل
تاج اللغة وصحاح	أبو العباس الجوهري	الطريقة الألفبائية بحسب
العربية المعروف		الأواخر
بالصحاح		

الطريقة الألفبائية بحسب	الزمخشري	أساس البلاغة
الأوائل		
الطريقة الألفبائية بحسب	ابن منظور	لسان العرب
الأواخر		
الطريقة الألفبائية بحسب	الفيروز آبادي	القاموس المحيط
الأواخر		

القواميس المتداولة في هذه الأيام:

- ١. المنجد عربي عربي
- ٢. المنجد عربي أردو أعده نخبة من العلماء المتخرجين من دار العلوم بديوبند وطبع من مطبع إشاعة الإسلام بلاهور
 - ٣. الفرائد الدرية
 - ٤. المعجم الوسيط من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة
 - ٥. رائد الطلاب جبران مسعود
 - ٦. المورد قاموس عربي إنكليزي للدكتور روحي البعلبكي
 - ٧. المورد الوسيط عربي إنكليزي للدكتور روحي البعلبكي
 - ٨. المورد قاموس إنكليزي عربي لمنير البعلبكي
 - ٩. المورد الأكبر
 - ARABIC ENGLISH DICTIONARY by J.M. Cowan . \.
 - ١١. مصباح اللغات للشيخ عبد الحفيظ البلياوي

- ١٢. المعجم الأردى والعربي للشيخ خليل الرحمن المظاهري
- ١٣. القاموس الجديد من الأردية إلى العربية وبالعكس للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي
 - ١٤. القاموس الوحيد للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي
 - ١٥. القاموس الاصطلاحي للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي

أنواع المعاجم

تتنوع المعاجم بتنوع أهدافها ومناهجها ومن حيث مادتها بحسب العموم والخصوص... إلخ. وفيما يلي ذكر لأهم أنواع المعاجم:

المعاجم بحسب الهدف

وتعني بذلك تصنيف المعاجم بحسب ما يحتاجه الدارس: فهناك من يبحث عن معنى لفظ معين أو معرفة لفظ مناسب لمعنى ما يريده وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع هي:

- معاجم الألفاظ مثل معجم الصحاح والقاموس المحيط.
 - معاجم المعانى مثل معجم المخصص لابن سيده.
- معاجم الأبنية مثل معجم ديوان الأدب لأبي إبراهيم الفارابي.

المعاجم بحسب المنهج

تختلف المعاجم باختلاف ترتيب مفرداتها وهناك أكثر من طريقة لترتيب المفردات، وللمعاجم العربية أربعة طرق رئيسية في ترتيب المفردات وهي:

- المعاجم الصوتية التقلبية حيث يتم ترتيب المفردات بحسب مخارج الأصوات، فالمفردات التي تحتوي على أعمق صوت تذكر أولاً، ثم الأقل عمقاً وهكذا ومن الأمثلة عليها معجم العين للخليل بن أحمد.
- المعاجم الألفبائية التقليدية مثل سابقاتها ولكن لكل صوت يتم ترتيب حروفه هجائياً وليس بالضرورة صوتياً فإذا تشابه حرفان في الصوت يتم

- ترتيبهما هجائياً، ومن الأمثلة على هذا النوع من المعاجم معجم الجمهرة في علم اللغة لابن دربد
- المعاجم الألفبائية بحسب الأواخر وتسمى معاجم القافية ويتم ترتيب المفردة المفردات بها حسب الترتيب الهجائي ولكن ابتداء من الحرف الأخير للمفردة فالكلمات التي تنتهي بحرف الهمزة يتم الابتداء بها. ومن الأمثلة على هذا النوع معجم لسان العرب.
- المعاجم الألفبائية بحسب الأوائل وهي المعاجم التي ترتب مفرداتها هجائيا وبحسب أول حرف من الكلمة ويتم وضع الكلمات التي تبدأ بنفس الحرف في باب يحمل نفس الحرف ومن أشهر المعاجم التي تتبع هذه الطريقة معجم أساس البلاغة للزمخشري.

المعاجم المتخصصة

وهي المعاجم التي توجه اهتمامها إلى فئة معينة من الباحثين، فتقتصر على تسجيل المفردات التي تفي بحاجاتهم الخاصة مثل المعاجم الطبية والعلمية والهندسية والجغرافية والأعلام. ومن أهم المعاجم المتخصصة التي صدرت مؤخراً عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة معجم مصطلحات الفنون الجميلة وهو معجم موسوعي، يشتمل على ما يزيد عن ألفي مصطلح، تغطي شتى مجالات الفنون الجميلة والتشكيلية والبصرية، قام على إعداده نخبة من اللغويين والمتخصصين، من بينهم: فاروق شوشة - صلاح فضل - ياسر منجي - محمود الربيعي - حسنين ربيع - حماسة عبد اللطيف - فتوح أحمد

المعاجم بحسب وحدة اللغة وتعددها

وهذه المعاجم وبحسب تسميتها تنقسم إلى قسمين وذلك نظراً لأهمية تواجدها بين أيدي الباحثين وهي:

- معاجم أحادية اللغة وهي المعاجم التي تقتصر في مهمتها على الانشغال
 بألفاظ لغة واحدة معينة، ومعاني هذه الألفاظ، كما هو الحال في جميع
 المعاجم العربية القديمة منها والحديثة.
- معاجم متعددة اللغة وهي المعاجم التي تشتمل على مفردات لغة معينة وتقوم بترتيبها بحسب المنهج المتبع في هذه اللفة ثم يتم ذكر ما يقابلها في لغة أخرى وتسمى ثنائية اللغة أو في لغتين وتسمى ثلاثية اللغة ، كما هو الحال في القواميس الحديثة، ومن أشهر الأمثلة على المعاجم متعددة اللغة كتاب المورد.

إليكم نبذة مختصرة حول المعاجم التي يمكنكم الرجوع إليها باستخدام الباحث:

لسان العرب

لسان العرب هو أشمل معاجم اللغة العربية وأكبرها، قام ابن منظور بجمع مادته من خمسة مصادر وهي:

- تهذیب اللغة للأزهري
 - المحكم لابن سيده
 - الصحاح للجوهري
 - ٥ حواشي ابن بري
- النهاية في غرب الحديث لعز الدين ابن الأثير.

أراد ابن منظور بكتابه أن يجمع بين صفتين: الاستقصاء والترتيب؛ إذ كانت المعاجم السابقة -كما يقول هو- تعنى بأحد هذين الأمرين دون الآخر، وأخذ على

نفسه أن يأخذ ما في مصادره الخمسة

بنصه دون خروج عليه، واعتبر هذا جهده الوحيد في الكتاب، وتبرأ من تبعة أية أخطاء محتملة بأن ما قد يقع في الكتاب من خطأ هو من الأصول، وإن تصرف قليلا في النهاية فغير شيئا من ترتيبها.

مقاييس اللغة

معجم لغوي عظيم جمعه مؤلفه أحمد ابن فارس معتمدا على خمسة كتب عظيمة هي:

- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدى
 - غريب الحديث لأبي عبيد
 - مصنف الغريب لأبي عبيد
 - كتاب المنطق لابن السكيت
 - الجمهرة لابن دريد

وما كان من غيرها نص عليه عند النقل وقد رتبه على حروف الهجاء في الحرف الأول من المادة فبدأ بالهمزة، ويجعل الحرف الثاني الذي يلي الأول. فبدأ في كتاب المرة برائب) ثم (أت)، وفي كتاب الفاء برفق) ثم (فك) وهلم جرا.

الصّحّاح في اللغة

سمى الجوهري كتابه بالصحاح لالتزامه على الصحيح من الكلمات فيه. وهو من أهم الكتب التي ألفت في اللغة.

رتب الجوهري مادة معجمه على النظام الهجائي. وقد اعتبر الجوهري في هذا الترتيب آخر حروف المادة لا أولها فإذا كانت الألف المهموزة هي أول حروف الهجاء فإنه يبدأ معجمه بباب يجمع فيه كل المفردات التي تنتهي بألف مهموزة. ثم يقسمه وفقاً لعدد حروف الهجاء إلى ثمانية وعشرين فصلاً.

أفرد الجوهري لكل حرف من حروف الهجاء باباً ولكنه جمع الواو والياء في باب واحد وقدم الهاء على الواو و اختتم معجمه بالألف اللينة.

يتميز المعجم بسهولة البحث فيه وعناية المؤلف بالمسائل النحوية والصرفية إذا عرضت له.. كما يتميز بدقة نظامه وبساطته في نفس الوقت.

القاموس المحيط

القاموس المحيط" للفيروز آبادي هو المعجم الذي طار صيته في كل مكان، وشاع ذكره على كل لسان، حتى كادت كلمة "القاموس" تحل محل "المعجم" إذ حسب كثير من الناس أنهما لفظان مترادفان، ذلك لكثرة تداوله، وسعة انتشاره، فقد طبّقت شهرته الآفاق، وهو صبير بذلك، لأنه جمع من المزايا ما بوّأه منزلة الإمامة بين المعاجم، فأصبح المعوّل عليه، والمرجوع إليه.

ومن خصائصه ومزاياه

- الغة، وضم فيها ما تبعثر من نوادرها، كما استقاها من "المحكم" اللغة، وضم فيها ما تبعثر من نوادرها، كما استقاها من "المحكم" و"العباب" مع زيادات أخرى من معاجم مختلفة يبلغ مجموعها ألفي مصنف من الكتب الفاخرة، فجاء في ستين ألف مادة، وقد أشار باختيار اسم معجمه هذا إلى أنه محيط بلغة العرب إحاطة البحر للمعمور من الأرض.
- ٢. حسن اختصاره، وتمام إيجازه، فخرج من هذا الحجم اللطيف، مع أنه خلاصة ستين سفراً ضخماً هي مصنفه المحيط المسمى "اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب" مع زيادات ليست فيهما. وقد ساعد هذا الإيجاز على الانتظام في ترتيب صيغ المادة الواحدة فجاءت منتظمة مرتبة، يفصل معاني كل صيغة عن زميلتها في الاشتقاق، مع تقديم الصيغ المجردة عن المزيدة، وتأخير الأعلام في الغالب.
 - ٣. طريقته الفدّة، ومنهجه المحكم في ضبط الألفاظ.

- إيراده أسماء الأعلام والبلدان والبقاع وضبطها بالموازين الدقيقة السابقة،
 وبذلك يعد معجماً للبلدان، وموضحاً للمشتبه من الأعلام، يضاهي في ذلك
 كتب المشتبه في أسماء الرجال.
- ٥. كأسماء السيوف والأفراس والوحوش والأطيار والأيام والغزوات، فكأنه
 أراد أن يجعل من معجمه دائرة معارف، تحفل بأنواع العلوم واللطائف.

العباب الزاخر

يعتبر الكتاب لصاحبه الحسن بن محمد الصغاني من نوادر معاجم اللغة العربية المؤلفة في القرن السابع الهجري. يقع العباب في ثمانية وعشرين جزءاً على عدد حروف اللغة. إلا أنها تتفاوت في عدد أوراقها، لتفاوت عدد مفردات كل باب. ويمتاز الصغاني بتحقيق مفرداته، وتوثيق مصادرها، وتمييز ما في معاجم اللغة من الحديث: ما كان منه منسوباً للنبي أو للصحابي، أو للتابعي، غير مقلد أحداً من أصحاب التصانيف، ولكن مراجعاً دواوينهم، معتمداً أصح الروايات، مختاراً أقوال المتقنين الثقات، ذاكراً أسامي خيل العرب وسيوفها، وبقاعها وأصقاعها، وبرقها وداراتها، وفرسانها وشعرائها، آتياً بالأشعار على الصحة، غير مختلة، ولا مغيرة ولا مداخلة.

ولعلماء الهند إسهامات بارزة في تطوير اللغة العربية ومعاجمها والشهير منها العباب الزاخر لصاحبه الصنعاني ومعجم المصنفين للشيخ محمود حسن التونكي ويقع في ٢٠٠٠٠ صفحة وذكر فيه أحوال أربعين ألفا من المصنفين، البلغة في أصول اللغة للنواب صديق حسن خان، والقاموس المسمى ب"مصباح اللغات" من العربية إلى الأردية لصاحبه الجليل الشيخ عبد الحفيظ البلياوي الذي أكمل الدراسة في دار العلوم بديوبند وتخرج على علمائها البارعين، والكتاب بنفسه دليل واضح على مذاق المؤلف الأدبي وتشربه لروح الأدب ونال قبولا عاما لدى الطلبة والعلماء على السواء. ومن علماء ديوبند القاضي زين العابدين الميرتي الذي قدم خدمات حول كلمات القرآن فرتب معجما باسم قاموس القرآن، وترجم فيها الألفاظ القرآنية ترجمة صحيحة، وشرحها شرحا وافيا نحوا وصرفا وعلق على الكلمات الصعبة باسم آخر لغات القرآن

كما بذل جهودا قصوى في جمع كلمات اللغة العربية التي سميت ب "بيان اللسان". وسعى المؤلف في إيراد التعبيرات الحديثة والألفاظ الجديدة بالعربية وجمع الكلمات المستخدمة في الصحافة في العصر الحاضر.

وألف الشيخ خليل الرحمن العثماني المظاهري "المعجم الأردي والعربي" وسد ثغرا كبيرا وملأ خللا عظيما. قال عنه البروفيسور زبير أحمد الفاروقي:

"هذا قاموس أردي عربي للمعجم المتوسط جاء فيه شرح عشرين ألف كلمة مستعملة في المنهج النظامي، وفي الكتب الدراسية للجامعات، والمؤلفات الجديدة والقديمة والصحف والمجلات، ولاحظ فيها المؤلف الأسلوب الجديد، ورتبها وفق القواميس العصرية، واكتفى بالمعاني المروجة والمعروفة للألفاظ التي تختلف معنى، وإن بين معاني في مواضع غير معروفة ومستعملة في القواميس العصرية".

ومن ينكر من أعمال أدبية ولغوية للغوي الشهير وحيد الزمان الكيرانوي الذي كان وحيد الزمان في عصره وانفرد لعلو كعبه في دقة النظر وأسلوبه البديع في الأدب واللغة، من مؤلفاته الشهيرة "القاموس الجديد" (من الأردية إلى العربية وبالعكس) والقاموس الاصطلاحي (العربية إلى الأردية وبالعكس) و"القاموس الوحيد" فجميع هذه المعاجم من المعاجم الهامة الأكثر تناولا لا في المدارس الإسلامية فحسب بل يستخدمها طلبة الجامعات المعاصرة ويستفيدون منها. يحمل الجميع أسلوبا جديدا وطريقة بديعة في تناول الكلمات واستخدام اللغة العربية ويتميز بأسلوبه في الأدب والإنشاء وطريقة التعبير بالإضافة إلى الاصطلاحات والتعبيرات الاصطناعية والطبيعية، والعلمية والطبية والسياسية والصحفية. وسهّل على الطلبة والأساتذة والدارسين في المدارس والجامعات والذين يخوضون ميدان الترجمة والإنشاء تسهيلات عديدة، ولا شك أن هذه القواميس إضافة ضخمة في تاريخ الهند.

١. البروفيسور زبير أحمد الفاروقي: ثقافة الهند ص ١٦٩، ج ٣٨ عدد١، ١٩٨٧م

ويقول الشيخ الكيرانوي عن القاموس الاصطلاحي:

"نلت تشجيعا بالغا لمزيد من القيام بالخدمة في سبيل اللغة العربية عندما نال المعجمان "القاموس الجديد" بجزئية من الأردية إلى العربية وبالعكس القبول والإعجاب البالغين في الأوساط العلمية التحقيقية، فخطر ببالي أن أعد معجما تكثر فيه المصطلحات الجديدة، وأرتبه وفق الحروف الهجائية ليستفيد منه الطلاب على اختلاف مستواهم استفادة متكاملة، فجاء إعداد هذا القاموس بعنوان "القاموس الاصطلاحي" ترجمت فيه عشرين ألف كلمة ومصطلح إلى الأردية أو منها ترجمة تطبيقية واصطلاحية تساعد في حل العبارة، وتأخذ بيد الباحث والقارئ في فهمهما فهما سليما لدى المطالعة، كما لم أراع ظاهر الكلمة في ترجمتها في بعض المواضع، ونقلتها معاني تنطبق المقام انطباقا صحيحا بالرغم من تزاحم المعاني لها"\.

القاموس الوحيد

القاموس الوحيد من المعاجم المتداولة والمقبولة في الأوساط العلمية ويستفيد منه الطلبة والباحثون، يقع في جزئين وفي ألفي صفحة. هو آخر مؤلفات الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي وهو أشمل وأحدث قاموس وضع في اللغتين: العربية والأردية، ويسع جميع الألفاظ التي تستخدم في اللغة العربية المعاصرة بجانب الإحاطة بمعظم المفردات المستعملة في كتب الفقه، والحديث والتفسير والقرآن الكريم وفي الكتب التي ضمن المقررات الدراسية في المدارس والجامعات الأهلية في شبه القارة الهندية.

وقد اتخذ الشيخ الكيرانوي لقاموسه الأساس والعمدة "المعجم الوسيط" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٠م، وشارك في أعداده إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزبات وغيرهما من الأعلام النبلاء. وأضاف إليه كلمات منتقاة

١. الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي: مقدمة القاموس الاصطلاحي ص ٤-٥

من عديد من المعاجم والقواميس الموثوق بها لدى أهل العلم والفضل. وقد كان غرضه من وراء تأليف هذا القاموس أن يزوّد طلاب اللغة العربية الناطقين بالأردية في شبه القارة الهندية بقاموس يغنيهم عن الطواف على كثير من كتب المعاجم التي قد لا يجدونها في ديار العجمة هذه إلا بصعوبة، ولاسيما لأنه رأى حاجتهم الملحة الشديدة إلى قاموس عربي أردي يضم قديم الكلمات وحديثها، ولا يقدم ترجمة أردية عادية للكلمات العربية فحسب بل يقدم مقابلا دقيقا لكل كلمة في العربية ويتجسم مع الذوق اللغوي الأردى.

الإرشادات العامة للمعجمات

معجم "المورد الوسيط: قاموس عربي – إنكليزي" الدكتور روحي البعلبكي إن الميزات هذا المعجم كما ذكره صاحب المعجم في إرشادات عامة هي:

- العجم مرتب ترتيبا ألفبائيا نطقيا وفق الحروف الأولى للكلمات، دون الاعتداد بجَذْر الكلمة أو الأصل المجرد الذي اشتقت منه. فكلمة "استعمل" ترد في باب الألف، وكلمة "تعامل" في باب التاء، و"عامل" في باب العين، و"مستعمل" و"معاملة" في باب الميم.
- ٢. إن اللغة العربية المعتمدة هنا هي اللغة الفصحى المعاصرة والكلاسيكية مع إسقاط الكلمات القديمة المهجورة وإغفال المفردات العامية والألفاظ المحلية.
- "أسقطت "أل التعريف" من الكلمة في ترتيب المواد إلا إذا كانت لازمة. غير أن الكلمة التي يتغير رسمها (أي طريقة كتابتها) عند دخول "أل التعريف" عليها، قد أُثْبِعَتْ بطريقة رسمها مع "أل التعريف" ضمن قوسين. مثلا: تعال (التعالى) قاض (القاضي) مستعص (المستعصى) واع (الواعى)
- ٤. ترد الكلمة بصيغة المفرد لا الجمع. تستثنى من ذلك الكلمات التي تغلب على استعمالها صيغة الجمع. مثلا "أنقاض" تجدها هكذا بصيغة الجمع في باب الألف، وتجد أمام مفردها "نُقْض" في باب النون إحالة إلى "أنقاض" كما يلي: نُقضٌ (ج أنقاض ونقوض) راجع أنقاض.

- ه. ترد الكلمة بصيغة المذكر لا المؤنث. تستثنى من ذلك الكلمات التي تتخذ
 دلالة خاصة في صيغة المؤنث.
 - ٦. يرد الفعل بصيغة الماضي لا المضارع.
- ٧. عند تماثل الحروف بين أكثر من كلمة، تُرتب الكلمات حسب توالي الحركات:
 يعنى الفتحة أولا، تلها الضمة، فالكسرة، فالسكون.
- ٨. الشدة (دّ) لا اعتبار لها في ترتيب المواد فالحروف المشدد يعتبر حرفا واحدا.
 - ٩. الألف الممدودة (آ) تعتبر ألفا عادية ولا تميز عنها في الترتيب.
 - ١٠. الألف المقصورة (ي) تعتبر مساوية للألف العادية.
- 11. الهمزة (ء) تعتبر ألفا حيثما جاءت وكيفما كتبت (أي مهما كان كرسيها) فلا تمييز بين الهمزة والألف اللينة العادية سواء أُكُتِبَتُ الهمزة على الألف أم الواو أو الياء أم كانت مستقلة.
 - ١٢. التاء المربوطة (ة، ية) تساوي التاء المبسوطة (ت، ـت).
- ١٣. عندما يكون للكلمة العربية أكثر من معنى واحد، فإنها تقسم إلى فروع يلي كلّا منها تعريف أو شرح أو دليل يميز بعضها عن البعض الآخر. وتعاد كتابة الكلمة الفرعية بدل الاكتفاء بوضع الشَّرطَة المُنْحَنِية _-) مكانها لأن كل كلمة تُشكّلُ تشكيلا كاملا.
- 14. تَفصِل بين الكلمات الإنكليزية المترادفة فاصلة (،) أما الشَّولَةُ المنقوطة (-) فتفصل بين الكلمات الإنكليزية ذات الدلالة المختلفة اختلافا يسيرا أو بين ظلال المعانى المتقاربة ولكن دون أن دون مترادفة.
- 10. تُستعملُ الفاصلة (،) في القسم العربي بين مترادفين أو بين عبارتين تفيدان المعنى نفسه. فعند ورود مترادفين عربيين (أو أكثر) متقارب ترتيب حروفهما تقاربا يَسمح بترتيبهما على سطر واحد، فإنهما يوضعان على سطر واحد وتفصل بينهما فاصلة (أو أكثر) مثلا: وَتَدَ، وَتِدَ.

- 17. تستعمل القوسان () في حالات متعددة، يهدف جلها إلى زيادة الإيضاح. وعليه يمكن بصورة عامة إغفال ما وضع ضمن قوسين أو عدم قراءته.
- ۱۷. كما تستعمل القوسان للدلالة على نوع الاسم أو جنسه، مثلا: رهو (طائر) ذُباب، ذبابة (حشرة)
- ١٨. القوسان المعقوفتان [] تدلان على أن الكلمة التي قبلهما تستعمل في علم من العلوم أو أن لها معنى خاصا في هذا العلم. مثلا: دالّة [رياضيات] ضمير [لغة].
- ١٩. النقطتان: تدلان على أن ما بعدهما تعريف أو تفسير أو شرح للمادة التي قبلهما¹.

وهذه هي الإرشاد والملاحظات التي تجب على الطالب والباحث عند بحث معاني الكلمات في المعاجم والقواميس كلمها إلا أن أكثر المعاجم تراجم جذر الكلمات في فحض معنى الكلمة سوى المورد الوسيط للبعلبكي.

وعند استخدام المعجم الإلكتروني لابد للطالب والباحث أن يستمع إلى الكلمات المصوتة بشكل خاص مثل هناك أصوات متنوعة بفرق بسيط بين الإنجليزية البريطانية والإنجليزية الأميركية.

ويقول عن الاستماع د. محمول كامل الناقة في كتابه طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين ها:

"ويعتبر الاستماع والفهم مهارتين متكاملتين من مهارات اللغة ينبغي أن يتدرب المتعلمون عليها منذ بدء تعلمهم اللغة العربية لأهميتها في السيطرة على اللغة سيطرة وظيفية. ولكن ما الاستماع؟ إن المقصود بالاستماع هنا ليس السماع (Hearing) بل المقصود هو الإنصات (Audition)، وإن هذا المصدر الأخير يعتبر أكثر دقة في وصف المهارة

١. د. روحي البعلبكي، المورد الوسيط، دار العلم للملايين، ص ٧-٨

التي نعلمها أو نكوّنها لدى الدارس"\. ويهدف تعليم الاستماع إلى تحقيق ما يلى:

- التعرف على الأصوات العربية وتمييز ما بينها من اختلافات صوتية ذات دلالة عندما تستخدم في الحديث العادي، وبنطق صحيح.
 - ٢. التعرف على الحركات الطوبلة والحركات القصيرة والتمييز بينها.
 - ٣. التمييز بين الأصوات المتجاورة في النطق.
 - ٤. التعرف على كل من التضعيف أو التشديد والتنوبن وتمييزها صوتيا.
 - ٥. إدراك العلاقات بين الرموز الصوتية والرموز المكتوبة.
 - ٦. سماع الكلمات وفهمها من خلال سياق المحادثة العادية.
- ٧. إدراك التغييرات في المعنى الناتجة عن تعديل أو تحويل في بنية الكلمة (المعنى الاشتقاق)\(^\).

ومع انتشار استعمال الحاسوب والشابكة (الإنترنت) ودخول البشرية فيما يسمى "مجتمع المعرفة"، برزت على الساحة تطبيقات لغوية حاسوبية جديدة ومتنوعة. هذه التطبيقات تعتمد في غالبها على المعجم. فعرف المعجم الإلكتروني (أو الحاسوبي) تطوراً كبيرا على صعيد الهيكلة ومحتوى المداخل، وكذلك الخدمات المتطورة التي يمكن أن يسديها إلى المستخدم مستغلا في ذلك الإمكانيات الهائلة التي يوفرها الحاسوب من طاقة تخزين للمعلومات المعجمية وتحيينها وسرعة البحث عنها واسترجاعها، وقدرة على معالجة البيانات متعددة الوسائط. فتطورت هذه الصناعة بسرعة فائقة وأصبحت تنافس بصفة جدية مثيلتها التي تنتج المعاجم الورقية.

مجلة الدراسات العربية

_

١ . د. محمول كامل الناقة في كتابه طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ص ١٠١

٢ - نفس المرجع ص ١٠٣

المراجع والمصادر

- المنجد في اللغة والأعلام، طبعة جديدة منقحة، دار المشرق بيروت،
 ٢٠٠٣م
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م
- ٣. معجم "المورد الوسيط: قاموس عربي إنكليزي" الدكتور روحي البعلبكي دار العلم للملايين
- الصّحّاح في اللغة، تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبو نصر السماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين
 - ٥. لسان العرب لابن منظور، الناشر دار صادر، بيروت ٢٠١٠
 - ٦. القاموس المحيط للفيروز آبادي
 - ٧. القاموس الجديد لمولانا وحيد الزمان الكير انوي
 - ٨. العباب الزاخر الحسن بن محمد الصغاني
- ٩. المنجد عربي أردو أعده نخبة من العلماء المتخرجين من دار العلوم بديوبند وطبع من مطبع إشاعة الإسلام بلاهور
 - Arabic English Dictionary for ،J.M. Hava الفرائد الدرية، .١٠. Goodword2008،Advanced Learners
 - ١١. المعجم الوسيط من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة
 - ١٢. موسوعة المورد لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م
 - ١٣. المورد الوسيط عربي إنكليزي للدكتور روحي البعلبكي
- ١٤. المورد الأكبر قاموس إنكليزي عربي حديث، تأليف منير البعلبكي، دار
 العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

- ١٥. القاموس إنكليزي عربي مع الرسم اللاتيني للكلمات الإنكليزية حسب النطق السوقي، من إعداد مكتب الدراسات والبحوث، دار الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م
- ١٦. مصباح اللغات، مكمل عربي أردو دُكشنرى، أبو الفضل مولانا عبد الحفيظ البلياوي، مكتبة قدوسيه، أردو بازار، لاهور،
- ۱۷. القاموس الجديد من الأردية إلى العربية وبالعكس للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، كتب خانة حسينية، ديوبند، أبربل ٢٠٠١م
- ۱۸. القاموس الوحيد للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، كتب خانة حسينية، ديونند،
- ١٩. القاموس الاصطلاحي للشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، كتبخانة حسينية، ديونند.
- ۲۰. معجمي الحي، مراجعة وتقديم بدر الزمان القاسمي، الكيرانوي، مكتبة وحيدية، دلهي، ۲۰۰٤م
- ٢١. معجم مصطلحات البترول والصناعة النفطية، إنكليزي عربي موضح بالرسوم، لأحمد شفيق الخطيب. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م
- ٢٢. قاموس حتى الطبي، إنكليزي عربي مع سرد ألفبائي، تأليف الدكتور
 يوسف حتى، الطبعة الثالثة المنقحة، مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٧م
 - 23. New Dictionary of Scientific and Technical Terms, by Ahmad Shafiq al-Khatib, December 2000
 - 24. Hans Wehr, ARABIC ENGLISH DICTIONARY by J.M. Cowan, 1980
 - 25. Dictionary of English Idioms، by Ahmad Mamdouh al-Saghir، Riyadh، 2006

الميزات النحوية من خلال"الحكم والمخصص" لابن سيده الأندلسي

الدكتورأصغر على بيكا

ملخص البحث

شاهدت الأندلس عبر الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبرية (۹۲هـ۷۱۱م) إلى سقوط غرناطة (۸۹۷هـ۲۱٤۹۲م) إسهامات واسعة متعددة وتطورات هائلة في كثير من مجالات العلم والفن والأدب، كما أنبتت أرض الأندلس مفكرين متميزين وشعراء أفذاذ وعلماء كبار وأدباء عمالقة الذين عنوا بدراسة علوم القرآن والحديث والفقه والقضاء والتاريخ والسيرة وجغرافية، واهتموا منذ البداية باللغة وآدابها وعلومها وفنونها حفظا على القرآن الكربم والحديث النبوي والتراث العربي من أجل فهمه فهما صحيحا، فازدهرت الحركة اللغوية في الأندلس ازدهارا ملحوظا، واستطاعت تلك الأرض من خلالها أن تشارك في النهضة اللغوية المشرقية، فبرز من علمائها وأدباءها جماعة ممن وفقت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية، ومن أبرز وأهم هذه الأسماء اسم عالم الجليل واللغوي والنحوي الشهير أبو الحسن على ابن سيده الذي اكتسب بسيرته العلمية الفذة ثناء العلماء حتى وصفوه بشيخ اللغوبين والنحاة وأنه أعلم أهل الأندلس بالنحو واللغة والأشعار وأحفظهم، وكان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوبة والنحوبة عن ظهر قلب. سألقي الضوء في هذا المقال عن جهود ذلك الرائد الكبير والقائد العظيم الذي ترك لنا تراثا قيما في مجال الحركة اللغوبة في الأندلس في القرن الثالث والرابع الهجري وخاصة ميزاته النحوبة خلال كتابيه المهمين "المخصص" و"المحكم والمحيط الأعظم" اللذين نالا

١ المحاضر المتعاقد في كلية كرناه، كفوارة، كشمير.

شهرة عظيمة ومكانة مرموقة لا في المغرب فقط بل في العالم كله، وساهما مساهمة جبارة في الحركة اللغوية والنشاط اللغوي في الأندلس، وجعل ابن سيده يتبوأ منزلة رفيعة بين صانعي المعاجم العربية باعتباره واحدا من روادها العظام.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الأدباء، ابن سيدة، المعاجم، اللغة، ميزات نحوية، الحركة اللغوية

نبذة عن حياته

ولد أبو الحسن علي ابن سيده عام ٣٩٨ه/١٠٠١م في مرسية وهي إقليم من مملكة "تدمير" في شرق الأندلس، ونشأ في بيت علم ولغة، حيث كان أبوه من النحاة وأهل المعرفة والذكاء، وقد تعهد ابنه هذا بالرعاية والتعليم، وصقله صغيرا وشبّعه بحب اللغة وعلومها، كان ابن سيده أعمى غير أن الله سبحانه وتعالي رزقه ذاكرة قوية وذهنا متوهجا، وذكاء حادا عوضا عن فقدان بصره. ولقد أعانته ذاكرته القوية وإلمامه الواسع أن يفوق أقرانه وأن يصنف في مجال علم اللغة والنحو والمجالات الأخرى كتبا رائقة حتى وصفوه بشيخ اللغويين والنحاة، لقد تعلم أولا من أبيه الذي كان عالما ونحويا ولغويا، ثم تتلمذ على كبار العلماء والشيوخ، ومنهم صاعد البغدادي(ت ٤١٤هـ) الوافد على الأندلس من المشرق، وأبو عمرو أحمد بن محمد الطلمنكي(ت ٤٢١هـ) وصالح بن الحسن البغدادي(ت ٢١١هـ) وغيرهم من العلماء والشيوخ، ولم يقتصر على علم اللغة والأدب بل درس كل ما كان شائعا في زمانه وما يتفق مع طبيعته، وأخذ شتى العلوم والفنون ولكن تخصصه كان في مجال اللغة والأدب الذي كان له فيه مكانة مرموقة وشهرة فائقة، كما قال فيه جلال الدين السيوطي "لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم

١. الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ٢٦٤.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٤٤.

الحكمة".' ". وقال القاضي صاعد (ت ٤٦٢هـ) عنه: "وألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس (ت ٣٢٨هـ) وهو بعد هذا أعلم أهل الأندلس قاطبة بالنحو واللغة والأشعار، وأحفظهم لذلك حتى أنه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها، كغربب المصنف، واصلاح المنطق..."

ميزاته النحوية من خلال كتابيه "المحكم" و"المخصص"

لقد كان ابن سيده فقها لغويا نحويا أديبا منطقيا، وأطلق عليه الحافظ جلال الدين السيوطي قوله "لم يكن أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة". إلا أنه امتاز بتفوقه في مجال اللغة العربية وعلى الأخص منه في القواعد. كما يقول بنفسه في مقدمة كتابه الشهير "المحكم": "أنا الجواد الخوار العنان، المخترق للميدان في غير فن من الفنون واليقين القاتل لخوالج الظنون وذلك أني أجد علم اللغة أقل بضائعي وأيسر صنائعي إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو، وحوشي العروض وخفى القافية، وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلية". وفي علم اللغة تمهر في النحو، وأخرج كتابيه "المحكم" و"المخصص" الذين استمرا حتى الآن نقطة البحث والتحقيق بين العلماء والأدباء واللغويين بعد ألف سنة. فنذكر أولا ميزاته النحوية من خلال كتابه "المحكم" ثم وستعرض ميزاته النحوية من خلال كتابه "المحكم".

ألف: ميزات المحكم

١. السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة، ج٢، ص١٤٣.

٢. القاضي صاعد: طبقات الأمم، ص ٦٧.

٣. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، ١٤٣/٢.

٤. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، حققه مصطفى السقا، والدكتور حسين نصار،
 ½، الطبعة الأولى، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.

إن محكم ابن سيده يعد أحسن المعاجم التي التزمت منهج الخليل بن أحمد في العين، من حيث ترتبب مواده، ووجازة تعبيراته وألفاظه، ومن حيث ما اشتمل عليه من علوم النحو والصرف والعروض وغير ذلك؛ حيث ظهرت براعة المؤلف واضحة في تلك العلوم حتى يخيل إليك في بعض الأحيان أنك لست في معجم لغوى بل في كتاب من كتب الصرف أو النحو أو العروض وذلك حينما يستطرد المؤلف في عرض المسائل النحوية والصرفية خاصة لأدنى ملابسة تعرض له ليفيض علينا من علمه الذي كان يعتز به، والذي يرى أن علم اللغة والمعجم الذي برع فيه وذاع صيته بسببه أنه إذا ما قورن بعلومه الأخرى في النحو والصرف والعروض والقافية والمنطق وغيرها لظهر أنه أقل بضائعه، وأيسر صنائعه '، وذلك حيث يقول في مقدمة الكتاب: " إني أجد علم اللغة أقلّ بضائعي، وأيسر صنائعي، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق بالنحو، وحوشي العروض، وخفيّ القافية، وتصوبر الأشكال المنطقية، والنَّظر في سائر العلوم الجَدَلية "٢. أعجب كثيرا من أصحاب المعاجم المتأخرين بالمحكم وأكثروا من الرجوع إليه بل اكتفى بعضهم بالجمع بينه وبين بعض الموسوعات اللغوبة الأخرى في تأليف معجماتهم وأشهر من فعل ذلك ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب وتاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) في الجمع بين العباب والمحكم والفيروز آبادي في اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وغيرهم، كما أثني على الكتاب كثير من أصحاب اللغة والأدب والعلم، كما قال الدكتور طه حسين في تصديره

المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بإبن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، من مقدمة المحقق ص ٨-٩، الجزء الأول، المحتوى ع (العين والهاء) ع (العين والطاء والميم)، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بحروت، لبنان.

٢. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، من مقدمة التحقيق، ص ١٦ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، المحتوى: ع (العين والهاء) ع (العين والطاء والميم)، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

للمحكم: "هذا كتاب يعتبر أصلا خطيرا من أصول المعجمات اللغوية، فصاحبه قد جمع كل ما سبق إليه الذين وضعوا المعجمات ودرسه وحقق منه ما يحتاج إلى تحقيق وصحح منه مالم يكن بد من تصحيحه وأهدي إلى العالم العربي كتابه هذا الضخم مرجعا أساسيا بألفاظ اللغة العربية"\.

كما أثنى عليه المستشرق "إدوارد وليم لين " في معجمه "مد القاموس" وقد انتفع فيه بالمعاجم القديمة التي كانت لديه منها الكثير من مخطوطاتها فهو إذ يدلى بحكمة على ابن سيده قائلا: "لم يقع لنا بعد عهد الصحاح قاموس أعظم من محكم ابن سيده...وإن تيمته لترتفع إلى الذروة من حيث الصحة والإشارة الانتقادية والأمثلة الكثيرة والشواهد اللغوية الصحيحة...وقد اعتمدت عليه كثيرا في تأليف معجمي هذا.

وقال علامة قفطي: (كان ابن سيده) "إماما في اللغة والعربية جمع في اللغة كتاب المحكم يقارب عشرين مجلدا لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه وهو في وقف التاج السندهي بدمشق في رباط الصوفية، لو حلف حالف إنه لم يصنف مثله لم يحنث"."

لدى دراسة "المحكم" نتوصل إلى ميزات عدة، ومن أهمها ما يلي:

التفنن في الترتيب

تفنن ابن سيده في ترتيب كتابه المحكم بترتيبه الدقيق، حيث رتبه على نسق حروف أوائل كلمات هذه الأبيات :

١. ابن سيده: المحكم، (تصدير) ص ٣.

٢. إدوارد وليم لين: مد القاموس، ص ١١.

٣. قفطي: إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢٢٥.

٤. كشف الظنون، ١٦١٦/٢ - ١٦١١.

علقت حبیبا هنت خیفة غدره قلیل کری جفن شکا ضر صده سبا زهوه طفلا دیانة تائب ظلامته ذنب توی ربع لحده نواظره فتاکة بعمیده ملاحته أجرت ینابیع وجده

هذه طريقة صعبة للغاية تحتاج إلى النظر الدقيق والخيال العربق. وقد ذكر ناصرالدين محمد بن قرناص ترتيبها على النحو التالى:

عليك حروفاً هن خير غوامض قيود كتاب جل شأنا ضوابطه

صراط سوى زل طالب دحضه تزيد ظهوراً إذ تناءت روابطه

مصنفه أيضاً يفوز وضابطه لذلكم نلتذ فوزا بمحكم

وقد رتب المؤلف كتابه على ترتيب كتاب العين واعتمد على ترتيب الحروف وفقا لمخارجها بدءا من الأبعد وانتهاء بالأقرب، على النحو التالي:

(ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ى وا). تمييز المشتهات

ومن ميزات هذا الكتاب أنه يميز في المشتبهات، كما يقول المؤلف نفسه:
" ومن غريب ما تضمنّه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع،
والتنبيه على الجمع المركّب، وهو الذي يسمّيه النحويون جمع الجمع،
فإن اللُّغويين جمّا لا يميزون الجمع من اسم الجمع، ولا ينبهون على

جمع الجمع"١.

الفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي

من ميزات هذا المعجم أنه يفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي، وهما نوعا تخفيف الهمزة كقول المؤلف "إن قول العرب أخْطَيْت ليس بتخفيف قياسي، وانما هو تخفيف بَدَليّ محض، لأن همزة أخطأت همزة ساكنة قبلها فتحة، وصورة تخفيف الهمزة التي هَذِي نِصْبَتُها، أن تُخلّص ألفاً محضة، فيقال: أخْطات، كقولهم في تخفيف كأس: كاس ... وهذا الذي أبَنْتُ لك، في أخطيت ونحوه، باب لطيف قد نبا عنه طبع أبي عبيد وابن السّكّيت وغيرهما من متأخري اللغويين. فأما قدماءهم فأضيق باعا، وأنْبَي طباعا "٢.

الفرق بين القلب والبدل

وبما انفرد به ابن سيده في كتابه هو التفريق بين القلب والبدل، وعقد اسم الفاعل بالفعل إذا كان جاريا عليه، بالفاء؛ وعقده إذا لم يك جاريا عليه بالواو، بسبب فلسفي نحوي دقيق، كما يقول المؤلف: " ومن ذلك أن أفرّق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذى هو لغة في الفعل، وليس بمنقلب عنه، بوجود المصدر وعدمه، كجَذَب وجَبَذ، فإنهما لغتان، لأن لكلّ واحد منهما مصدرا، وأما يَئِس وأيس، فالأخيرة مقلوبة عن الأولى، لأنه لا مصدر لأيس؛ ولا يُحتجّ بإياس: اسم رجل، فإنه فعال من الأوس، وهو العطاء، كما يسمّى الرجل عطيّة، وهبة الله، والفضل "٣.

ميزاته في التدوين والتقريب والتهذيب

ومن خلال دراسة المحكم نجد المؤلف أنه يلتزم الاختصار، وبركز على تنظيم

١. المصدر السابق، ص ٧.

٢. نفس المصدر، ص ٧.

٣. نفس المصدر، ص ٧-٨.

المادة، وتقريب التأليف والتهذيب، كما يقول بنفسه: "إن كتابنا هذا مشفوع المِثْل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذّب الفصول، مرتّب الفروع بعد الأصول ... هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب، والإشباع والاتساع، والإيجاز والاختصار، مع السلامة من التكرار، والمحافظة على جمع المعانى الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة ...

ومن بديع تلخيص الكتاب، وغريب تخليصه، أنى أذكر صيغة المذكر، ثم أقول: والأنثى بالهاء، فلا أُعيد الصيغة، وإن خالفت الصيغة، أعلمت بخلافها إن لم يكن قياسيًا، نحو بِنْت أو أخت..

وفى كتابي هذا أشياء من الاختصار وتقريب التأليف وتهذيب التصنيف، ما لو ذكرته لكان فيه سِفْر جامع، ولكني بهذا الذي أرّنت منه قانع"\.

فالمعجم يتميز باختصاره وتنظيم المادة، وتقريب التأليف، وتهذيب التصنيف، إلا أنه لم يستطع التزام ما ألزمه على نفسه، كما يشير المحقق الدكتور عبد الحميد هنداوي إليه وببين سببه: "ولكن بمطابقة هذا المذكور بكتاب المصنف نجد أنه لم يستطع التزام ما ألزم به نفسه في مقدمته. وكان أعظم سبب عاقه عن تحقيق ذلك، هو: " اعتماده على المراجع اللغوية السابقة عليه، واغترافه موادّه منها، وهي لا تلتزم نظاما شبها بالنظام الذي كان يضعه نصب عينه ". ولكننا نستطيع أن نقرر أنه قد التزم ذلك. فيما تفرد به ولم ينقله عن غيره. إلى حد كبير".

ميزاته في تبويب الكتاب وتقسيمه

جاء المؤلف بتبويب دقيق وتقسيم يسهل العرض للقارئ، فقسم الكتاب إلى كتب، وكل كتاب إلى أبواب، ثم رتب المواد داخل الأبواب وفقا لما تتألف منه من حروف

١. المصدر السابق، ص ٨.

٢. نفس المصدر، ص ٨.

ووفقا لما تتصرف إليه، وتتقلب فيه من وجوه أو تقاليب. وأصلا إن هذا المنهج الذي التقطه ابن سيده هو منهج دقيق التزمته المعاجم الأخرى التي سار مؤلفوها على درب الخليل، وقد تحدث ابن سيده عن هذا المنهج في مقدمة الكتاب. إلا أنه يتميز على ثلاث طرق: في حذف أمور، وتنبيه على أمور أخرى، وتمييز بين أمور متشابهة، وعلى هذه الشاكلة أنه تميز في منهج تأليف المعجم عن المعاجم الأخرى التي اتبعت منهج الخليل.

هذه هي بعض الميزات الرئيسية التي امتاز بها الكتاب، وميزاته تنعكس في عرض المادات العلمية، مثلا هو يتخذ موضوعا: العين والطاء والميم، فيبحث عن كلمات مثلا "عَمَطَ عِرْضَه عَمْطا، واعْتَمَطَه : عابَه، وعَمَط نعِمة الله، وعَمِطَها : كغَمِطَها : لم يشكرها" فأولا يذكر مقلوبة: طع م، ثم مقلوبة مع ط، ويردفها مقلوبة طمع، ثم مقلوبة مطع\.

وعلى هذه الشاكلة يعالج المؤلف كثيرا من المسائل النحوية وقضايا اللغة العربية، ومن ثم قد يتخيل القارئ أنه ليس أمام معجم لغوي وإنما يتصفح كتابا كبيرا دُوّن في النحو والصرف، وهنا نكتفي على هذه النماذج والميزات لنبحث عن ميزات كتابه الآخر "المخصص".

ميزات "المخصص"

هذا الكتاب يحتوي على مباحث ومواد نحوية غزيرة، وقد عده العلماء النقاد من أوفى وأشمل معجما من معاجم المعاني في تاريخ اللغة، حيث استعان ابن سيده في تأليفه بكل ما كتب قبله تقريبا من مؤلفات الغريب المصنف، والصفات، والألفاظ، والمعاجم اللغوية، وكتب اللغة أ. ومن أهم إنجازات ابن سيده اللغوية والنحوية بشكل خاص أنه جاء بمنهج فريد يخالف من جاء قبله في تقليدهم للخليل بن أحمد (في كتابه

١. ابن سيده، المحكم، ص الجزء الأول، ٥٥٧-٥١٦.

٢. د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥٤.

العين) وسيرهم على دربه في منهجه ووضعه للمادة، ومن هنا أنار للمغاربة طريقة جديدة ومنهجا حديثا في النحو العربي. وأصلا صُنف هذا الكتاب في جمع المواد اللغوية من كتب القدامى مع الاحتفاظ بنسبة القول إلى أصحابها. كما يصرّح به ابن سيده في المقدمة قائلا: "فلما رأيت اللغة على ما أربتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره، وتشتمل عليه أنفسنا أحببت أن أجرد فيه كتابا يجمع ما تنشر من أجزائها شعاعا، وتنثر من أشلائها، حتى قارب العدم ضياعا ولاسيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة" أ.هذا كتاب مهم في بابه، ويحتل مكانة بارزة بين مصنفات اللغة، وقد اعتبرها وصل إلينا من مادة لغوية كما حفظ مواد نحوية ولغوية ضاعت كتبها واندثرت فيمكن الرجوع إليها في هذا الكتاب. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "هذا المعجم يعد أو في وأشمل معجم من معاجم المعاني في تاريخ اللغة العربية "كتبه المصنف جامعا وأشمل معجم من معاجم المعاني في تاريخ اللغة العربية "كتبه المصنف جامعا الألفاظ المنتشرة في الأمكنة المختلفة التي كانت على وشك الضياع، وجمع فيه كل ما فقد القدماء من جمعه ورتبه على ترتيب المعاني خلافا لترتيب الألفاظ وبين تعليل كل

- إنه يهتم بالقضايا اللغوبة الشتى في حين لا نجد المشارقة الذين سبقوه مهتمين بها.

- إنه يتصدى بذكر التضاد، ويتعمق البحث في الكلمات العربية المضادة، كما يقول بنفسه: "فأما اللفظة التي تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين، أو متصلتين كالبشر الذي يقع على العدد القليل أو الكثير، والجلل الذي يقع على العظيم والصغير، واللفظة التي تدل على كيفيتين متضادتين كالنهل الواقع على السواد

١. ابن سيده، المخصص، ٧/١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢. دليل محمد الطالبي، المخصص دراسة، ص ٥٨.

٣. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ١٨٦، بحث منشور في مجلة أبحاث ميسان،
 المجلد الخامس، العدد العاشر، عام ٢٠٠٩م.

والبياض والحمرة، وكالسدفة المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط، فسآتي على جميعها مستقصى في فصل الأضداد من هذا الكتاب، مثبتا له غير جاحد، ومضطرا إلى الإقرار به على كل ناف معاند، ومبرئا للحكماء المتواطئين على اللغة، أو الملهمين إلها من التفريط، ومنزها لهم عن رأي من وسمهم في ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط".

- إنه يبحث في الكلمات المترادفة، كما يشير ابن سيده بنفسه قائلا: " وكذلك أقول عن الأسماء المترادفة لا يتكثر بها نوع، ولا يحدث عن كثرتها طبع كقولنا في الحجارة حجر وصفاة ونقلة، وفي الطويل طويل وسلب وشرح "٢.
- ومن خصائصه أنه يبحث عن أصل اللغة، كما يكتب " وقد اختلفوا في اللغة أمتواطأ عليها أم ملهم إليها وهذا موضع يحتاج إلى فضل تأمل...". هكذا يتحدث ابن سيده عن أصل اللغة، ويحاول الوصول إلى أصل الكلمة، هل هي تواضع، أم اصطلاح، أم وحي وتوقيف، من خلال عرض أقوال أهل العلم وتحليلها؟
- من ميزات كتابه المخصص أنه هو أول من تصدى بالتعليل فقد بيّن ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء. فالتعليل من الميزات البارزة لكتابه المخصص، ولتدعيم قولنا نستدل بقوله الذي يقول فيه عن القدماء: "نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدون الموضع الذي انقلب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ولا يميزون مما يخرج عن هيئة المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذاك لغتان وذلك كجذب وجبذ وبئس، وأيس، ورأى، وراء ونحوه مما ستراه في موضعه مفصلا

١. ابن سيده، المخصص، ٣/١.

٢. نفس المصدر، ص ٣/١.

٣. نفس المصدر، ٣/١.

محللا محتجا عليه وكذلك لا ينهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي أن يعتقد منه تخفيفا قياسيا وما يعتقد منه بدلا سماعيا ولا يفرقون بين القلب والإبدال ولا بين ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من اللغة ببيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة كقول أبي عبيد النبيثة ما أخرجته من تراب البئر واستشهاده على ذلك بقول صخر الغي: لصخر الغي ماذا تستبيث، وإنما النبيثة كلمة صحيحة مؤتلفة من ن ب ثوتستبيث كلمة معتلة مؤتلفة من ب و ثأو ب ي ثيقال بنث الشيء بوثا وبنثه وأبثته إذا استخرجته إلى غير ذلك من قوانين التصريف التي جافت أذهانهم عن رقتها وغلظت أفهامهم عن لطفها ودقتها". ففي هذا الاقتباس لا يشير إلى بدءه بالتعليل وتمييزه إياه عن الآخرين بل فيه نقد جارف على القدماء الذين لم يعتنوا بهذا الجانب.

- ومن ميزات ابن سيده في كتابه "المخصص" أنه يحضر الجانب النحوي والصرفي بكل قوة هنا، بخلاف المعاجم الأخرى.
- ومن ميزاته الأخرى أنه يستحضر بجمع الآراء التي وردت حول مادة خاصة مع ذكر بناء الكلمات وأصولها ومشتقاتها، بالإضافة إلى استحضار آراء العلماء النحاة وذكر أسمائهم مثلا هو يذكر أقوال أبي علي الفارسي في كثير من المسائل النحوية كما يسرد آراء النحاة الآخرين مثل سيبويه، مثلما فعل عند معالجة كلمة "تئفة" فقال هي عند سيبويه على وزن "فعِلَة" وعند أبي علي "تفعِلة" ثم يتخلص إلى النتيجة أيضا كما يقول "إن الصحيح في زنة الكلمة أن تكون "تفعِلة" ولا تكون "فعِلة"؟

۱. المصدر السابق، ۱/۷-۸.

٢. نفس المصدر، ٣٠٤/١٢.

- ومن خصائصه أنه يعد أوفى وأشمل معجم في تاريخ اللغة العربية المسجل من قبل، حيث استفاد ابن سيده فيه بكلّ ما صنف من قبل.
- وتلخص الباحث عماد عشا في مقاله "الجهود المعجمية في الغرب الإسلامي: المخصص لابن سيده نموذجاً" إلى بعض الخصائص المهمة. فهو يقول: "ولعل أبرز ما يمبز المخصص عن غيره من المعاجم:

الموسوعية

هذه موسوعة شاملة، جاءت في ٥ مجلدات ضخمة، وتعددت موضوعاتها، فكأنها اللبنة الأخيرة في صرح المعجم اللغوي، قلما فات عن المؤلف القضايا اللغوية وأتى بجلّ المسائل فيما يتعلق بالنحو العربي بشكل خاص، واللغة العربية بشكل عام.

اهتمام ابن سيده بالقضايا اللغوية واستدلاله بآراء علماءها

وقد أشرنا فيما أعلاه إلى أن ابن سيده يهتم بالقضايا اللغوية وأنه يستدل بآراء النحاة الآخرين، إما لتدعيم رأيه أو لدحض رأي النحوي الآخر ولبيان فيما أخطأ فيه، وإما لأجل المقارنة بين الآراء المختلفة في قضية لغوية واحدة ومن ثم التلخيص إلى نتيجة حاسمة تفيد القارئ. لم يكن هو في بعض المواضع من المخصص ناقلا أقوال العلماء وآراءهم فقط بل كشف المخصص عن شخصيته المستقلة وعقب عليها توسيعا في مدلول اللفظ، كما تنوعت تعليقاته وتعددت، فنراه في بعض من الكتاب يتناول آراء اللغويين بالإيضاح وزيادة الفائدة وإكمال النقص أحيانا يحرص على بيان رأيه وتأييد تعبيراته بالاحتجاج لها بالشعر بالكلام المأثور، ولا يقتصر ملاحظاته على توضيح ما يحتاج إلى توضيح من أقوال اللغويين وإكماله بعضها بل تتعدى ذلك إلى مخالفة آراء يحتاج إلى توضيح من أقوال اللغويين وإكماله بعضها بل تتعدى ذلك إلى مخالفة آراء

منهج الكتاب

في المخصص اختار المؤلف منهجا يميزه عن المؤلفين من النحاة الآخرين، خاصة في المخصص اختار المؤلف منهجا يميزه عن المؤلفين من النحاة الآخرين، خاصة في تقسيم كتابه إلى كتب ثم إلى أبواب رئيسية ثم جاء بتقسيمات فرعية، كما بينت أن

الكتاب منقسم إلى خمس مجلدات ضخمة، وكل مجلد ينقسم إلى عدة أبواب فرعية، مثلا إنه بدأ المجلد الأول بنيان خلق الإنسان، وتحته: باب الحمل والولادة، ثم يذكر أسماء ما يخرج مع الولد، ثم الرضاع، والفطام، والغذاء ثم سائر أنواع التربية والغزائر الإنسانية، مثل الغذاء السيء للولد. ثم جاء تحت باب النساء بأسماء الأجزاء المختلفة للنساء وعاداتها الحسنة والسبئة والأمراض الأخرى المتعلقة بها. وبين في مجلد ثاني الأسلحة المتنوعة وأسماءها وخصائصها، وفي مجلد ثالث إنه جاء بذكر البحر وما يتعلق به من الأسماك والحيوانات ثم شرح شرحا لغوبا للأنهار والعيون والآبار وغير ذلك من الأمور الأخرى، ثم جاء بذكر الأشجار والنباتات وأنواعها وأقسامها والفوائد المتعلقة بها، ثم جاء بذكر الخيل والإبل والغنم في الأبواب الآتية، إنه شرح في المجلد الثالث الألفاظ المتعلقة بآداب الحوار والقراءة والرقص واللهو واللعب والإيمان والعبادة والصلاة والاذان والزكاة الحج والجهاد والتقوى والرشد والهداية والبر وصلة الرحم والخشوع والخضوع، ثم وصف أسماء الكنيات والنسب والألقاب، ثم بدأ المصنف في الصفحات الآتية الألفاظ المتعلقة بالنحو والصرف، وهذه السلسلة تتابع في المجلد الخامس حتى نهاية الكتاب. في هذه تقسيمات دقيقة تفرد بها ابن سيده من علماء عصره.

غير أنه انتقد على هذه التقسيمات بعض الكتاب والنقاد، كما يقول ألبير حبيب مطلق "ينقسم المخصص إلى كتب، يبحث كل منها في موضوع محدد أو على الأقل كان يفترض أن يبحث في موضوع محدد، فنجد مثلا كتاب خلق الإنسان-كتاب الغرائز-كتاب النساء-كتاب الخيل، وتنقسم هذه الكتب من حيث المبدأ إلى أبواب...ومصطلح باب لم يرد في كل حالة، بل كثيرا ما كانت ترد عناوين كثيرة دون أن يكون لهذا العنوان أهمية خاصة تفرده دون ما سبقه من عناوين، فكتاب اللباس مثلا ترد بعده العناوين التالية: عامة الثياب الرقيق من الثياب الكثيف من الثياب، ثم يأتي بعد ذلك باب المخطط من الثياب، فطبيعي أن المصطلح باب هنا لا يميز بشيء هذا العنوان عما

اهتمام ابن سيده بالجانب النحوي والصرفي واستحضار آراء علماءه

هذا الكتاب يضم بين دفتيه القضايا النحوية والصرفية، يعني هذا أنه يبحث عن علم النحو والصرف معا، وأن النحو تطور إلى حدٍ تفرعت القواعد العربية إلى قسمين؛ النحو، والصرف. وأنه جمع بين هذين النوعين من القواعد.

اعتباره المحطة النهائية للتأليف في هذا النوع من المعاجم

حاول ابن سيده أن يضع معجماً يكون محطة نهائية في تاريخ المعاجم، حتى عصره، ليكون مرجعاً لكل من أراد الحصول على مزيد من العلم في اللغة العربية، ويتزود بقواعدها النحوية والصرفية. كما يصرح به نفسه قائلاً: "فاشرأبت نفسي...إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط على من اللغة إلا ما لا بال له وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها، وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه..."

مخالفته لمنهج الخليل والذي تعود عليه

قبل خروج "المخصص" لابن سيده، كان كتاب العين لـ الخليل اللغوي سائد في الأوساط العلمية اللغوية والعامة، وكان العلماء يقلدونه ويسيرون على نهجه وانهروا بمعجمه وبما احتواه، واتخذوه نموذجا يحتذى به. ولكن جاء ابن سيده، فسار على درب آخر، وشرع في التأليف وجاء بمعجم يتميز بالنضج التام، وأشمل من كتاب العين. ومنذ ذاك الحين بدأ المغاربة يستفيدون من المخصص وقل الاهتمام والولوع بكتاب الخليل.

41

١. البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص ٣٦٥-٣٦٤، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، عام ١٩٦٧.

٢. ابن سيده، المخصص، ٧/١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وفي كتابيه المحكم والمخصص تصدى ابن سيده بذكر القضايا اللغوية بشكل عام والنحوية بشكل خاص، وبالإضافة إلى ذلك يقف على أخطاء وزلات من سبقه من اللغويين والنحاة ونبّه عليها. وامتاز الكتابان في عديد من الأمور سبق البحث عنها وهما بمثابة موسوعتين تحوي كنائز القواعد العربية؛ النحوية، والصرفية، وتشمل معظم ما قيل وبحث عنه في فن النحو العربي وبجانب جمع تلك القواعد والأصول تنتهج منهج النقد اللغوي لأول مرة في تاريخ الأندلس.

المراجع والمصادر

- 1. على أبو الحسن، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٢٠٠٠م.
- على أبو الحسن، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مصطفى
 السقا، والدكتور حسين نصار، الطبعة الأولى، معهد المخطوطات
 بجامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.
- ٣. على أبو الحسن، المخصص، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،
 الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- خاقان، أبو نصر الفتح: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل
 الأندلس، دارعمار- مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٣ م.
- ابن خاقان: قلائد العقيان، تحقيق: حسين يوسف (الطبعة الأولى: مكتبة المنار ۱۹۸۹م).
- آ. التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المحقق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
 ١٩٦٨ م.
- ٧. عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة. ١٩٨٨م.
 - ٨. وليم لين إدوارد: مد القاموس، مكتبة لبنان ناشرون. ١٩٩٧م.

- ٩. مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس، الطبعة الأولى،
 المكتبة العصربة، بيروت، ١٩٦٧م.
- 10. السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد بن أبي الفضل، دار الفكر بيروت، ط_٢. ١٩٧٩م.
- ۱۱. القطفي جمال الدين علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ۱۲. خليفة حاجي: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ۱۹٤۱م.
- ۱۳. نصار حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة القاهرة. ۱۹۸۸م.
 - ١٤. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين بيروت. ١٩٨٦م.
- ١٥. الطالبي دليل محمد، المخصص دراسة، المطبعة العصرية_ تونس. ١٥٥٠
- 17. الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، المحقق: شعيب الأرناؤوط بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٢ م.
- ۱۷. عشا عماد، الجهود المعجمية في الغرب الإسلامي (المخصص لابن سيده نموذجا)، مقال منشور من خلال الموقع الثقافي "مطر" من خلال طلال رابط التالي: خلال (http://www.matarmatar.net/threads/42236) مؤرخا: ۱۱/۲م.
- ۱۸. القاضي، صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، المحقق: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ط_١٩١٢، ١٩١٨م.

تدريس اللغة العربيّة في مدارس بنغال الغربيّة القوميّة وتحدِّياتها وأهمّ المقترحات لحلّها

عبد المتين١

الملخص

يهتم المسلمون بتعليم اللغة العربية لفهم معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منذ بداية الإسلام، لأنهما في اللغة العربية وهما أيضا أصلان مهمان من الأصول الأربعة للدين الحنيف، واللغة العربية هي لغة أجنبية لأبناء ولاية بنغال الغربية، وتجدر الإشارة إلى أن لغتهم الأم هي لغة بنجالية. وتوجد المدارس فيها على نوعين: المدارس الحكومية والمدارس القومية، وسنناقش في هذه الورقة البحثية عن طرائق تدريس اللغة العربية في مدارس بنغال الغربية القومية وتحدياتها، وفي نهاية البحث سنقدم بعض المقترحات لحلّها. وقد بلغ عدد المدارس في ولاية بنغال الغربية أكثر من ألف وتسع مائة مدرسة، وفي هذه المدارس يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول بتعليم القرآن الكريم، ولدى طلاب هذه المدارس رغبة شديدة لتعلّم اللغة العربية ومن أجل ذلك يبذلون سنوات كثيرة، ولكن مع الأسف لم يتقن أكثرهم اللغة العربية ولم يستطيعوا أن يتكلموا بها بسبب قلة خبرة المعلمين في إطار تعليم اللغة الأجنبية وانعدام الكتاب المدرسي الملائم للطلاب ومنهج التعليم السائد أيضاً. يهدف الباحث إلى أن يرسم تحديات تعليم اللغة العربية في المدارس القومية في ولاية بنغال الغربية ثم يقترح الحلول المناسبة لهذه التحديات.

الكلمات الرئيسة: ولاية بنغال الغربية، المدارس القومية، تعليم اللغة العربية، التحديات.

_

١. باحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها الجامعة العالية، كولكاتا، الهند،

التمهيد

دخلت اللغة العربية في ولاية بنغال الغربية بدخول الإسلام في عام ١٢٠٣م، بعد ما فتحها اختيار الدين محمد بختيار الخلجي الذي أسس دولة إسلامية في البنغال'. إذ دخل الناس لهذه البقعة في الإسلام أفواجا وانتشر فها سريعا وعاجلا، وتأسس فها الحكم الإسلامي في القرن السابع الهجري، وكان للحكام المسلمين إسهامات عدّة وخدمات جليلة، كما أنهم أقاموا الدين عن طريق مساعدة الدعاة وتشجيع العلماء وتأسيس المدارس ونحو ذلك، وكان التعليم في ولاية بنغال الغربية من القرن الخامس إلى الثاني عشر الهجري تعليما دينيا وشرعيا في أصله، حيث كانت البيئة الإسلامية تغلب عليه ٢. وكان التعليم في ذلك الزمن يتم عن طريق المساجد، والكتاتيب، ومجالس العلماء، والمدارس. ثم واجه التعليم الإسلامي في منطقة بنغال الغربية بعد الاحتلال البريطاني في منتصف الثامن عشر الميلادي صعوبات كبيرة. وروّجت الحكومة البريطانية إلى التعليم العام أن يعرقل التعليم الإسلامي، وانقسم النظام التعليمي من ذلك الوقت في هذه المنطقة على قسمين باسم التعليم العام والتعليم الإسلامي، فوجد في هذا العهد صنفان من المدارس الإسلامية مدارس تخضع لإشراف الحكومة البريطانية ومدارس تتبع المنهج الديوبندي تقوم بمساعدة أبناء المجتمع الإسلامي، ولا يزال هذان النظامان من المدارس الإسلامية منذ أكثر من قرنين.

ولاية بنغال الغربية

ولاية بنغال الغربية هي ولاية في المنطقة الشرقية من الهند على طول خليج البنغال، مع أكثر من ٩١ مليون نَسمَة، فهي رابع أكبر ولاية من حيث السكان والرابعة عشر من حيث المساحة في الهند. وهي أيضاً سابع تقسيم فرعي من حيث عدد السكان

١. خان ظفر الإسلام، مسلمو ولاية بنغال الغربية يموتون جوعا، جريدة الرياض، ٢٠٠٥م، العدد
 ١٣٤٣٠.

٢. المرجع السابق، ص٢١.

في العالم. جزء منطقة بنغال في شبه القارة الهندية، تحدها دولة بنغلاديش في الشرق، وبوتان ونيبال في الشمال، وتشمل ولاية بنغال الغربية منطقة تلال دار جيلنغ في جبال الهيماليا ودلتا نهر الغانج ومنطقة راره ومنطقة سونداربان، وتم تقسيم ولاية بنغال الغربية إلى ٢٣ مقاطعة ١٠.

المسلمون في ولاية بنغال الغربية

تضم ولاية بنغال الغربية أكثر من ٢٤,٦ مليون مسلم بنغالي حسب تعداد عام ٢٠١١م في الهند، يشكلون ٢٧,١٪ من سكان الولاية، وبشكل المسلمون البنغاليون غالبية السكان في ثلاث مقاطعات: مرشد آباد، ومالدة، وأوتار ديناجفور ٢. وعلاقة البنغال الغربية مع العرب علاقة تجاربة ودعوبة منذ عصر مبكر، ودخل الإسلام إلى الهند عن طريق السند وملتان، وانتشر في جميع أنحاء الهند بفضل التجارة والدعاة المخلصين الذين تشبعوا بروح الإسلام، وبذلوا الجهود في سبيل نشر الإسلام عن طريق القدوة الحسنة والموعظة والإرشاد، وازداد نشره فها بعد ما فتحها محمد بن القاسم عام ٧١١م. وتحدد بعض المؤرخين علاقتها بالإسلام والمسلمين في القرن الثامن الميلادي كما قال السيد سليمان الندوي: "أما الطربق الآخر بين العرب والهند، فكان عن طربق الخليج العربي الذي ظل مفتوحاً بين العرب والفرس من سكان السواحل، فيحملون بضائعهم براً وبحراً، عبر جميع المدن الهندية الساحلية، وجميع جزر المحيط الهندي، ثم مروراً بالبنغال وأسام حتى الصين، ثم يعودون قافلين من هذا الطربق نفسه" . ولذا نجد أن الإسلام كان قد وصل إلى بنغال في القرن الثامن الميلادي.

John Clark, Marshman Outline of the History of Bengal, P1. \

٢. سعيد الرحمان محمد، الدراسات العربية في البنغال الغربية خلال القرن العشربن: دراسة تحليلية، ص ٣٤.

٣. الندوي سليمان السيد، العلاقات العربية الهندية، تعربب أحمد محمد عبد الرحمن، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجزيرة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٦١.

المدرسة القومية

المدرسة هي مكان الدرس والتعليم، والقومية من القوم معناه الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها 1 ، ومنه القومي معناه الوطني 3 ، كما يقال: العديد القومي، والزعيم القومي 3 .

والمدرسة القومية في المدارس الدينية هي التي لا تتبع نظام الحكومة ولا تقدم الحكومة ألرواتب المدرسين، وتتبع المنهج النظامي في التدريس والاختبار. كما أنها لم تقم بمراقبة الحكومة ولكن تقوم باللجنة المحلية وبمساعدة أهل المجتمع من المموّلين والمحسنين بصدقاتهم وتبرعاتهم.

المدارس القومية في منطقة بنغال الغربية

وقد توجد في هذه المنطقة أكثر من ألف وتسعمائة مدرسة دينية وتجري هذه المدارس بمساعدة ذوي الخير وتبرعاتهم، وأسِّست هذه المدارس لدراسة القرآن الكريم والحديث النبوي وفهمهما وللحفاظ على الهوية الإسلامية للمسلمين في وقت كان يعترض الإسلام والمسلمين تحديات واعتراضات شيئ ويكون في هذه المدارس التركيز على فهم القرآن الكريم والحديث النبوي أكثر من دراسة اللغة العربية والمواد الأخرى كالحساب والجغرافية، والعلم وغيرها، ويرى فها الدرس النظامي انطلاقا من الابتدائية إلى الصف الثامن الذي يقال أيضا الدورة، ويتجه بعض خريجهم إلى المدارس الواقعة في الولايات الأخرى خاصة أترابراديش ثم يدرسون فها عدة سنوات.

www.almaany.com ۱ مادة قوم، تاربخ الدخول2022-09-

www.almaany.com۲ مادة قوم، بحث بلفظ (قوميّ) تاريخ الدخول2022-09-04.

www.arabdict.com۳ مادة قوم، بحث بلفظ (القومي) تاريخ الدخول 2022-04-09

٤. نقيب الهند، اللغة العربية في غرب البنغال: مشاكل وحلول، يناير – مارس ٢٠١٨.

تحديات تعليم اللغة العربية

تراقب المدارس القومية في ولاية بنغال الغربية بمعونات أبناء المجتمع، فتعاني أكثر المشكلات من المدارس الحكومية، وتعاني أيضا أكبر التحديات في التعليم، واتضح لدينا أن هناك تحديات في تعليم اللغة العربية فيها بعد إمعان النظر والتفكر في المناهج والمقررات السائدة، والتحديات هي:

تدريب المعلمين

المراد به المعلّم المدرب أو المؤهل تربويا، لا يكفي أن يكون المعلم حائزا على شهادة جامعية فقط، بل لا بد عليه أن يكون متأهلا تربويا أي ينال تدريبا يعده ليكون معلما ماهراً وحاذقاً في فن ما، والتخصص العلمي وحده لا يكفي للمعلّم بل يجب أن يضاف إليه التأهيل التربوي. ولكن مع الأسف الشديد ليس في ولاية بنغال الغربية لمدرسي المدارس الأهلية معهد تدريب المعلّمين ولو واحدا، فينبغي لمدرسي المدارس العربية أن ينعقد لهم الدورات المختلفة المتعلقة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بقيادة البلدان العربية مثل الكوبت، والقطر، والمملكة العربية السعودية.

المناهج التعليمية

إن المناهج التعليمية تعد أهم مواد للتعليم والتعلّم، وهي ركن مهم من أركان عملية التعليم، فالمناهج التعليمية هي أكبر المشكلات التي يواجهها متعلّمو اللغة العربية في المدراس القومية في ولاية بنغال الغربية لأنها لا تناسب تعلم اللغة العربية حيث إنها حافلة بخلل واضح في وضعها وبعدم وضوح الأهداف، وليست عصرية بل تقليدية، معتمدة على قواعد النحو والصرف وطريقة الترجمة، وتجدر الإشارة إلى أن المناهج والمقررات الموجودة حاليا في المدارس القومية في المنطقة غير كاف وغير منسق في كافة المراحل الدراسية لتعليم اللغة العربية، وأن الكتب المدرسية المنهجيّة قديمة وغير معاصرةً، وتعتمد الدراسة على الكتب المدرسية النظرية والتطبيق كما أن

المدرسين يهتمون بالقواعد العربية أكثر من دون اهتمامهم بالتطبيق'. فأهم أسباب نقص المناهج التعليمية في المدارس الأهلية في منطقة بنغال الغربية هي:

- انعدام المتخصصين في وضع المناهج.
- البناء على المناهج التقليدية لا المعاصرة.
- إهمال تجارب المؤهلين في تصميم المناهج.
 - عدم الرغبة في التدريس عند المدرّسين.
- سطحية التفكير من قصر النظر، وغياب العمق، وصفرية الانطلاقة في وضع المناهج.

هدف إقامة المدارس تعليم الدين ليس بتعليم لغة الدين

أقيمت المدارس القومية الخاصة في المنطقة لتعليم الدين لا لتعليم لغة الدين، ويهدف المعلمون إلى إفهام المتعلمين معاني الكتب الدراسية لينشؤوهم علماء ربانيين وشخصيات بارزة للشريعة، ويعتقدون أن معظم المؤلفات القيّمة الإسلام وشروحها مترجمة بواسطة علماء شبه القارة، فلا يحتاجون إلى تعليم اللغة العربية ليكونوا راسخين في العلم، فيحرص مدرّسوا هذه المدارس على تعليم الطلاب بلغة محلية أو بلغة مناسبة مرغوبة فيها مثل اللغة الأردية، وفي معظم الأوقات يعلّمون ويتعلّمون العلوم الدينية باللغة الأردية، لا باللغة المحلية ولا باللغة العربية، فمعظم الطلاب ضعفاء في اللغة العربية لقلة تداولها في التعليم والتعلّم .

تأثير اللغة المحلية والأردية على اللغة العربية

يبدأ طلاب المدارس القومية في منطقة بنغال الغربية بتعلّم ثلاث لغات اللغة المحلية والأردية والعربية وفي بعض المدارس تدرس اللغة الفارسية أيضاً من المرحلة

١. محمد برو، المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل، ص ١٥٩.

٢. الندوي أختر نسيم، تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلات وتطلعات، ص ٣٠.

الابتدائية، فلما بدأوا رحلتهم التعليمية بهذه الأحوال الصعبة فلا يجيدون أية لغة إلا قليلاً، ولما بدأوا صراع ضبط ثلاث أو أربع لغات في حياتهم التعليمية، مالوا إلى أسهل اللغات الثلاثة وهي اللغة المحلية ثم الأردية ثم العربية، طبعا، ثم فضّلوا ممارسة اللغة الميسورة والسهلة أي اللغة الأردية – ودراسة الكتب المؤلفة لهذه اللغة حتى ارتقوا إلى المراحل العليا لا يَدُرُسُون الكتب المؤلفة باللغة الصعبة إلا لحاجة ماسّة، واللغة العربية أصعب هذه اللغات الثلاثة، فتأثرت اللغة العربية باللغة الأردية واللغة المحلية أي البنغالية في هذه المدارس القومية.

انعدام البيئة المناسبة لتعليم اللغة العربية

كما ذكرنا سابقا أن هذه المدارس تستهدف إلى تعليم الدين لا لتعليم لغة الدين، فينشغل المعلمون في تأهيل طلابهم وتكوين ملكتهم كي يتمكنوا لفهم علوم الشريعة حسب احتياجاتهم في حين أنّ تعليم اللغة العربية يعتمد على البيئة المناسبة التي تمارس فها أربع مهارات لغوية هي الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة، ولكن لا توجد فها مثل هذه البيئة إلا نادرا، وإن وجدت فها تفهم أنها ليست مبادرة مركزية بل مبادرة شخصية.

الفقرالمالي

تدار المدارس القومية في ولاية بنغال الغربية بمساعدة الناس من أغنياء المجتمع والزعماء، والسياسيين، ويَدْرُسُ كثير من الطلاب مجانا، وتدفع رواتب المعلمين والموظفين وتكاليف الطلاب من معوناتهم ومساعدتهم، ولا تزال تواجه اللجنة الإدارية مختلف المشكلات لتنظيم المدرسة التي تؤثر في عمليتهم الأكاديمية، وأحيانا لا تستطيع اللجنة الإدارية أن تعين المعلم المؤهل لقلة المال وضعف الفقر الاقتصادي، فلا تربى الطلاب وفاقاً لمتطلبات التربية ولا يتعلّم الطالب تعليماً كافياً يفي بالغرض.

فشل تكوبن الأمة القوبة مواجهة تحديات العولمة

الغاية الحقيقة للتعليم هي تكوين أمة مثقّفة ومتعلّمة، متمكّنة من مواجهة

تحديات العولمة إذ يستطيع المعلّمون أن يزبلوا الجهل والفساد عن المجتمع وينشؤون بينهم الشجاعة والسيادة وميزات الشخصية والقيادة، ويشعرون أبناء المجتمع بقيادتهم ويقيمون بينهم المؤاخاة والمواساة ويبعدون عنهم السيطرة والبغاة، ولكن في هذه المدارس تدرس الكتب المؤلفة قبل ألف عام من الفقه والعقيدة والمنطق والصرف والنحو والبلاغة وتلحظ عدم الاهتمام بمادة التاريخ ومادة الجغرافيا ومادة اللغة الإنجليزية ومادة العلوم والتكنولوجيا ومادة المصطلحات العربية الجديدة والمواد الحديثة الأخرى. كيف يواجه طلاب المدارس القومية تحديات العولمة هذه بأن يدرسوا هذه المقررات القديمة، إذاً لا يفكر المسؤولون عن المدرسة أن يجعلوهم أمة مثقفة يواجهون التحديات بذخيرة علومهم ورقيق عقولهم وعميق أفكارهم.

طرق تدريس القديمة

الطرق والأساليب التي استمرت في تدريس قطاع المدارس القومية في المنطقة قديمة وترى عدم وجود ترتيبات لتدريب المعلمين، فالتدريس في هذا القطاع قاطبة يعتمد على الأساليب القديمة من التلقين والحفظ، دون العناية بتنمية مهارات الطالب العقلية والبحثية واللغوية، كما يغفل المدرسون عن الأساليب والوسائل الحديثة في مجال التعليم، ومن أهم الخطوات والانجازات في تطوير تعليم اللغة العربية في هذه المدارس اتخاذ الخطوات الفعلية لتدريب المعلمين العاملين في هذا القطاع، ولكن لا يوجد قطاع يعمل لتطوير طرائق تدريس اللغة وأساليهم.

أهمّ المقترحات لحلّ تحدّيات تعليم اللغة العربية

كما نعرف أن العصر الحالي شهد ويشهد تقدما رهيبا في المعرفة التي تضاعفت لأول مرة بعد عام ١٧٥٠م، وتضاعفت في المرة الثانية بعد ١٩٠٠م، لا سيما بعد ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية الكثيرة، ونتيجة للتجدد والتطور في هياكل المعرفة والنمو الذي يطرأ عليها يوما بعد آخر، لم تعد المعارف التي تزودت بها أجيالنا في المؤسسات التعليمية قابلة للاستخدام والتطبيق لمدة طويلة في المستقبل فمثل هذا التحدي يطرح تساؤلات عدّة بالنسبة لتخطيط المناهج التعليمية للمتعلمين؟ وكيف يتم تقديم

أو معالجة تلك المعرفة في الكتب المدرسية؟ وما أنسب الأساليب اللازمة للتفاعل مع المعرفة؟ نظرا لما تقدم ذكر الباحث في الأخير أهم المقترحات والتوصيات التي توصل إليها من خلال هذه الدراسة الموجزة وهي:

الأول: تغيير وجهة نظر

يعتقد هيئة كبار العلماء الذين لا يزال يفكرون في تطوير المدارس القومية ليرتقوا بها يوما بعد يوم، أن تبديل المناهج الدراسية القديمة وطرائق التدريس وأساليها لا يناسب بسبب تشخيص أخطاء العلماء المتقدمين الذين بذلوا جهودهم إلى آخر حياتهم لترويج هذا النظام التعليمي الإسلامي وأن مواجهتهم تعد صعبة للغاية، ويعتقدون أيضاً أن المؤلفات من المناهج الجارية وإن لم تكن معاصرة ولكن مؤلفها كانوا من العلماء الربانيين وإن تدريسها الطلاب تفيد أكثر من دراسة المؤلفات الحديثة المتعلقة بالمادة الخاصة، كما يعتقدون أيضاً أن تغيير المناهج الدراسية تهلك المدارس القومية، ولكن الباحث يزعم أن وجهة النظر هذه غير معقولة وأنها تعصب وما نسعى اليه لا يهلك النظام الأصلي للتعليم، ورغم ذلك شهدت اللغة العربية من حيث الاهتمام بها تطورا بارزا ملموسا في السنوات الأخيرة، وإن كان جهداً قليلا إلا أنه جهداً مشكوراً بالمقارنة مع العصور الماضية.

الثاني: تبديل المناهج الدراسية القديمة

إن المقررات الدراسية للغة العربية بمختلف مراحل المدارس القومية في منطقة بنغال الغربية غير كاف وغير حديث لتعليم اللغة العربية كلغة للفهم والتخاطب والكتابة على الوجه الأتم والأكمل؛ لأن بعض المقررات الدراسية في بعض المراحل لا تتناسب مع المراحل نفسها، فضلاً عن مشاكل تعليم اللغة العربية وتعلّمها بالمناهج القديمة والكتب الدراسية والبيئة المدرسية والأزمات المالية والاقتصادية، ولكن المشاكل كلها قابلة للحلول بفضل الله أولاً ثم بالتعاون مع جهود العلماء الربّانيّين المخلصين وأهل الخير ثانيا.

الثالث: التركيز على تعليم اللغة العربية من المرحلة الابتدائية

يبدأ طلاب المدارس القومية في ولاية بنغال الغربية دراستهم بتعليم ثلاث لغات من المرحلة الابتدائية، ولذا أنهم لا يستطيعون أن يركزوا على لغة واحدة، ولا يحذقون بأية لغة خاصة، فيجب على المعلمين أن يركزوا على تعليم اللغة العربية للطلاب بعد تعليم لغتهم المحلية من مرحلتهم الابتدائية، ثم إلى لغة أخرى يحتاجون إليها لفهم علوم الشريعة، لأن المؤلفات الشرعية مكتوبة باللغة العربية، ومن يريد أن يجعلهم مبدعين في العلوم الإسلامية فلا محالة أن يجعلهم متخصصين بتعلّم اللغة العربية ودراسة المؤلفات العربية.

الرابع: إدارة المحاضرة بواسطة اللغة العربية

يعتمد تعليم اللغة على الممارسة، ومن يمارس لغة أجنبية دائما يتعلم بأسرع وقت ممكن ويستوعها بأقل مدة قصيرة، ونجد أن الطلاب الذين يدرسون في المدارس الحديثة بواسطة اللغة الإنجليزية يستطيعون أن يعبروا ما في ضمائرهم باللغة الإنجليزية من مرحلة روضة الأطفال، كيف يمكن؟ لأنهم ما دام يمكثون في البيئة الإنجليزية استماعا ومحادثة وقراءة وكتابة في الفترة المدرسية. إن يلقي مدرسو المدارس القومية محاضراتهم في الفصل باللغة العربية يتمكن الطلاب أن يأخذوها بطريقة سهلة أ.

الخامس: تعليم الطلاب بطرائق التدريس الحديثة

ينبغي للمدرسين الاهتمام بطرائق التدريس الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلّمها في المدارس مع الاستفادة من تجارب الدول الإسلامية والعربية التي تتقدم يوما بعد يوم في تحقيق الهدف المنشود، والعناية التامة بدراسة اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية، وجعلها مادة أساسية، تدرس كلغة للفهم والتخاطب والكتابة، كما

53

الفوزان عبد الرحمن بن إبراهيم، إضاءت لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، الرياض،
 ٢٠١١م.

ينبغي لهم أن يستخدموا الوسائل التعليمية الحديثة في التدريس مثل اللوحة الذكية، ومكبّر الصوت، وبروزكتر وغير ذلك.

خاتمة

وفي الختام نقول إنّنا ألقينا النظر في أوضاع مناهج الدراسات العربية في المدارس القومية في منطقة بنغال الغربية ووجدنا فها المبالغة في العلوم العقلية، وإهمال المواد الأساسية الإسلامية، وإهمال اللغة العربية، وما زالت اللغة الغربية تُدرّس فها، ولا تعطي نصيها من العناية للغة العربية، بل العناية تنصب على الأردية والفارسية، مما جعل الطالب غير متمكن في فهم المراجع العربية الأصلية، وفي التأليف أو التدريس باللغة العربية فكان من الواجب في المدارس القومية أن تعتني بتعليم اللغة العربية قبل كل شيئ. ومن نتائج ضعف مناهج تعليم اللغة العربية عدم ظهور الحركة اللغوية والأدبية العربية في هذه المنطقة.

وبالرغم من ذلك إذ نناقش موضوع المدارس الحكومية والقومية والمعاهد والمؤسسات في ولاية بنغال الغربية التي تتعلق بتعليم اللغة العربية وتعلمها نجد أن المدارس القومية هي أفضل مؤسسة يهتم فيها أشد اهتمام ويسعى فيها غاية السعى بتعليم اللغة العربية وتعلّمها من المؤسسات الأخرى، ولكنهم يختلفون في تفسير مناهجهم وطرائق تدريسهم وأساليهم، وإن تمكنوا من حل مشكلاتهم الجارية بتعليم اللغة العربية وتعلّمها فإنّهم يستطيعوا تنشئة جيل قوى وأمة مثقفة متمكنة من مواجهة المشاكل والتحديات لتنمية المجتمع الإسلامي في المنطقة.

المصادروالمراجع

- ا. خان ظفر الإسلام، مسلمو ولاية بنغال الغربية الهندية يموتون جوعا!
 جريدة الرياض، إبريل ٢٠٠٥م.
- الندوي معراج أحمد معراج، واقع اللغة العربية في الهند، شبكة المدارس الإسلامية، (www.madarisweb.com) تاريخ الدخول ٢٥/ 2022.

- ٣. برو محمد، المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل.
- الوكيل حلي أحمد، محمد أمين المفتي، المناهج والمفهوم والعناصر والأسس
 التنظيمية والتطوير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٥. سعادة أحمد جودة، وعبد الله محمد إبراهيم، تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، دار الشروق، عمان، ٢٠٠١م.
 - ٦. الندوي أبو الحسن، المسلمون في الهند.
- الدراسات العربية في البنغال الغربية خلال القرن العشرين: دراسة تحليلية،
 بحث جامعي تم تقديمه من محمد سعيد الرحمن لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه في الجامعة جواهر لال نهرو، ٢٠٠٩م.
 - р 20. Islam in Bengal Jagdish Sarkar Narayan . А
 - ٩. الندوي إقبال، اللغة العربية في الهند عبر العصور.
 - ١٠. الندوي أختر نسيم، تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلات وتطلعات.
 - ١١. البعث الإسلامي، العدد الثامن، مارس ٢٠١٤م، ص ٣.

مسيرة الإسلام إلى مليبار وانعكاساته

د. حسينة بيغم تتارشيري ا

الملخص

كان تأثير الدولة الإسلامية قويا في عهد الخلافة الراشدة وكذا في عهد الدولة الأموية والعباسية والغزنوية والمغولية. واستطاع المسلمون إقامة دولة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية فها، وصل الإسلام إلى الهند عن طريق عدة محاور وبعدة أساليب فطريقة دخول الإسلام وسبل انتشاره تختلف في جنوب الهند عما كانت عليه في شمالها، هكذا انتشر الإسلام في شبه القارة الهندية انتشارا بالغا بسبب قوتها وتأثيرها وحسن معاملتها وسيطرتها على قلوب البشر في القارة الهندية. وصار عدد المسلمين في الهند الآن حوالي أكثر من ١٧٦ مليون (كما ورد في آخر إحصائية). وهذه المقالة تسلط الأضواء على قدوم الإسلام في ماليبار ما المناطق المجاورة لها وتاريخ الدعوة الإسلامية وتأثيره في المجتمع الهندي الجنوبي

الكلمات الدليلية: ماليبار، الهند الجنوبي، انتشار الإسلام، محمد بن القسم وصل الإسلام إلى شمال الهند عن طريق المحور الشمالي الغربي بأسلوب الفتوحات الإسلامية وقتئذ كما هو الحال في بلاد ما وراء النهر وفارس، وكانت الفتوحات الأولى التي قادها محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ه شملت إقليم السند وشمال شبه القارة الهندية في السند والبنجاب وصولا إلى جنوب البنغال، وكذلك البلاد المجاورة لها حاليا مثل بورما أو ما يُسمى حاليا ميانمار ومناطق كثيرة فتحها المسلمون. وقد بسط محمد بن القاسم نفوذ الدولة الإسلامية على تلك البلاد كلها.

ا الأستاذة المساعدة في قسم البحوث والدراسات العربية، كلية جمعية التعليمي الإسلامي, ممباد, ملابرام, كيرالا.

أما المحور الثاني فهو جنوب الهند فقد وصل الإسلام إلى جنوب شبه القارة الهندية بأساليب تختلف عما كانت عليه في الشمال، وهناك اختلاف بين علماء التاريخ حول تعيين مدة دخول الإسلام إلى كيرالا بوابة الإسلام الساحلية في جنوب شبه القارة الهندية. يقول بعضهم إنه دخلها في عهد النبي ، والبعض الآخر يقول إنه دخلها في القرن الثاني الهجري، عندما وصلت وفود عربية إسلامية إلى الهند للتجارة ومن ثم نشر تعاليم الدين الإسلامي عندما كانوا يرون بعض الأعمال المخالفة للفطرة الإنسانية، وقد لاقت دعوتهم ونشرهم لتعاليم الدين الإسلامي قبولا في المجتمع الهندي هناك، مما جعلهم يدعون أولئك التجار والدعاة العرب إلى المكوث بينهم فاستوطنوا كدعاة إلى الإسلام وبسبب ذلك انتشر الإسلام في أنحاء الهند جنوبا خاصة في سواحل كيرالا التي غلب عليها اسم مليبار. يقول المؤرخ الهندي المعروف الدكتور تارا تشند: "وأما بعد البعثة النبوبة فاجتهد بعضهم في دعوة الإسلام أيضا".

في حقيقة الأمر إن القوافل التجارية كانت سائرة بين الجزيرة العربية ومليبار ذهابا وإيابا من قبل البعثة النبوية وما بعدها، وهذا يستوجب نقل التعاليم الجديدة مع نقل البضائع خاصة والمسلمون كلهم يعتبرون دعاة إلى الدين الإسلامي حسب تعاليم القرآن الكريم التي ترى أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل فرد مسلم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ مُمُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا هُمُ المُنْفِرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلُولًا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِينْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِينْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْم لَعَلَّهُمْ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِينْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْم لَعَلَّهُمْ لَعَلَيْهُمْ مَنْ أَلَا لللهِم فَي مليبار واستوطنوا يَحْدَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. لذا فقد نشر التجار العرب الإسلام في مليبار واستوطنوا بعض سواحلها وأكثرهم من أهل الحجاز واليمن والبحرين، وقد استمر هذا الاستيطان لعدة قرون، ولذا فإن الإسلام قد وصل إلى الهند في القرن الأول الهجري، وكبرالا كانت المنطقة الأولى في الهند اعتناقا للإسلام، وذلك بواسطة التجار العرب

١ دكتور تارا تشند، تأثير الإسلام في الثقافة الهندية كتاب إلكتروني: صفحة ٣٧

المسلمين. فتراث مسلمي كيرالا عربي خالص. فقد دخل العرب المسلمون إليها ووصلوا من البلاد العربية مباشرة عن طريق البحر. ولما توثقت تجارتهم في هذا البلد استوطن منهم كثيرون في بعض مدنها الساحلية وتزوجوا بنساء مليبار فصارت المصاهرة تجعل التجارة قوية ومتينة، أما بالنسبة لحكام كيرالا وملوكها لاسيما ساموتري ملك كاليكوت فقد أقر للمسلمين هذه المصاهرة بين العرب وإناث مليبار وقد أنتجت هذه المصاهرة شعبا جديدا أسماهم المؤرخون والشعب باسم "مابلا"، يقول في ذلك الشيخ الدكتور محمد ك:

"ولما ظهر نور الإسلام في الجزيرة العربية بيد الرسول ها انتشرت أشعته في سواحل كيرالا بواسطة هؤلاء التجار العرب. وهم قدموا إلى هذه الأراضي وبعضهم استوطن سواحلها وتزوجوا من نسائها. فتولدت منهن سلالة جديدة من الأمة البشرية التي سماها الأهالي "بمابلا" آباؤهم العرب وأمهاتهم نساء كيرالا. وهم عاشروا سكان كيرالا، الهندوس، معاشرة حسنة جدا. وهذه المعاشرة والأخوة والمساواة التي رآها الهندوس في المسلمين قرّبت نفوسهم من الإسلام. وملوكها منحوا للمسلمين أراضي مجّانا لبناء المساجد. وبعض الملوك تعانقوا بالإسلام وسافروا إلى الجزيرة العربية".

وبقول الدكتوركي.كي بلا:

"بسبب تطور التجارة وارتقائها وزيارة تسهيلاتها استوطن كثير من العرب سواحل كيرالا في القرن الثامن للميلاد"٢.

وهم (التجار العرب) من نشر الإسلام ودعوا أهالي كيرالا إليه علاوة على التجارة،

١ الدكتور الشيخ محمد. ك، اللغة العربية في كيرالا، صفحة: ٢٢-٣٦ ٢ دكتور كي كي بلا، تاريخ جنوب الهند، صفحة: ١٢٨ (مليالم)

وكانوا ضيوفا لسكان مليبار الذين هم من مختلف الطبقات الهندوسية فاعتنقوا الإسلام وعاشروا المسلمين العرب معاشرة طيبة، ومعظمهم كانوا من أهل الطبقة الأسلام وعاشروا المسلمين العرب معاشرة طيبة، وهم المنبوذون فيهم المشتغلون بالمهن الشودري٬٬ وهم طبقة عبيد الأرض (القن). وهم المنبوذون فيهم المشتغلون بالمهن الحقيرة مثل غسل الملابس وتنظيف الجلود والكناسة.

"وقد نصت الشريعة الهندوسية في كتاب " قوانين مانو" الذي ألف في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، على تعليمات تثبت هذا النظام الطبقي بحيث كان من المستحيل على كل واحد منها أن يستقل عن تلك الطبقات وبموجب هذه التعليمات ينبغي أن يعيش الكل في إطار جماعتهم، ولم يكن في مقدور أحد أن يأكل أو يشرب أو يتزوج من طائفة أخرى".

يقول المؤرخ الهندي المعروف تارا تشند:

"نقبت من بعض جهات كيرالا المنسوبة إلى الدولة الأموية الإسلامية يدل على المعاملات لسكان كيرالا مع العرب في تلك الأيام ويقال إن حجاج بن يوس الثقفي المتوفى سنة ٢١٤م والي العراق من جهة هشام بن عبد الملك كان قد أرسل جيشا لتوسيع مملكته وفرقة من الجنود استوطنت بساحل المعبر وبعضهم استوطن في كنيا كوماري وأبناء الفرقة الأولى يعرفون حاليا بأسرة نوايت والأخرى بأسرة لبا"

يقول الشيخ أحمد بن زين الدين بن محمد الغزالي المخدوم، صاحب تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، عن وصول الإسلام إلى كيرالا: "وظهر فيها الإسلام ظهورا بالغاحتى كثر المسلمون فيها وعمروا بهم بلدانها مع قلة ظلم رعاتها

ا وهم من أهل الطبقة السفلي من الهندوسيون

٢ الدكتور جمال الدين الفاروقي، دراسات في الثقافة والحضارة، صفحة ٢٩

٣دكتور تارا تشند، تأثير الإسلام في الثقافة الهندية كتاب إلكتروني

الكفرة وعدم تعديهم عن رسومهم القديمة، وآتاهم الله نعمة وسيعة، فعبروا على ذلك زمانا"\.

إسلام تشيرمان فرومال وقدوم مالك بن دينار

يقول بعض المؤرخون عن دخول الإسلام إلى كيرالا بأنه كان بسفر وفد من العرب إلى سيلان لرؤبة علامة قدم أبينا آدم عليه السلام في جبل آدم المعروف وقد يقال:

سافر وفد من العرب إلى جبل آدم في سيلان، ونزلوا في كدنغلور للاستراحة. وكان كدنغلور في ذلك الوقت عاصمة بلاد كيرالا. وسمع الملك (المشهور عند المؤرخين "تشيرمان فرومال" وبعضهم يقول هو "بانا فرمال") عن وفد العرب، وسأل الملك عن أخبارهم فأخبر الوفد بأمر محمد هو وبدين الإسلام وبمعجزة انشقاق القمر ولما سمع الملك أخبارهم أمرهم بالرجوع إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام من سيلان وأخبرهم الملك رغبته لزبارة البلاد العربية.

ثم سافر الوفد إلى سيلان وفى عودتهم نزلوا في كدنغلور واستعد الملك للخروج معهم وكان سفره منها زاهدا في الدنيا ومهملا أمور الحكم وسلطنته، ودعا الناس جميعا ونصحهم بما يليق بحالهم. وكان منجذبا إلى دين الإسلام وأحكامه وسنة النبي يقول زبن الدين المخدوم في كتابه تحفة المجاهدين "لما قرب السفر نهى الملك أهل بيته ووزرائه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا، وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده"

وصل الملك إلى بلاد العرب ولقي النبي الله وأسلم ونال سعادة برؤيته ثم خرج منها إلى بلدته لنشر الإسلام ولكن للأسف أصابه المرض في بلدة شحر ومات بها ودفن هناك.

١١ لمخدوم، زين الدين محمد الغزالي. تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. صفحة: ٤، مكتبة الهدى، كاليكوت ١٩٩٦م

٢ لمخدوم، زين الدين محمد الغزالي. تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. صفحة: ٤، مكتبة الهدى، كاليكوت ١٩٩٦م

وكان اسمه في الإسلام تاج الدين. وضريجه مشهور حتى الآن يزوره الناس، وهو في ظفار في ولاية سلالة بسلطنة عمان وقبره محاط بأشجار النارجيل والموز وغيرها كما في مليبار. وهذا المكان يبعد من مسقط عمان حوالي ألف. ك.م. وجدير بالذكر أن الموسم في منطقة سلالة شبيه بموسم ولاية كيرالا.

يقول الدكتور محمد إسماعيل الندوي عن وفد الصحابة الذين قدموا إلى مليبار لنشر الدعوة الإسلامية بعد وفاة ذلك الملك المذكور. يقول "أن طائفة من العرب المسلمين وفدوا على مليبار في طريق بحثهم عن مكان نزول آدم أبي البشر عليه السلام. فلما بلغ ذلك "سامري" ملك مالابار دعاهم إليه واستضافهم وأحلهم منزلة كبيرة في بلاطه. ثم عرف منهم أن نبيا قد بعث في بلاد العرب، يدعو الناس إلى الإسلام، وجاء بمعجزات عظيمة منها حادثة شق القمر، فاشتاق الملك إلى الإسلام ورؤية النبي كما آمن به وأخفي أمره. ثم استعد للسفر إلى بلاد العرب برفقة هؤلاء العرب. وعندما كانوا في سفنهم وفي رحلتهم الطوبلة إلى الحجاز أصابه مرض شديد، لم يكن له أمل من شفائه منه، فأوصى أصحابه وهم: شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب بعدم تأجيل سفرهم عقب وفاته. ثم كتب وثيقة إلى أهله وذويه في مالابار ونصح فيها بإخفاء أمر مرضه ووفاته على شعب مالابار. فلما لقي الملك حتفه عاد أصحابه إلى مالابار ليبلغوا وصاياه إلى أهله فرحب بهم أهله ومنحوا لهم أرضا شاسعة وأعطوا لهم مسهيلات كثيرة لاستيطان أراضي مالابار تشييد مسجد الله".

يكتب المؤرخ بالاكرشنابلا في كتابه "ان محمد بن عبد الله قد بعث الرسائل يدعو فيها إلى الإسلام إلى ملوك أفريقا وملك مليبار. وأن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك مليبار في عام ٦٤٢ الميلادي، وأن جيرامان برمال (ملك كدنغلور)، قد زار النبي في في السابع والخمسين من عمره، في ذلك الزمن وصلت إلى بلاد مليبار جماعة

ا تاريخ صلات بين الهند وبلاد العربية، لدكتور محمد إسماعيل الندوي، صفحة: ٣٨-٣٨، بيروت

العدد: ١٩، ديسمبر ٢٠٢٢

61

من الدعاة المسلمين العرب، وعلى رأسهم مالك بن دينار وشرف بن مالك، ونزلوا بمدينة كدنغلور، ثم جاءوا إلى جميع أنحاء كيرالا داعين إلى دين الإسلام وبانيين المساجد\.

وقبل موت تشرمان فرمال وصى أصدقائه في السفر مالك بن دينار واتباعه ان يتابعوا السفر. خرج مالك بن دينار وأتباعه إلى كدنغلور ونزلوا فها، والتقوا ملكها وسلم الرسالة الملكية إليه. وأكرمهم الملك وهيأ لهم كلما يحتاجون إليه أثناء إقامتهم هناك ولنشر الإسلام فها. وأعطاهم رسالة الإسلام إلى الأهالي في كودنغلور. تعتبر هذه الرسالة نقطة التحول في انتشار الإسلام كيرالا. وذكر المؤرخ سيد محمد في كتابه المليالمي تاريخ مسلمي مليبار "ونزل مالك بن دينار في كدنغلور ثم ذهب إلى المدينة درمابتنم ودعا ابن أخت تشيرمان فرومال إلى الإسلام فأسلم وسماه محمد علي".

ثم خرج مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم، وتوطنوا فيها. غادر مالك بن دينار وبعض أصحابه من كدنغلور وسافروا إلى شحر، وزاروا قبر الملك المتوفى فيها. ثم سافر مالك بن دينار إلى خراسان وتوفى فيها. ورجع مالك بن حبيب مع زوجته بعد ما ترك بعض أولاده في كولم إلى كدنغلور وتوفى فيها. فهذه واقعة تاريخية يعتقدها جميع سكان هذا البلد، والمؤرخون أيضا لا ينكرونها قطعا حتى اليوم، وإنما الاختلاف عندهم في اسم هذا الملك وعصره بعضهم يذهب إلى أن هذه الواقعة حدثت في زمن النبي .

مؤرخ كيرالا سيد محمد نقل عن على الطبري (٦٨٥-٨٦١) "أن ملكا من ملوك كيرلا فد تشرف بزيارة النبي ولغاته، وإنه سكن في ضيافته هي سبعة عشر يوما". يقول العلامة أحمد زبن الدين بن محمد الغزالي المخدوم صاحب تحفة المجاهدين عن هذه

مجلة الدراسات العربية

_

١ تاريخ كيرالا لدكتور بالاكرشنا بلا، صفحة:١٦٥، ترشور ١٩٧٨

۲ سید محمد: تاریخ مسلمی ملیبار (ملیالم) صفحه ۷۰

[&]quot; المرجع السابق صفحة ٦٣

فهنا نرى اختلاف المؤرخين في تحديد عصر الواقعة وكذا في عدد من كان في الوفد الذي جاء إلى مليبار. وفي رأي أنهم كانوا ١٥ شخصا، وخمسة منها نساء، وهم مالك بن دينار، حبيب بن مالك، محمد بن مالك، علي بن مالك حسين بن مالك، تقي الدين بن مالك، عبد الرحمن بن مالك، إبراهيم بن مالك، موسى بن مالك، حسن بن مالك، فاطمة، عائشة، قمرية، زينب، حليمة.

وقد سبق أن مالك بن دينار وأصحابه لم يرجعوا إلى أوطانهم، بل بقوا في كيرالا واتخذوها دارا لهم. بعد قدوم هؤلاء الأوّلين شهدت القرون المتعاقبة مزيدا من استيطان العرب في أرجاء كيرالا وبعض هذه الأسر العربية المستوطنة لا تزال باقية في كيرالا إلى الآن منها والأسرة البافقهية بكويلاندى والأسرة المخدومية بفنان. ويعتبر أن جميع الأسرة الساداتية بكيرالا التي تعرف باسم أسرة تنغل استوطنوا هكذا في مختلف الأزمنة والعصور.

يقول الشيخ أحمد بن زين الدين بن محمد الغزالي المخدوم، صاحب تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، عن وصول الإسلام إلى كيرالا.

"وذلك أن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كدنغلور، وهي مساكن ملكها- في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم، وطلبوا منه الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوا فها. وبعد ذلك بسنين وصل إليها جماعة من الفقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان. فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار. فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد

63

ا لمخدوم، زبن الدين محمد الغزالي. تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. صفحة : ١٦ مكتبة الهدى، كاليكوت ١٩٩٦م

ردين الإسلام، وبمعجزة انشقاق القمر. فأدخل الله سبحانه وتعالى في قلبه صدق النبي ﷺ، فأمن به، ودخل في قلبه حب النبي ﷺ، وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زبارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم، ومنعه أن يحدث بهذا السر للمليباريين. ثم إنهم سافروا إلى سيلان ورجعوا إليه. فأمر الملك الشيخ بأن يهي مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد. وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء. فقال الشيخ لصاحب مركب "أنا وجماعة من الفقراء نتوقع أن نركب في مركبك" فرضي بذلك صاحب المركب. ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزرائه أن يدخل عليه أحد منهم مدة سبعة أيام، وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا، وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه. والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا. وكان ملكا متواليا في جميع مليبار. وحدها من الجنوب كنياكماري، ومن الشمال كاسركوت. ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا، وسار المركب إلى درمفتن، ونزل فها ولبث ثلاثة أيام، ومنها سار المركب إلى شحر، ونزل فيها هو ومن معه. وبعد مدة طوبلة رافقته جماعة في السفر معه إلى مليبار لعمارة المساجد واظهار دين الإسلام فيها. ثم إن الملك مرض واشتد مرضه فوصى أصحابه الذين رافقوه وهو شرف بن مالك، وأخوه من الأم مالك بن دينار، وابن أخيه حبيب بن مالك وغيرهم، بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته، فقالوا: "نحن لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك، وإنما أردنا السفر بصحبتك" فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقربائه، وأسماء ملوكهم وأمرهم أن ينزلوا في كدنكلور أو درمفتن أو فندربنة أو كولم. وقال لهم لا تخبروا بشدة مرضى ولا بموتى إن متّ، أحدا من المليباريين، ثم إنه توفي رحمه الله رحمة واسعة.

وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك، ومالك بن دينار، ومالك بن حبيب وزوجته قمرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلى مليبار في مركب، فوصلوا كدنغلور، ونزلوا فيها وأعطوا ورقة الملك الذي فيها وأخفوا خبر موته، فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضى ما كتبه، فأقاموا فيها مسجدا، وتوطن فيها

مالك بن دينار، وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار، فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا، ثم خرج منها بعد ما خلى زوجته فيها إلى هيلي ماراوي، وعمر بها مسجدا. ثم إلى باكنور وعمر بها مسجدا، ثم رجع منها إلى منجلور وعمر بها مسجدا، وخرج إلى كاسركوت وعمر بها مسجدا. وخرج إلى هيلي ماراوي وأقام فيها ثلاثة أشهر، ومنها إلى جرفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى شاليات وعمر بها مسجدا، وأقام بها مدة خمسة أشهر، ومنها إلى كدنغلور عند عمه مالك بن دينار، ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدنغلور شاكرا لله وحامدا له لظهور دين الإسلام في أرض ممتلكة كفرا" .

ولا شك أن مالك بن دينار وأصحابه نزلوا في ميناء كدنغلور سنة ٢١هـ وهؤلاء كانوا أول وفد قدموا من العرب المسلمين، أن مالك بن دينار ومالك بن حبيب نزلا مع عائلتهما بملابار في عام ٢٤٢م بموافقة وصية جيرامان برومال، الملك الهندي الذي اعتنق الإسلام. وتعد كدنغلور هي المدينة الأولى في الهند التي استوطنها مسلمو الجزيرة العربية، "وأول دعاة الإسلام الذين وفدوا إلى "كيرالا" اثنا عشر من الصحابة الكرام، أو التابعين الكبار". كان هدفهم الهام نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية بعموم ولاية مليبار.

المصادروالمراجع

١. القرآن الكريم.

ا تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، لزين الدين المخدوم الصغير، صفحة: ٢٦-٣٦، مكتبة الهدى، كاليكوت ١٩٩٦م

٢ على هامش التفاسير لسيد إسماعيل شهاب الدين البخاري، صفحة:٦٤، بانور، كيرالا، ١٩٩٨م

- ٢. أعلام الأدب العربي في الهند، الفاروقي، د/جمال الدين ولآدرشيري عبد
 الرحمن وعبد الرحمن المنغادى، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٨
- المسلمون في كيرالا، عبد الغفور عبد الله القاسمي، مالابرم، ٢٠٠٠م.
- الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، الدكتور محي الدين الألوائي، دمشق ١٩٨٦م.
- ٥. الإرشادات الجفرية في الرد على الضلالات النجدية للشيخ الجفري،
 كاليكوت ١٩٩٩
- ٦. الشعر العربي في كيرالا مبدأ وتطوره، الدكتور ويران معي الدين القاروق، كاليكوت، ٢٠٠٣م
- ٧. الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، أبو الحسن على الحسن الندوي، لكنو ١٩٩٠م
- ٨. التاريخ الإسلامي، شاكر، محمود (التاريخ المعاصر القارة الهندية)
 المكتب الإسلامي (الطبعة الثانية) بيروت ١٩٩٧م.
- ٩. تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، قدم له وحققه وعلق عليه،
 محمد سعيد الطريحي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ۱۰. تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، الدكتور اسماعيل الندوي، بيروت
 - ١١. تحفة أحباب، أحمد بن نور الدين الملوى، تانور، ١٩٢٧م
- ۱۲. حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، لكنو، الهند ٢٠٠٦.
- ١٣. مقاومة الاستعمار البرتغالي في مليبار، الدكتور أبوبكر محمد، كاليكوت، ٢٠٠٧م
 - ١٤. معجم البلدان الحموي، ياقوت، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م

- ١٥. مساهمة علماء كيرالا للأدب الفقهي باللغة العربية حسين، الدكتور،
 جامعة كاليكوت، ٢٠٠١م
- ١٦. نزهة الخواطر الحسني عبد الحي، حيدر آباد ١٣٨٢هـ، اسماعيل شهاب الدين البخاري
 - ١٧. تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان، كاليكوت، ١٩٩٦م
 - ١٨. تحفة الألباء، مطبعة عامر الإسلام، ترورغادي، كيرالا
- ١٩. تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند الندوي، مسعود. نشر وتوزيع، الدار العربية، ١٩٨٧م

الصّراع بين المرأة والرجل في رواية "امرأة عند نقطة الصفر" لنوال السعداوي

اختر الإسلام واني

الملخّص

هذه الرواية "امرأة عند نقطة الصفر" من أهم الروايات الأولى لنوال السعداوي ونجد أن بطلة الرواية "فردوس" تنزلق إلى العهر والبغاء بعد أن نشأت يتيمة، وسكنت عند عمها الذي كان يتحرش بها جنسيا، ثم زوّجها من رجل عجوز خالٍ من المشاعر والأحاسيس، يمارس معها الجنس دون متعة أو إحساس، كما أنه يضربها باستمرار حول المآل الذي آلت إليه فردوس في الرواية المذكورة، ترى الناقدة سوسن ناجي أن فردوس" البطلة "تسقط بفعل إهمال الأب والعم، وتحترف حياة السقوط (البغاء) بفعل المجتمع، فالأب يتخلّى عن الابنة ويوكلها إلى العم، والعم يتخلص منها بزواجها من رجل نحيل ودميم ومسن، وتجد نفسها فجأة في الشارع لتعيش سلسلة متصلة من القهر والاستغلال.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة الذكورية، النسوية، حقوق المرأة، العنف، الاغتصاب، التهميش، الثوابت الدينية.

تقصّ الكاتبة فيها قصة امرأة المسماة بـ "فردوس" التي واجهت في حياتها أنواعا من الصعوبات والمعاناة، ساقها الرجال إلى مصيرها المحتوم في مجتمع ذكوري، حيث الرجل كل شيء وكل شيء في يده، والأنثى لا شيء، وليس في يدها شيء، وللرجل سيطرة على كل شيء، سواءً أكانت سلطة أو ثروة أو شهوة، والأنثى أداة لعبة بين يدي الرجل،

١ محاضر تعاقدى في الكلية ، مديرية كفوارة ، كشمير

تتناول نوال السعداوي مشاعر الأنثى بطلاقة وصراحة وبتجرد فتتحدث عن المرأة ومشاعرها وعواطفها، تجسد واقع الحال وما يجسّده من صرخات معلنة الانفلات من الأسر والثورة على التسلّط الذكوري، ومن المعروف أن نوال السعداوي كانت عالمة مشهورة ولها ملكة في علم النفس وتفهم المسائل النسائية جيدا، تمثّل في الرواية صورة المرأة المصرية في المجتمع المصرى كما حاولت تمثيلها في رواياتها الأخرى. أظهرت نوال في الرواية صورة شخصية "فردوس" كامرأة، ذكية، وشجاعة في الدفاع عن حقوقها، وتصوّر المرأة التي لم تنل حقوقها كاملةً، وأصابتها شدّة عائلية منذ نعومة أظفارها، تقصّ فردوس على الكاتبة حياتها التي كانت ملآنة بالمعاناة والآلام، وتحكى حياتها وحياة الفقر لأنها تعيش مع عمّها بعد أن لم تطّلع على أبها! فهي تبحث عن والدها، ولكن بدل أن تردّ علها هي تتعرض للختان! كما تقول: "وسألت أمي عن أبي وكيف ولدتني بغير أب، فضربتني وأتت بامرأة معها مطواة أو شفرة موسى وقطعوا قطعة من اللَّحم بين فخذي"\. ومن هي أمّها لا يوجد اسمها في العبارات صريحة ولكن الشيء المهمّ الذي يوجد في الرواية هو علاقة فردوس مع عمها علاقة قوبة، فهي تقول عنه خلال الأوضاع في المدرسة "وفي كل مرة يأتي إلينا عمى في الإجازة الصيفية، أتشبَّث بجلبابه وأقول له: خذني معك، فهو ليس كبيرا في السن، وبجعلني أجلس إلى جواره، وأنظر في كتبه، وقد علمني الحروف الأبجدية، وأرسلني إلى المدرسة الإلزامية، وبعد أن ماتت أمي أخذني معه إلى مصر"ً. بعد أن تزوج عمه من ابنة أستاذه أصبحت فردوس ثِقلًا عليهما، أجبرت فردوس للزواج من رجل يبلغ من العمر ستين عاما، وفردوس لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها! ومن المزبد أن زوجها يضايقها كثيرا وبتحرّش بها بطرق مختلفة، يسيء إليها ولا يمتنع عن إيذائها جسديا. سئمت فردوس من المعاناة وهي حزينة لم تستطع على تحمل الآلام، تغادر منزل زوجها وتلتقي بصاحب المقهي اسمه

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، ص ١٩

٢ نفس المصدر، ص٢٢

بيومي يطلب منها البقاء معه وسيعطيها وظيفة وسكنا، عندما تعيش فردوس هناك، تم اغتصابها من قبل بيومي ومن قِبَل أصدقاءه! أهانوها وعذبوها!، وبعد ذلك تغادر فردوس هذا المقهى. ومن ثَمّ انضمت إلى الدعارة بعد لقاء امرأة التي كانت تمارس الدّعارة وصارت عاهرة من الدرجة العالية! عندما ترى فردوس أن هناك الكثير من الاحترام للوظيفة الحكومية في المجتمع، تحاول الحصول على الوظيفة الحكومية وتبحث عنها، ومن خلالها تقع في حب رجل يدعى إبراهيم يحبها لكنه يغشّها ويهينها عاطفيا وجنسيا، ثم من الواضح أن فردوس سئمت منه وتركت الحصول على الوظيفة ودخلت في مركز الدعارة مرة أخرى. هناك تقابل رجلا يدعى مرزوق يحاول أيضا السيطرة على فردوس ويخضعها لسيطرته، تمرّدت فردوس ضده وتتجاهله، يسحب مرزوق سكينا ولكنها تقتله بسكّينه!

تصور الكاتبة هذا المشهد في الرواية قائلة: "ضحك الرجل القواد، وكان اسمه مرزوق وهو يراقبني من بعيد، وأنا أبحث عن شيء يحميني منه دون جدوى. وحينما لمحني وأنا أدخل بيتي دخل ورائي، حاولت أن أغلق الباب في وجهه، لكنه أخرج من جيبه سكينا وهددني، ودخل ورائي. قلت له: ماذا تريد مني؟ قال: أريد أن أحميك من الرجال الآخرين. قلت له: إن أحدا لا يهددني غيرك! قال: إذا لم أهددك أنا، فسوف يهددك رجل آخر؛ يكفي أن تأخذ أموالي، أما جسدي فهو ملك لي، وقال بلهجة رجال الأعمال الناجحين: أنا رجل أعمال، أجساد النساء هي رأسمالي، وأنا لا أخلط بين العمل وبين الحب.... ورأيت الشرر الأحمر في عينيه، وتحركت يده نحو جيبه ليخرج السكين، لكن يدي كانت أسرع من يده، وأغمدت السكين في عنقه، وأخرجت السكين من عنقه، ثم أغمدت مرة ثانية في صدره، وأخرجته، وأغمدته في بطنه، في كل أجزاء جسمه أغمدت السكين، ودهشت لمهولة حركة يدي وهي تغمد السكين، ودهشت أكثر لأنني لم أفعلها من قبل، وأدركت أنني كنت أخاف، وأن

الخوف لم يفارقني إلا تلك اللحظة الخاطفة التي رأيت فيها الخوف في عينيه" العترفت فردوس بقتلها ثم تم إرسالها إلى السجن، لكن فردوس كانت شجاعة للغاية وذات عزيمة كبيرة لدرجة أنها ترفض مناشدة رئيس الدولة للرحمة، ولهذا السبب تم إعدامها لاحقا.

هذه الرواية من أهم ما كتبتها نوال السعداوي في تاريخ الحركة النسوية حتى أن الرواد النسويين يتحدثون بأن من يريد أن يطلع على حقوق الإنسان وحقوق المرأة خاصة ينبغي له أن يقرأ هذه الرواية، وهي رواية التي نشرت في اللغة العربية عام ١٩٧٥م وترجمت إلى اللغات المختلفة لاسيما ترجمت إلى اللغة الإنكليزية ومن المعروف أن مترجمها إلى الإنكليزية هو الأديب الكبير زوج الكاتبة شريف حتاتة، والجدير بالذكر أن الرواية تم حظرها في العديد من الدول، بما في ذلك مصر والدول الأخرى، ولأنها احتوت على أفكار التي كانت معادية للعديد من شرائح المجتمع ولم يقبلها كثير من أفراد الطبقة الاجتماعية، فقد تمّ حظرها من قبل بعض الحكومات.

الفكرة الرئيسية للرواية كما يبدو من اسمها "امرأة عند نقطة الصفر" يكشف هذا الاسم عن دور المرأة في المجتمع ومكانتها ومن الواضح أن المرأة ليست لها مكانة ورفعة بل مكانتها هو صفر وهذه هي الفكرة الرئيسية للرواية. كتبت نوال أن هذه الرواية هي قصة امرأة اسمها "فردوس" وهي الشخصية الرئيسية في الرّواية، وتتمثل في الرواية كأنّها شخصية المرأة الحقيقية التي قابلتها نوال السعداوي في سجن القناطير منذ بضعة أعوام حين كانت تقوم بمحاولة البحث والتفتيش عن شخصية بعض النساء المتّهمات أو المحكوم عليهن في قضايا متنوّعة. وتلك الشخصية هي شخصية فردوس التي "حكم عليها بالإعدام لأنها قتلت رجلا، ولكنها ليست كالقاتلات المقيمات هنا في السجن؛ فهي شخصية مختلفة تماما، ولن تقابلي واحدة مثلها داخل السجن

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، ص ٦٣-٦٥

أو خارجه". وعندما تحاول الكاتبة مقابلة فردوس في السجن وتقيم العلاقات مع أعلى رجال البوليس كي تصل إلى فردوس وتطلع على جميع مدركاتها التي قد توالت عليها من الطفولة إلى أن كبرت ووصلت إلى السجن وهي تعرف شجاعة فردوس وحلمها لأنها رفضت مقابلة أحد، ورفضت أن تردّ على أحد. كما أنها "رفضت التوقيع على الالتماس لرئيس الدولة من أجل تخفيف الحكم عليها من الإعدام إلى السجن المؤبّد" لهذا فشلت كل جهود الكاتبة لمحاولة المقابلة بهذه الممثلة، وكانت حياتها كأنها إما فشلت أو أن محاولتها للبحث والتفتيش هي مهددة بالفشل وتشعر فقدان ثقتها بنفسها، وأن ثقتها بنفسها بدأت تهتز أو اهتزت فعلا.

كانت الكاتبة متضايقة للغاية لأن العادة هي أن الإنسان في السجن يصيبه الضيق ويحل به البؤس، فهو يريد مقابلة أشخاص حتى يتمكن الناس من مساعدته وحتى يتمكن السجين من الحصول على الدعم، لكنّ فردوس كانت امرأة لا تريد مقابلة أشخاص، وهي رافضة أشد الرفض، حتى أن رفضت الالتماس إلى رئيس الدولة، وتُفضّل الموت على مقابلة الرجال. لذلك كانت قلقة للغاية بشأن سبب حدوث هذا الاستعجاب. وهي في تفكير طويل في هذا المجال وتجول في خاطرها الأسئلة المختلفة تجاه فردوس وفي إحدى الليالي هي تقول: "أي نوع من النساء هي؟ وإذا رفضتني فهل معنى ذلك أنها أفضل مني؟ ولكنها رفضت أيضا مخاطبة رئيس الدولة في طلب له لإنقاذها من الشنق. فهل هي أفضل من رئيس الدولة؟ وتملكني إحساس غربب أشبه باليقين أنها أفضل من كل الرجال وكل النساء الذين نسمع عنهم أو نعرفهم... وفي الصباح التالي وجدت نفسي في السجن. لم أكن أسعى إلى محاولات جديدة للقاء فردوس؛ فقد يئست تماما من لقائها، لكني كنت أبحث عن

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مكتبة هنداوي، ص ١٣

٢ نفس المصدر، ص١٣

السجانة أو طبيب السجن"١.

وحينما عزمَتْ على مغادرة السجن وعلى قلب السيارة ناحية بيتها حينها في تلك الساعة سمعتْ صوتا من الخلف كأن أحدا يناديها وببلغها أن فردوس مستعدة لمقابلتها، عندما نظرَتْ إليها كانت هي السجانة التي كانت تبحث عن الكاتبة منذ هذا المشهد الطويل، كانت هذا الخبر أكبر وسيلة للفرح والسرور للكاتبة وتشعر بإحساس غربب في أعماق قلها وبدأت تسير قدماها نحوها كأنها لا تؤمن بأن خطاها تسير نحوها، لم تتيقّن بالسير ولا باللقاء، وتوقفت نوال السعداوي لحظة قبل أن تدخل من باب فردوس لتجمع أنفاسها وتعدل ياقة ثوبها. وكانت في الحقيقة تحاول أن تسترد نفسها وأن تسترد إحساسها العادي بنفسها، وبأنها باحثة علمية أو طبيبة نفسية أو أي شيء من هذا القبيل، فدخلت، وقامت أمامها وسمعتها تقول: "اجلسي على الأرض ودعيني أتكلم ولا تقاطعيني، فليس عندي وقت لأسمعك. في الساعة السادسة تماما بعد الظهر سيأتون وبأخذونني، وفي صباح الغد لن أكون هنا، ولن أكون في أي مكان يعرفه أحد. إن هذه الرحلة إلى مكان مجهول يجهله كل الناس فوق هذه الأرض بما فيهم الملوك والأمراء والحكام ورجال البوليس. كنت أبحث دائما عن شيء يملأني بالزهو، شيء يجعلني أحس أنني أفضل من جميع الناس، وعلى الأخص الملوك والأمراء والحكام. لم أكن أمسك أي جريدة وأرى فيها صورة لأي رجل منهم حتى أبصق على وجهه كنت أعرف أننى لا أبصق إلا على ورق الجربدة الذي احتاج إليه في فرش دواليب المطبخ، ومع ذلك كنت أبصق ثم أترك بصقتي تجف وحدها، ومن يراني وأنا أبصق على الوجه يظن أنني أعرفه بالذات، لكني لم أكن أعرفه بالذات. فلست إلا امرأة واحدة. لا يمكن لامرأة واحدة مهما كانت أن تعرف كل الرجال الذين تنشر الصحف صورهم، مهما كنت، فلم أكن إلا مومسا ناجحة، ومهما نجحت المومس فلا يمكن لها أن تعرف كل الرجال إلا أنّ كلّ رجل عرفته أردتّ أن أرفع يدى عاليا في الهواء ثم أهوى بها على

١ المصدر السابق، ص ١٥

وجهه. ولأنني كنت امرأة فقد كنت أخاف أن أرفع يدي. ولأنني كنت مومسا، فقد كنت أخفي خوفي بطبقة من المساحيق. ولأنني كنت ناجحة، فقد كانت مساحيقي ثمينة جيدة النوع كمساحيق النساء الشريفات من الطبقة العليا"\.

فهي تخبر الكاتبة عن سبب دخولها في السجن وعن الأمر بإعدامها في الأيام القريبة، واغلاق النوافذ والأبواب علها، وتشارك معها الأحاديث الداخلية الشهية ومتحدثة عن الهيمنة الذكوربة التي لها خوف من فردوس لأنها وحيدة في الأرض التي لا تخاف الرجال ولا من مواجهتهم وحتى من قتلهم فلهذا الرجال يرغبون كثيرا في أن يقتلوها شرّ قتلة لأنها تربد أن تكشف النقاب عن وجوه الرجال وعن حقيقهم النشعة، فلهذا هم حكموا عليها بالإعدام، فهي تقول: "لنس لأني قتلت، فكم من الآلاف يقتلون كل يوم، ولكنهم يحكمون على بالموت لأنهم يخافون من حياتي، وبعلمون أنني لو عشت فسوف أقتلهم، إن حياتي تعني موتهم، وموتى يعني حياتهم، وهم يرغبون في الحياة، فالحياة لديهم مزيد من الجرائم، ومزيد من الغنائم، أما أنا فقد انتصرت على الحياة وعلى الموت، لأني لم أعد أرغب في الحياة، ولم أعد أخاف الموت، لا أرغب شبئا ولا آمل في شيء، ولا أخاف من شيء، فأنا أملك حربتي"٢. حول هذا الاقتباس وجدنا الكاتب الكبير جورج طرابيشي يقول: "لكن بصرف النظر عن شجاعة فردوس، التي جعلت راوية سيرتها تخجل من نفسها وتخجل من حياتها وتخجل من خوفها، فإننا نتساءل: أي معنى يبقى لامتلاك الحربة وأي جدوي إذا كان شرطها ألا يرغب الإنسان في شيء وألا يأمل في شيء وأن يستوى عنده أمر الحياة وأمر الموت؟ قد يكون هذا الزهد العدمي وسيلة من وسائل رفض الواقع، ولكنه بالتأكيد ليس وسيلة لتغييره. ومن المحقق أن حالة فردوس تستأهل أن تروى. ولكن روايتها كحالة فردية شيء، ورفعها إلى

١ المصدر السابق، ص ١٨

٢ نفس المصدر، ص ٦٧

مستوى القضية النظرية شيء آخر". وتقول الدكتورة دبلاوي نادية في رسالتها: "وكل هذا نتيجة اضطهاد الرجل للمرأة، واستعبادها وظلمها، وهضم حقوقها، وإلغاء وجودها ككائن حي له كيانه، فهي تمثل بالنسبة إليه مجرد متعة للفراش، وجنس عن طريقه يخرج تلك المكبوتات على شكل رغبات جنسية حيوانية"؟.

تلك المحادثة المذكورة بين فردوس والكاتبة محادثة سرّبة بينهما ولا أحد يطلع عليهما فلهذا كل من يقرأ هذه الرواية سنشعر برائحة الزّور أحيانا المنسوب إلى فردوس، القارئ ليعرفن أنها فقيرة مسكينة ليس لديها أموال، وهي تحتاج إلى الناس في لقمة العيش، لكن الكاتبة في صفحة الثانية والستّين، ستقول بأنها اشترت المحامي بمبلغ كبير وأنها ترفض الرجال لأن لديها أموال كثيرة، بينما تمثّلها الكاتبة في الصفحات العديدة بأنها تنتقل من مكان إلى مكان لعدم وجود السّكن ولعدم تملّكها على المال كي تصرفها على نفسها في الحياة، كم مرة غادرت بيت الزوج، غادرت وظيفة بيومي، اشتركت في عمل سئ وهو الدعارة، تمنّت أن لو حصلت على الوظيفة، لو كانت لديها أموالٌ كثيرةٌ ما كانت تحتاج إلى الانتقال من مكان إلى مكان، عندما اختلفت مع زوجها الشيخ محمود، كان ينبغي لها أن تشتري بيتا أو شقة في المدينة وتعيش، ولكن الكاتبة هي تصور النساء في رواياتها ومؤلفاتها الفكرية كأن المرأة هي تملك كل الدنيا وكأن الرجال هم كلّهم كذّابون وخداعون! الشيء المثير للدهشة والحيرة هو أن الكاتبة قد خرجت للإنسانية وخرجت لإقامة المساواة بين الجنسين على أساس الإنسانية وضحّت بحياتها كلّها في هذا المجال ولكن مع الأسف لا توجد مساواة في مؤلفاتها ولا في رواياتها!

على كل حال تقول الكاتبة عن فردوس بأن أحدا من الرجال جاء إليها وقال: "هناك

١ جورج طرابيشي، الأعمال النقدية الكاملة، ج/٣ ص ٢٨٧

٢ د دبلاوي نادية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الموسومة ب: سرد
 الأنا في خطاب السيرة الذاتية (أوراقي حياتي لنوال السعداوي أنموذجا) ص٩٧

أَمَلُ في الإفراج عنك لو كتبت التماس عفو عن جريمتك لرئيس الدولة. قلتُ: لا أرغب في إفراج أو عفو عن جريمتي، لأن جريمتي لم تكن جريمة. قال: قتلتِ رجلا. قلتُ: وإذا خرجت إلى حياتكم مرة واحدة فلن أكف عن القتل، فهل يمكن إذن أن يكون هناك جدوى لو أنني كتبت التماس عفو؟ قال: تستحقين الموت يا مجرمة! قلت كل الناس تموت، والأفضل أن أموت بجريمتي عن أن أموت بجريمتكم، وقد قتلت بالصدق، وليس بالسكين... وهذا هو السبب وراء ذعرهم، وإسراعهم في إعدامي. إنهم لا يخافون السكين، ولكن الصدق يرعهم. هذا الصدق المرعب يمنحني قوة عظمي، ويجعلني لا أخاف الموت، ولا أخاف الجوع أو العري أو الانسحاق، ولا أخاف وحشية الحكام ورجال البوليس".

بعد أن استمعت نوال السعداوي قصّة حياة فردوس بهدوء شديد، وشعرت بألمها، وكوّنت رأيا بأنها امرأة أشجع منها في الدّفاع عن حقوق المرأة وعن حقوق نفسها خاصّة، ولم تعترف بالهيمنة الذكورية وسيطرتها طوال حياتها، ولاحقا تمثلت الكاتبة قصتها التامة بطريقة رائعة في الرواية، وبالرغم من وجود بعض الأشياء المفيدة في الرواية إلا أن تصوير الرجال قُدّمت بطريقة سيئة كأن صورة الرجال قد شوّهت في الرواية! والشيء المهمّ الآخر هو أن كلّ مجتمع يتضمّن الناس الطيبين والسيئين، ولكن المشاهد هو أنّ معظم الأشخاص في المجتمع يكون طيبين، ويتمّ التقديم لتصوير الأشخاص الطيبين فقط في الروايات والكتب الأخرى، كما لو أن تسعين في المائة من الناس في المجتمع مثقفون، وعشرٌ في المائة سيئون، وهذا حقا في جميع المجتمعات، فلا بد أن يقدم في الكتب والروايات والرسائل صورة تسعين في المائة فقط في الكتب، وسيتم إبراز صورتهم فقط وفي نفس الوقت سيقال أن عشرة بالمائة من الناس ليسوا جيدين لكنهم سيئون، لكن المشاهد في الروايات للكاتبة هو العكس! حيث تقدم تصوير عشر في المائة من الناس في كل رواية! وتتجاهل تسعين في المائة من الناس،

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مكتبة هنداوي، ص٦٨

وهكذا يبدو الأمر كما أنها تشوّه صورة المجتمع المصري خاصّة وصورة المجتمع العربي عامة.

وأيضا أن أهم عنوان في الرواية هو "حقوق المرأة" وتحت عنوان الحركة النسوية أريد أن آتي ببعض المقتطفات من الرواية تقول الكاتبة بلغة بطلة القصة فردوس: "أن كلّ رجل عرفته أردت أن أرفع يدي عاليا في الهواء، ثم أهوي بها على وجهه". وفي مكان آخر هي تقول: "قالت وهي تلف الشال الأخضر حول كتفها وتتثاءب: أي كلب منهم، كلهم كلاب تحت أسماء مختلفة: محمود حسنين، فوزي، إبراهيم، عوضين، بيومي!"؟. وتقول: "حقيقة أنني أفضل أن أكون مومسا عن أن أكون قديسة مخدوعة. كل النساء مخدوعات، الرجال يفرضون عليك الخديعة، ثم يعاقبونك لأنك مخدوعة، والرجال يفرضون عليك أن تهبطي إلى الحضيض. الرجال يفرضون عليك الزواج، ثم يعاقبونك بالضرب والشتيمة والخدمة المستمرة. إلا أن أقل النساء انخداعا هن المومسات، ومن أجل الزواج أو الحب تنال المرأة عقابا أشد"". الرواية تحتوي على العديد من أمثال هذه العبارات التي تنقد على الهيمنة الذكورية وتشير إلى أن قضايا نسوية مهمة للغاية قد تم إبرازها في الرواية، فالرواية تحتوي على أقوى نسوية وأشد انتقادا على الهيمنة الذكورية، وأظن أن هذا هو سبب حظر الرواية في مصر وفي الدول الأخرى.

الطفولة عند الكاتبة

للطفولة عند نوال السعداوي أهمية ومكانة خاصّة، الطفولة عندها وجه من وجوه الوجود الأكمل، الوجود الحقيقي الطبيعي النقي في صفائه وبراءته قبل أن تشوّهه تربية المجتمع وتحرفه أخلاقه وقيود الحياة فيه، من هذه النظره تناولت طفولتها وتحدّثت عن الطفولة عامة سواء في رواياتها أو في دراساتها، فجاء حديثها في

١ المصدر السابق، ص ٦٨

٢ نفس المصدر، ص ٤١

٣ نفس المصدر، ص ٦٠

جميع الأحوال مطبوعا بمذهبها الخاص في الطفولة، إن الأطفال في إنتاج السعداوي يفكرون بأفكارها ويحسون بأحاسيسها. وهذا ليس خاصا بإنتاجها القصصي دون سواه، بل إنها تعلنه في دراساتها أيضا. وهذا مبدأ آخر من مبادئ مذهبا: "فالإنسان الناضج كالطفل، يتعامل بنفسه الكلّية مع الناس من حوله"\. "وبلوغ منزلة النضوج عند نوال السعداوي يعني العودة إلى عهد الطفولة بأقوالها وتحرّك أفكارهم ومشاعرهم بأفكارها وأحاسيسها، إنّما تأتي عملا لا يأباه مذهبها الفكري"\. والعنوان في هذه الرواية موجود تجاه تهميش البنات منذ الطفولة في سنّ مبكرة فُرضَ على المجتمع وانتشر في آفاق المجتمع، وهو أن الابنة لا يعاملها الوالدان معاملة حسنة، تعامل معاملة غير انسانة ووحشية كما كانت تشاهدها فردوس في حياتها العادية منذ أن ولدتها أمّها! تقول فردوس: "كانت دارنا باردة، وحصيرتي ووسادتي ينقلهما أبي في الشتاء ووسادتي في قاعة المؤرن، وفي الصيف أجد حصيرتي ووسادتي في قاعة الفرن، وفي الصيف أجد حصيرتي ووسادتي في قاعة الفرن، وفي الصيف أجد حصيرتي

وكانت العادة الشائعة في المجتمع هو تهميش الفتيات الصغيرات منذ فجر حياتهن وكان هذا من بقايا آثار زمن الجاهلية. فهي تقول: "حين تموت البنت منهم، يأكل أبي عشاءه وتغسل أمي ساقيه وينام ككل ليلة. وحين يموت الولد يضرب أبي أمي، ثم ينام بعد أن يتعشى، لم يكن أبي ينام بغير عشاء مهما حدث، وأحيانا حين لا يكون بالدار طعام نبيت كلّنا بغير عشاء إلا هو، كانت أمي تخفي طعامه منا في فتحة داخل الفرن، وبجلس يأكل وحده ونحن ننظر إليه. وذات مرة مددت يدى داخل صحنه فضربني على

١ نوال السعداوي، الرجل والجنس، ص ١٠٤

٢ حنان بشارة، تقاطع وتعالق الرواية النسائية والترجمة الذاتية عند المرأة الكاتبة: نوال السعداوي أنموذجا: دراسة مقارنة، ص ٩١

٣ نفس المصدر، ص ٢١

يدي. ومن شدة الجوع لم أبك" ، ففي الاقتباس "كانت صورة هذه الأنانية الأبوبة، المرسومة بألوان صارخة، لا تزداد إلا قزازة إذ تتناضد مع صورة أب شرجي يخرج من فمه عندما يأكل جميع الأصوات التي ما كانت لتخرج إلا من فتحة بدنه الأخرى فيما لو كان يتغوّط"٢، ومن المزبد أن الكاتبة تمثّل فيها أفكار النسوبة والسيطرة الذكوربة على المرأة في المجتمع منذ أن ولدتها أمّها إلى أن تدخل قبرها، فهنا نجد أيضا الضرب من دون مقاومة المرأة، ففي العبارة يضرب الزوج زوجته كأنها شربكة في موت ابنه قام بضربها وتهديدها وتعرضت للتعذيب، هذا كل ما يمكن أن يحدث في الحياة كأن لم تمح كل الآثار للجاهلية وكل هذا كان يمكن أن يحدث. لذلك يمكننا أن نتخيل أن الهيمنة الذكورية كانت فعلا سبئة مع المرأة منذ أن رأت نعومة أظفارها. ففي الرواية تدعو الكاتبة إلى تقليد الغرب من دون أن تعرف نتائجه الخطرة والمضرّة للمرأة المصربة وللمرأة العربية ولم تستقص الكاتبة في أوضاع أوروبا ونتائجه بعد أن نشر فيها ما نشر من الأفكار الزائفة التي قد تتوالى عليها منذ زمن طوبل، كما يشير إليه الكاتب: "إن أوروبا في جاهليها ستصيح صيحها، وتحرّر نساءها من الدين والأخلاق والتقاليد، وتخرج المرأة هناك سافرة متبرّجة عاربة، وتملأ الشوارع والمصانع والمكاتب والدّواوين، وتغرق- هي والرجل- في علاقات دنسة، تدنس الجسد والروح، وتتفكك الأسرة، وبتشرّد الأطفال، وتنتشر الجريمة والخمر والمخدّرات والقلق والأمراض العصبية والنفسية والانتحار والجنون، وبظل المجتمع الإسلامي في تماسكه، ورفعته ونظافته وتطهره، ينظر رجاله ونساؤه إلى تلك الجاهلية نظرة استنكار ونفور واستعلاء"؟. والجدير بالذكر أن في رواياتها توجد أقوال صريحة التي تتعلق بطفولتها، وتشير إلى تعرضها لإيذاء شديد في الطفولة، لكنها قاومت لتفرض وجودها. "بل إن حياتها لم تكن سوى

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، ص٢٢

٢ جورج طرابيشي، الأعمال النقدية الكاملة، دار مدارك للنشر، ج/٣ ص ٢٧٤

٣ محمد قطب، قضية تحرير المرأة، ص ١٨

نضال متواصل للصّمود والمقاومة ضدّ ألوان شتى من القمع التى سلطت عليها منذ عهد الطفولة المبكرة إلى عهد العمل والكتابة وما لحقها بسبب ذلك من تعب واضطهاد. هذا ما تحاول أن تبرزه كلّما تحدثت عن نفسها"\.

المرأة والتعليم

لاتزال تتكلّم الكاتبة عن تعليم المرأة في جميع مؤلفاتها كذلك تمثل أفكارها في هذه الرواية بأن سبب إبعاد المرأة عن التعليم هو الرجال فقط الذين لا يربدون دراستها لأن تعليم فردوس لم تكمل، وصارت متزوجة في سن مبكرة وفقا للطقوس الاجتماعية، وأصبحت مسؤولة المنزل في سن مبكرة، وحصلت على دور المرأة التقليدية وربة المنزل في المجتمع. تتحدث الكاتبة أن العلم نور وهذه الصفة لا بد أن تكون مشتركة بين الرجل والمرأة على حدّ سواء، وبجب أن يتساوى فيه الجميع لكن المشكلة أن الرجل يربد استحواذه وهيمنته على هذه النعمة. على الرغم من أنه وجد في هذه الرواية أن عمه يمسك بيد فردوس لتعليمها الكتابة ومساعدتها في التعليم الأساسي وبرافقه في التعليم في المنزل، "لم يكن عمى صغيرا، كان أكبر مني بسنين كثيرة، يسافر وحده إلى مصر، وبذهب إلى الأزهر وبتعلم، ولم أكن إلا طفلة لم تفكّ الخط بعد، يضع عمى بين أصابعي قلم الرصاص، وبجعلني أكتب فوق لوح الأردواز: أ، ب، ج، د... وأحيانا يجعلني أردّد وراءه: الألف لا شيء عليها، والباء نقطة تحتها، والجيم نقطة وسطها، والدال لا شيء عليها، ويهزّ رأسه وهو يتلو ألفية ابن مالك كما يتلو القرآن، وأهزّ رأسي أنا الأخرى وراءه، وأردّد بالحرف الواحد ما يقول"٢. وهذا يدل على أن فردوس حصلت على التعليم الأساسي ولم يكن التعليم الأساسي خطرا للهيمنة الذكوربة، ولكنهنّ حرمن من التعليم العالى والتعليم الجامعي لأن الكاتبة اعتقدت أنه يجب على المرأة أن تحصل على

دنان بشارة، تقاطع وتعالق الرواية النسائية والترجمة الذاتية عند المرأة الكاتبة: نوال السعداوي أنموذجا: دراسة مقارنة، ص ٩١

٢ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مكتبة هنداوي، ص ٢٠

التعليم العالي وقد تمّ إبعاد المرأة عنه لأنه قد يسبّب الكثير من المشاكل للمجتمع الذكوري الذي يسيطر عليه الرجال! من القوامة والسيطرة والهيمنة وغيرها الكثير من القدرات التي هي ثابتة للرجال، ولن يحظى الرجل في مجتمعه الذكوري بالاحترام الذي كان يتمتع به منذ قرون، حيث تقول: "حين يركب عتى القطار ويسلّم علي أبكي وأقول له: خذني معك إلى مصر، ويقول عيى: ماذا ستفعلين في مصر يا فردوس؟! فأقول له: سأدخل الأزهر وأتعلم مثلك، ويضحك عيى ويقول: الأزهر لا يدخله إلا الرجال. وأبكي وأمسك بيد عيى والقطار يتحرك، لكنه يشد يده من يدي بكل قوته، فأقع على وجهي فوق الأرض".

فكان الرجال في مصر أصحاب العقول الضيّقة تجاه النساء حول تعليمهن العالي وأبقوا النساء بعيدا عن الحصول على التعليم العالي كما يُبتعَد من الثعالب والحيّات، وتتمثّل الرّواية بطلتها بأنها أرادت التعليم العالي والجامعي مع عمها لكنها رُفِضت ورُدّت! فهي تؤسف على حياتها بعد أن رأت استهزاء عمّها وبعد أن رأت السخرة من عمّها تجاه التحاقها بالجامعة فهي تقول: "أتأمّل شكل أصابع قدميّ على الطريق الزراعي، وأسأل نفسي: من أنا؟ ومن أبي؟ ومن هي أمّي؟ وهل سأقضى عمري كلّه أكنس الرّوث من تحت المهائم وأحمل السّباخ فوق رأسي، وفي أيّام الخبيز أعجن وأخبز! وأدخل دار أبي، أنظر إلى الجدران الطينية كواحدة غريبة عن الدار لم تدخله من قبل، وأتلفت حولي وكأنما في دهشة، وكأنما لم أولد هنا، وإنما سقطت من السماء فجأة، أو خرجت من بطن الأرض؛ لأجد نفسي في مكان غير مكاني، ودار غير داري، وأب غير أبي، وأمّ غير أمي". فكأنت الكاتبة تصوّر المجتمع المصري في ذاك الوقت وتنقد على المجتمع الذكوري نقدا الاذعا خاصّة على أفكار ذاك المجتمع الذي يعتبر فها تعليم المرأة غير أهم وعديم الجدوى. ولكن بعد محاولة شديدة من الكتّاب والكاتبات العربيات في هذا المجال

١ المصدر السابق، ٢٠

٢ نفس المصدر،٢٢

أصبحت المرأة العربية تخرج من بينها لتتمتع بالتعليم العالي وأول من تقدمت في مجال العلم هي المرأة الفلسطينية. "وخطّت خطوات واسعة في هذا المجال، وانفتح أمامها مجال العمل على مداه الواسع، ولاسيّما في حقول التعليم والوظائف ذات الطابع الاجتماعي. وأصبحت الفتاة الفلسطينية تترك أهلها وتسافر وحدها لتعمل كمدرسة أو موظّفة في دول الخليج العربي. واعتبرت في هذا المجال رائدة وطليعية بالنسبة للمرأة العربية، التي لم تصل آنذاك إلى هذا المستوى من الحربة والجرأة في الدخول للحياة الاجتماعية، لتعمل بعيدة عن وطنها وأهلها"\. وبعد ذلك قد مشت المرأة العربية على خطاها وبدأت تساهم في التعليم الابتدائي والتعليم الجامعي العالي مثل الرجال كتفا بكتف، كما كانت النساء يطالبن من مجتمع الهيمنة الذكورية.

الحياة الزوجية عند الكاتبة

كما تنتقد الرواية مراسم الزواج وطقوسه، قائلة إن الزواج يتم من قبل الرجال لقمع المرأة وأن الزواج يستخدم كسلاح لاستعباد المرأة، وتخدع المرأة باسم الحب وباسم الزواج كي تعيش المرأة كمستعبدة، بل تقول الكاتبة: "ونادرا جدا ما ترفض المرأة الزواج، بل إنها تسعى إلى الزواج، لأنه الشكل الوحيد الرسمي الشرعي والقانوني والأخلاقي الذي يمكن من خلاله أن تعيش اقتصاديا (إذا لم يكن لها عمل أو إيراد) وتحمى اجتماعيا (المرأة غير المتزوجة متهمة دائما) وترضى جنسيا، (لا يسمح للمرأة أن تمارس الجنس خارج الزواج إلا إذا كانت مومسا) بالإضافة إلى أن الزواج اكتسب نوعا من الحماية الدينية وأصبح شبه مقدس، ولم يعد من السهل لأي امرأة أن ترفضه أو تنقده".

١ د. حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية ١٩٦٥-١٩٨٥، مكتبة اتحاد الكتاب العرب،
 ص ٩١٠

٢ نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ٢٦٧

تحتوي الرواية أيضا على الزواج الطفولية كما كان الأمر أيضا شائعا في إفريقيا وتمثل الكاتبة في الرواية زواج فردوس من رجل الذي قد بلغ الستين من عمره، كم من حيرة لهذا الرجل العجوز الذي يتزوج من الفتاة الصغيرة، الحقيقة أنه أمر قاسٍ من البداية إلى النهاية، تخبر الكاتبة عن المحادثة التي تجري بين عمّ فردوس وزوجته فهي تقول: "يمكننا التخلّص منها (فردوس) بإرسالها إلى الجامعة، وتعيش في بيت الطالبات. الجامعة؟ لتجلس بجوار الرجال؟ شيخ محترم ورجل دين مصل يرسل ابنة أخيه لتخالط الرجال؟! ثمّ من أين آتي بمصاريفها في بيت الطالبات، وثمن الكتب واللبس، والدنيا غلاء كما تعرفين، والأسعار تزيد بسرعة مجنونة، وراتب الحكومة لا يزيد كل عام إلا بضعة ملاليم؟!

عندى فكرة هائلة يا سيدنا الشيخ. ما هي؟ خالي الشيخ محمود رجل صالح، ومعاشه كبير، وليس له أولاد، وهو وحيد منذ ماتت زوجته العام الماضي، ولو تزوج الشيخ محمود فردوس، لعاشت معه حياة مَرحةً ووجد فيها الزوجة المطيعة التي تخدمه وتؤنس وحدته، فردوس كبرت يا سيدنا الشيخ ولا بد أن تتزوج؛ إن بقاءها حتى الآن بغير زواج شيء خطر، فردوس بنت طيبة، ولكن أولاد الحرام كثيرون. أنا معك، ولكن الشيخ محمود كبير في السن عليها. من قال إنه كبير ؟! إنه لم يُحَل إلى المعاش إلا هذه السنة، وفردوس ليست صغيرة؛ مثيلاتها من البنات تزوجن من سنين وأنجبن، والرجل الكبير المضمون الذي يعاملها معاملة طيبة أفضل من الشاب الذي يهينها وبضربها؛ أنت تعرف أخلاق الشباب هذه الأيام. أنا معك، ولكن لا تنسى هذه العاهة الواضحة في وجهه. عاهة! من قال إنها عاهة؟! ثم إن الرجل لا يعيبه إلا جيبه يا سيدنا الشيخ. واذا لم ترض فردوس به؟ ولماذا لا ترضي به؟! ليس أمامها فرصة أحسن منه، لا تنس أن لها أنفا مكورا كبيرا كالكوز، ليس عندها ورث ولا إيراد ولا معاش، ولا يمكن أن نجد لها زوجا أفضل من الشيخ محمود. وهل يوافق الشيخ محمود؟ لو أنا كلمته في الموضوع سيوافق، ومكنني أيضا أن أطلب مهرا كبيرا. كم؟ مائة جنيه أو حتى مائتين إذا كان معه. إذا دفع مائة فهذا فضل من عند ربنا، وأنا لا أطمع في أكثر من هذا. سأبدأ

معه بمئتين، أنت تعرف أنه رجل يموت على القرش، ويجادل بالساعات من أجل تعريفة. إذا وافق على مائة فهذا فضل من عند الله، ويمكنني أن أسدد الدَّين الذي علينا، ويتبقى شيء تشتري به لفردوس بعض الملابس الداخلية وفستانا أو اثنين، لا يمكن أن نزوجها بملابسها التي عليها.

-ولا تحمل هم جهاز أو عفش، بيت الشيخ محمود كامل من كل شيء وأثاث المرحومة زوجته شغل متين وأصيل، أفضل بكثير من شغل هذه الأيام الفاصلو. معك حق. والله يا سيدنا الشيخ ابنة أخيك فردوس هذه ربنا يحيها، وسيكون لها حظ لو أن الشيخ محمود رضي بها. أتظنين أنه سيرضي؟ طبعا يرضي، ولماذا لا يرضي؟! يكفيه أنه سيناسب شيخا محترما ورجل دين مثلك. ريما يفكر في امرأة من أسرة غنية، أنت تعرفين أنه يعبد القرش. وهل أنت فقير يا سيدنا الشيخ؟! حالنا أحسن من حال الكثير، نحمد الله على كل شيء" . فهذا تصوير صادق للزواج وطقوسه في المجتمع المصرى في سن مبكرة لدى الفتيات من دون الرضاء ومن دون الأمنية ومن دون أن تعرف الأولياء نتائجه في المستقبل، وأيضا أن الفتاة الصغيرة سوف تلاحظ شيخوخة زوجها في ربعان شبابها وأن الولى لا يقلق مما سيحدث لهذه الفتاة في المستقبل وكيف ستعدش مع رجل عجوز وكيف تتحقق مشاعرها الجنسية. وتنتقد الروائية على إطاعة المرأة الكاملة واستعبادها بعد الزواج ونوعية المشاكل التي تشعر بها المرأة عندما لا تحصل على حقوقها بعد الزواج، وماهى المتاعب والمشاكل التي تعانيها باستمرار، واذا كان لدى الرجل أسرة مشتركة فهي إذن يجب علها أن تطيع كل فرد من أفراد البيت مثل أبوبه واخوته وأخواته فلا بد لها أن تطيع كل من يسكن في البيت! هكذا تعيش الفتاة المصربة حياة القهر والخضوع. ومن مثل هذه المضامين نجد أيضا في رواية "إبراهيم الكاتب" للمازني حيث "انتقد الكاتب البيئة المصرية بأنها لا تسمح بتربية العواطف وانما بتنمية الغرائز، لذلك الفتيات المصربة تعيش مع زوجها وهي لا تحبه

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مكتبة هنداوي، ص ٣٣

وإنما تحمل له نضجا جنسيا وبالعكس الفتيات الغربية تخضع لاختيار الوسط، فإذا أحبت كان حها بلا شك لشخص خاص، بينما حبّ المصرية قابل للتحول لأن الاختيار عندها في أضيق دائرة، وينتهي إلى أن الزواج بالصورة التي يتم بها في مصر" "ليس فيه ما يخدم الآداب أو الفنون أو يساعد على التقدم".

ونجد في هذه الرواية أيضا أن المرأة تنخدع باسم الزواج وتتعرض للعنف، لأنه بعد الزواج يستغل الرجل بعجز المرأة مسيطرا علها معنفا ضدها، وتصير حياتها ضيقة تماما، وتعتبر أفضل زوجة التي تتحمل كل المصائب والنكبات التي تتوالى علها، وتتحمّلها بهدوء، وأنها تعتبر حقيرة محتقرة إذا اشتكت عن زوجها، فلهذا فردوس تكره الزواج وتعلم الفتيات المصرية أن الزواج ليس عبادة مقدسة بل هي عبودية محضة. فهي تقول: "أرى حقيقة أنني أفضل أن أكون مومسا عن أن أكون قديسة مخدوعة. كل النساء مخدوعات. الرجال يفرضون عليك الخديعة، ثم يعاقبونك لأنك مخدوعة. والرجال يفرضون عليك أن تهبطي إلى الحضيض، ثم يعاقبونك لأنك هبطت إلى الحضيض. الرجال يفرضون عليك الزواج، ثم يعاقبونك بالضرب والشتيمة والخدمة الحضيض. الرجال يفرضون عليك الزواج، ثم يعاقبونك بالضرب والشتيمة والخدمة المستمرة" وفي مكان آخر تصور الكاتبة بجملة خطرة التي لها أهمية كبيرة في تاريخ الحركة النسوية والتي تترشح منها النسوية الكاملة، قائلة: "قال: كنت أظنك مومسا"؛.

وتقول الكاتبة عن فردوس بأنها مضطهدة من قبل زوجها الشيخ محمود، تطبخ الطعام يأكل زوجها بينما تصبح وتمسى فردوس وهى جائعة، وعندما تلتقط وجبة

د. اختر عالم، شخصية المرأة في الرواية العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين، الناشر،
 روز ورد بوكس، نيودلي، الهند، ص١٥٨

٢ عبد القادر المازني، إبراهيم الكاتب، ص ٣٠٤

٣ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، ص ٦٠

٤ نفس المصدر، ص ٦٦

خفيفة من طاولة العشاء يضربها قائلا: إنك تحصلين الطعام فقط في منزلي، ولكن لا يوجد مكان لك في منزل عمك، ولا يوجد في بنت عمك غرفة تعنش فيها، كما يظهر كل هذه الأفعال الشنيعة من هذا الاقتباس للرواية. تتحدث الكاتبة: "مرة وجد في صفيحة القمامة بقايا طعام، فأخذ يصيح بصوت عال سمعه الجيران، ثم بدأ يضربني بسبب وبغير سبب. ضربني مرة بكعب الحذاء حتى تورّم وجهي وجسدي، فتركت بيته وذهبت إلى عمى، لكن قال لى: إن كل الأزواج يضربون زوجاتهم، وزوجة عمى قالت لى: إن عمى يضربها. وقلت لها: إن عمى شيخ محترم ورجل يعرف الدين معرفة كاملة، ولا يمكن أن يضرب زوجته. وقالت زوجة عمى: لأنه يعرف أن الدين يبيح ضرب الزوجة، وليس للزوجة الفاضلة أن تشكو زوجها، وواجها الطاعة الكاملة، ولم أعرف ماذا أقول لزوجة عمى، وقبل أن تضع الخادمة الغداء فوق المائدة أخذني عمى إلى بيت زوجي، وكان زوجي قد تناول غداءه وحده، ولم يسألني حتى المساء إذا ما كنت تغديت، وتعشى وحده دون أن يكلمني، وفي الصباح أعددت الفطور، وجلس في مقعده ليأكل دون أن ينظر إليّ، وجلست بدوري في مقعدي لآكل، بأي ثمن، فوضعت يدي في الصحن، ثم رفعتها إلى فمي، ولم تكديدي تصل إلى فمي حتى انتفض واقفا وهو يصيح: لماذا عدتِ من بنت عمك؟ ألا يحتمل عمك أن يطعمك بضعة أيام؟ هل عرفتِ الآن أنني أنا الوحيد الذي أحتملك، وأنا الوحيد الذي أطعمك، لماذا تنفرين منّي إذن؟ لماذا تبعدين وجهك عن وجهى؟ هل شكلي قبيح؟ هل رائحتي كريهة؟ لماذا تبعدين أنفك كلّما قربت منك؟"١.

خاتمة

واتضح مما سبق أن الكاتبة كانت من أهم روّاد الحركة النسوية وطالبت في الرواية على وجه التقريب بتحرير المرأة من القيود الاجتماعية والدينية، وحاولت في جميع مؤلفاتها معالجة قضايا المرأة المختلفة ومن أهمها سيطرة الرجل على المرأة،

١ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٣٧

والجندرية أي تفضيل الذكر على الأنثى، وعدم خيار المرأة في اختيار الزوج، وبالإضافة إلى هذا تحاول الكاتبة تصوير التحديات والصعوبات التي تواجهها المرأة في حياتها.

المصادروالمراجع

- ١٠ نوال السعداوي، امرأة عند نقطة الصفر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
- د. اختر عالم، شخصية المرأة في الرواية العربية خلال النصف الأول من
 القرن العشرين، الناشر، روز ورد بوكس، نيودلي، الهند
- ٣. د. دبلاوي نادية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الموسومة ب: سرد الأنا في خطاب السيرة الذاتية (أوراقي حياتي لنوال السعداوى أنموذجا)
 - ٤. نوال السعداوي، الرجل والجنس، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر
 - حنان بشارة، تقاطع وتعاقل الرواية النسائية والترجمة الذاتية عند المرأة
 الكاتبة: نوال السعداوى أنموذجا: دراسة مقارنة
 - ٦. جورج طرابيشي، الأعمال النقدية الكاملة، دار مدارك للنشر
 - ٧. محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، مصر
 - ٨. د. حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية ١٩٦٥-١٩٨٥،
 مكتبة اتحاد الكتاب العرب
 - وال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
 - ١٠. عبد القادر المازني، إبراهيم الكاتب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

فضاء الصحراء: قصة الرمال الفاضلة في السيرة السردية لإبراهيم الكوني

الأستاذ نعار محمد ا

الملخص

لا شك أن ما توصل إليه الإنسان حول مناحي الحياة وفي جوانب كثيرة منها دفع به إلى رفاه ورفع الغبن عنه كثيرا لكن في مناحي كثيرة أضر هذا التحول بالإنسان وأضر بالكون من حيث الطابع الأخلاقي الذي أصبح يطغى على سلوك الإنسان مع هذه التحولات واستغلالها ضد أخيه الإنسان وضد البيئة وبدرجة أولى على النسق الثقافي والحضاري لهذا المحيط من أجل ذلك تخاطبنا الصحراء من خلال تمثيلاتها لحياة النقاء والسكينة والهدوء. من أجل ذلك أردنا أن نوجه هذه الأفكار ومناقشتها ومعالجتها من خلال الأعمال السردية القصصية للكاتب الليبي إبراهيم الكوني في نظرة مستشرفة لواقع التحولات وأثرها على الثقافة الصحراوية ومواجهتها لها.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، إبراهيم الكوني، صحراء إفريقية، الثقافة الصحراوية، البيئة الصحراوية، قصص صحراوية.

الصحراء جغر افيا ثقافية

تحتل الصحراء مساحة تقدر بثلث سطح اليابسة، بين نوع قاحل تسود فيه الرمال ودرجات الحرارة وصحاري باردة في القطب الشمالي والجنوبي. ومن المعلوم أن صحاري العالم تقع في المنطقة التي توجد ضمن شمال مدار السرطان حتى الجنوب من مدار الجدي، حيث تعتبر هذه المساحة من المساحات التي تتعرض إلى ضغط مرتفع، وارتفاع في درجات الحرارة، مما يؤثر عليها وهناك مميزات أخرى ففي حين يكون

١ المحاضر جامعة ابن خلدون ولاية تيارت دولة الجزائر

المناخ تقريبا شبه جاف لكن في أحيان ليست بالقليلة تتساقط الأمطار بشكل كبير بفترات قصيرة، مما يترتب عليه حدوث فيضانات أما عن درج تكون بتفاوت كبير للغاية بالليل والنهار، إضافة إلى العواصف الرملية هذا لا يخلوا من أنهناك واحات ونخيل ومزروعات تتحمل ندرة المياه، أما عن خصائص النباتات الأخرى فهي تمتلك القدرة على تخزين الماء، ومن أكثر الحيوانات تحملا للعطش والتي يستأنس بها الإنسان الجمل، إضافة إلى حيوانات أخرى.

يوجد العديد من الصحاري المشهورة حول العالم منها صحراء القطب الجنوبي والشمالي صحراء الربع الخالي، الصحراء الإفريقية الكبرى، وصحراء جوبي، وتوجد في قارة آسيا الصحراء العربية، وتوجد في منطقة الشرق الأوسط الصحراء السورية، وتوجد في منطقة الشرق الأوسط صحراء فكتوريا الكبرى، وتقع في قارة أستراليا صحراء كالهاري، وتوجد في قارة إفريقيا صحراء الحوض العظيم، وتقع في شمالي أمريكا صحراء باتاغونيا، 1...

تتوفر الصحراء على كميات كبيرة من الثروات الطبيعية والتي تتمثل في البترول والفحم، المعادن من أجل ذلك أنشأ البشر كيانات بشرية تضم مجمعات سكنية ومناطق صناعية حيث يتم وضع كل الإمكانيات والتسهيلات لمن يعمل في هذه الأماكن، حتى يتم جذب أكبر عدد ممكن للعيش في البيئة الصحراوية البشر الذين يأتون للعيش في الصحارى يستخدمون هذا المورد ويغيرون أيضًا الغطاء الأرضي عن طريق إزالة النباتات أثناء تطوير المدن والبلدات هذه الخسارة في الحياة النباتية يمكن أن تترك كميات أقل من المياه في التربة وتؤدي إلى تآكل التربة، مما يخلق المزيد من العقبات

أكلثومة نجار أقيس 2008 |"الصحراء من إيكولوجيا الإلهي إلى التنمية المستدامة"، كتاب أشرف [En ligne], 41 | 2008, mis على إعداده أحمد مورو وبرنارد كالاوورا » / Insaniyat , إنسانيات en ligne le 23 juillet 2012, consulté le 26 février 2022. URL:

en ligne le 23 juillet 2012, consulte le 26 fevrier 2022. URL : http://journals.openedition.org/insaniyat/2573 ; DOI :

https://doi.org/10.4000/insaniyat.2573

أمام النباتات في جذرها كانت لها انعكاسات خطيرة على البيئة الصحراوية البيولوجية والسوسيولوجيا. \

موضوعة الصحراء: الكوني نموذجا.

لا يخرج الكوني في كتابته السردية، عن منوال هذا النوع من الكتابة فهو يبقى ظاهرا في علاقة ضبابية، بين ما يكتبه وبين الأحداث المسرودة والشخصيات وكذا الأمكنة، التي تحتوي الأحداث الجارية ولكن سلطان إبراهيم الكوني يميزه تقلده عالما جديدا، احتوى هذه المكونات المذكورة، إنه الزمن الذي خص به عالمه الروائي وهو زمن عجائبي غرائبي، في ضيافة عالم عجيب ساحر هو الصحراء وبذلك يتربع الكوني في أعماله السردية المتميزة، وبالميزة التي تربع من خلالها كونه السارد، المتصدر بلسانه وقلمه راويا لهذا العالم وهو الذي يتوارى في أعماله، ما بين غياب وحضور في مجريات هذه المدونة السردية.

بلسان الغائب، يبدأ الراوي وصف المكان وبتراخي زمني، تغلب عليه التفاصيل متحيزة في بؤرة محددة، بمسح دقيق مفصل يبرز الفكرة ويلبسها في زاوية مقصودة ويروي من خلالها فمن قمم الجبال الزمن المنشود، الذي ينفض عن نفسه كل ثوب، ففي" القمم العارية، يقترب من الآلهة يتحرر من البدن ويصبح بمقدوره أن يمد يده ويقطف البدر أو يجني النجوم. من هذا الموقع يروق له أن يراقب الناس في حضيضهم، يتسابقون بنشاط النمل فيظن أنهم قد حققوا المعجزة ينزل إلى أرضهم فيجد أنهم دراويش أشقياء، يجدون في البحث ولكنهم لا يجنون سوى الباطل كم يبدو سعيهم مضحكاً وقبيحاً من المنازل العليا" وفي موضع أخر" فيا أهل الصحراء، إذا فتحت لكم واو أبواها فاخرجوا منها عراة، لأنكم عراة دخلتم إلها".

١ المرجع السابق

٢ المجوس، الجزء الأول، دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٢، ص٩

٣ المصدر السابق ص ٣٠٨

بهذا الخطاب (الغائب الحاضر)، تتقد معه حركية السرد لتدفع بالزمن إلى أفاق متحررة، جاعلا من السيولة الوصفية، التي تغمر الزمن المكتوب، زمن الجبال والصحراء في تشاكل مع المسميات، في مشهد عجيب "أمناي"، إله القبلي، حفره الربح في فجّ بين أعلى جبلين شمال "تينبكتو" رأسه معمّم بقناع حجريّ موشى بطبقة من الحصى يغطي العينين وينسدل حتّى الأنف المكابر المنصوب إلى أعلى، نحو السّماوات..."\

إنها وثيقة موازية وصورة طبق الأصل، سرية جدا سربتها الصحراء، العجيب الذي تتملكه لغة ساحرة ومتأصلة على لسان السارد، الذي يغمرنا بزمن خيالي مضياف، بهيج فرجوي في كثير من محطاته وعبر شخوصه من الكائنات المختلفة.

تتصاقب اللغة بموضوعاتها، تميل بامتياز للتشخيص وتستند في غالبا على التوثيق: إحالات وهوامش في الحواشي، متشبثة بروايات متواترة عبر الأجيال، تعيدنا إلى الزمن المنشود، لأننا نتيه في الزمن المسرود المتدفق كالسيل.

كيف استطاع الكوني أن يشخص ويعقلن .ربما .زمنا سحريا وتنزيله إلى الواقع، في لغة محكية تحاكي بامتياز زمنا منفلتا واستطاع أن يقيد هذا الزمن كتابة "إن ما يميز العجائبية ليس مجرد موقف اتجاه الأحداث للمروية بل طبيعة هذه الأحداث في حد ذاتها "٢

تكتسي العجائبية بعدا كونيا وتمتاز لمسات الكوني فها بمجهودات معرفية مقارنة، تسلط زمنها ومسارها الأنثروبولوجي والأتنوغرافي، من خلال رواياته ومنها الرواية الهندية في زمن الخطيئة ونشأة الإنسان، جاء في المجوس "عجن الإله جسد الإنسان من الطين وصعد إلى السماء لكي يعود له بالرّوح لإحيائه، تاركاً خلفه الكلب لحراسة البدن أثناء غيابه في هذا الوقت جاء إبليس ونفخ في الكلب ربحاً باردة فخدرته. دثره بغطاء من فرو حتى يضعف يقظته. ثم بصق على بدن الإنسان وغمره بالقاذورات

91

١ المصدر السابق ص. ن.

٢ المصدر نفسه، ص ١٣١.

إلى حدّ جعل الإله يشعر باليأس لاستحالة تطهير الجسد من العفن الشيطاني. من هنا قرر الإله أن يقلب جلد الإنسان وبجعل ظاهره في باطنه"\.

ماذا تروي حكايات الصحراء عن سلطانها؟ إنه الامتثال، امتثال الصحراوي لسلطانها في رواية "المجوس" يقول الراوي "ولكن الخبراء أكدوا أن الصحراء عندما تتلثم بالعتمة والحداد فإن أكثر السحب جودا بالمطر سرعان ما تتخلى عن عزمها وتسلم الأمر للقبلي وتروي العجائز أن الخصمين الأبديين قد قاما من قديم الزمان بتقسيم الصحراء، فأصبحت الصحراء الجنوبية منطقة نفوذ القبلي وفاز المطر بالحمادة الشمالية ولم يخل الطرفان بالميثاق إلا في حالات نادرة"

نغوص مع الكوني في معالم الصحراء، مع الطير والنبات والمناخ وأيضا حينا أخر يتناول تقاليد وطقوس حياة البشر فيها لكن هذا التدفق سرعان ما يخفت حين يرتبط ببعض رؤى خاصة، يريد الكاتب أن ينتصر لها فتتشاكل الأدوار، التي هي بين زمنين زمن المسميات والأفعال وزمن الأحوال والصفات التي يقع تقديرها الزمني المتخيل من قبل الحدس والتخمين الذي يتصل بمحدودية أو التقرب من هذا الفضاء من خلال شخصياتها لدّروبش الأميرة تينيري وأوخا وأوداد.

ما يجعلنا ننزاح ابتداء إلى وجود مصاقبة بين الزمنيين لكن يبدو أن إتمام الزمن إلى محطة موجهة مقصودة بلوازم الفضاء وعرفه، يجعلنا في صراع فعلي وتردد في الحكم على صلة المماثلة والمصاقبة بين الزمنين.

إنّ علاقة الذّات بالمكان مثلا في روايات الكوني، علاقة إشكالية تحتفي بزمن عتيق، نجد رواياته هذه تصل الحاضر بصور قديمة في هذا الامتثال ففي المرويات القديمة عن الشعر العربي في الطلل صقب البداية في ذلك كما يحتفي بذلك التراث والفكر والوجود الإنساني برّمته ومن مبرّرات هذا الاهتمام أيضاً أنّنا وجدنا شبكة من

اينظر المرجع السابق ص ١٩

٢ المجوس، الجزء الأول، ص ١٤.

المفردات، تؤدي بنا إلى تقدير هذا الفضاء في المشمولات الإبداعية، التي قدمها إبراهيم الكوني في رواياته عنه فهي تطّرد باستمرار وبتنويعات مختلفة متباينة، يجعلنا نتساءل عن طبيعة المشروع، الذي يشتغل من خلاله إبراهيم الكوني وهو يجعل من الصحراء موضوعة له؟ وهل لذلك تمثّل لتشكيل سردي جديد معاصر على الصعيد العربي والعالمي؟

ثمرة الترفاس: زاوية نظر لمشروع الكوني

الترفاس أحد العتبات التي نجد لها حضورا تداوليا في هذا المشروع بأنها إحدى الحكم التي تختصر لنا عالم الصحراء ونسقها، يقودنا الكوني من خلالها متمثلا لواقعها، مفصلا في قصص كثيرة من هذا المشروع حياة الترفاس كنز، "واكتشاف الكنز مشروط بوجود الطلسم مفتاح السر، فأين طلسمك أيتها الثمرة السحرية؟" أهو بين يدي العرافين كما يؤكد الأهالي؟ إنه أسلوب الحكى، مثل الحكايات الشعبية التي تتكون من سلسلة حلقات، إنها أسطورة جميلة، وهي تتحدث عن نهر السماء، حين تقول عما قريب سيجتمع الغمام. غمام كثيف محمل بمطر غزير. هذا ماء النهر الذي رفعه الله من الأرض عندما أراد أن يعاقب هذه القبائل الشقية في الزمان القديم فتحولت الدنيا إلى صحراء كبرى نهرها في السماء كما ترى. ويرق قلب الرحيم على العباد فيرويها بين الحين والآخر، ويتلطف أحيانا أخرى، ويبلل ريق الصحراء العطشي بقطرات منه، لتصل إلى الإشارة، وهي البرق السوط المناني لبي توسلات الشذى السحري" المناسحاب المطير. السوط الرباني لبي توسلات الشذى السحري"

في مماثلة وتشكيل، تقريبا الصلات وانتهائها في صمدية ربانية موحدة، يقرن حضور ثمرة الترفاس ورمزيتها بهذا المعنى في روايات الكوني، من خلال شخصية النفري ".. حيث الذات في عالم الصحراء، تتشكل من خصوصيتها المطلقة بلا تاريخية، مثلما

93

ا حسين عيد واقع وحلم وأسطورة في قفص إبراهيم الكوني -https://www.albayan.ae/five 1.1-036513 للبيان 27:مايو ٢٠٠٠

الترفاس النبات يتكون داخل التربة ويظهر بفضل عناصر طبيعية محضة، تتمدد البذرة في العدم، تلتقط أنفاساً من باطن الأرض. في تراب الصحراء أنفاس كثيرة من دون بذور وبغير جذور تمضي كما وفدت بلا أثر ولا شاهد وهي في عرف الصحراوي كنز يجود به الغيب على عابر التيه من أوزار الملكية ممن اختاروا العزلة ولبسوا ثياب الزهد وانقطعوا في الخلاء "\.

من حيث التشكيل اللغوي الحالي، تسيطر البنية الأسطورية على النسيج السردي لدى إبراهيم الكوني وتنسحب على جميع مكوناته" فالصحراء بخصائصها الجغرافية والأربكولوجية المتميزة والمتفردة تبدو كأسطورة ناطقة، فإذا كل ما فها من رمال وواحات وعيون وأضواء ورياح ونباتات وحيوانات، ومعارف وطقوس ورسومات على الجبال وجدران الكهوف وطقوس وعادات، يتفرد بسمات خاصة تطبعه بالغموض والغرابة. من هنا انسحب البعد الأسطوري على كل مكونات هذا الفضاء".

تلك اللغة وبنيتها التشكيلية، التي وقع الكثيرون في حيرة من أمرهم إزاءها، لأنها غارقة في بانوراما مذهلة: زمن واقعي /أسطوري، مثلما نجده منسجما مع واقع الدهشة، التي كتب على منوالها كتاب وأدباء أمريكا الجنوبية، من خلال ما سمي بالواقعية السحرية وقد افترض البعض، أن الانغماس في الهوية وائتلاف زمني بهذا المنظر، يبدو في العادة أنه يعبر عن موقف الكاتب من العالم تجاه الضفة الأوربية، التي احتلت وما زال فعلها في البلاد التي احتلتها رغم استقلالها، محاولة منها زعزعة النسيج المدني في هذه البلدان وتفكيك أواصره التاريخية والحضارية وهذه شهادة من قبل الناقد الرومي تنحاز لذلك.

«فلاديمير غوسيف» أستاذ الأسلوبية بمعهد «غوركي» بموسكو: «شاهدت الشمال الإفريقي بعيني. لست مستشرقاً ولكنّ الصّحراء فتحت لنا من الداخل بحرارة

١ المرجع السابق

٢ المرجع نفسه

وقساوة نثر إبراهيم الكوني هل نصه نص ضد أوربا؟ هل هي الوجه للتعبير عن الوجود؟ في عالم الصّحراء، عالم القرآن، عالم القيّم الزهدية والنقاء والحياة في أحضان الطبيعة... ثمّة أشياء كثيرة يقصر الفهم المجرّد عن إدراكها، ولكنّه ينهض من تلقاء نفسه من داخل المناخ الرّوائي، راسماً أمامنا ذلك العالم الصّحراوي القاسي، الطبيعي، وهو في الوقت نفسه روحيّ متوترّ، زهديّ، إنّه أمر في غاية الغرابة، إذ من النّادر أن يصف إبراهيم الكونيّ الصّحراء نفسها، كي نحسّها ورغم ذلك فإنّ نموذج السمّاء المفتوحة فوق الأرض، العراء المنبسط حينا والأرض الجبلية حيناً آخر تظلّ قائمة نصب أعيننا خلال عملية القراءة كلها "\.

في السياق نفسه والاشتغال كذلك، من الصحراء نفسها وعلى امتداد المسافات يكتب الروائي الموريتاني موسى ولد ابنو عن الصحراء ويجعل منها النفس الأخير، لملكة الفرصة الأخيرة للبشر، من أجل الحياة أو بالأحرى إرادة الحياة، فعلا ففي اللحظة التي تتلوث فيه رمال الصحراء تنتفض الرمال وتعلن ثورتها " يكتشف أهل أودافوست أن آبار المدينة جفت، يصلون صلاة الاستسقاء، وفي نهاية الصلاة يفاجئون برجل دميم يخطب فهم منددا بهم لاسترقاقهم المسلمين رغم ادعائهم الإسلام، وتعاليهم، وتكاليهم على الدنيا.. يتعرف "فارا" على أمة جميلة "فاله"، ويشاركان في التحضير لثورة العبيد التي تفشل لوشاية بعضهم ببعض، ويلقيه سيده في بئر الكنيف ليعاقبه، في هذا القسم من الرواية نستمع إلى صرخات "فارا" المطالبة بالمساواة مع كراهيته المطلقة للبشر واحتقاره لهم "هذه الرمال النقية، السابحة في الضوء، كان يمكن أن تكون ذات

ا الصحراء في أدب إبراهيم الكوني.. شِعريّة الفضاء السردي https://www.alittihad.ae/news15 أكتوبر ٢٠٢٠ ٢٠٢٠ .

مال مطلق لو لم تكن ملوثة هذا البشر "١

إننا نكتشف هنا نموذجا، يعري لنا أحد أسرار العالم، التي سنعجز بدونها عن فهم أوربا ونعجز عن اكتشاف أشياء أخرى كثيرة، بتنا نجهلها وسنعجز بدونها عن فهم الحياة نفسها، لأن الصحراء ظلت منذ الأزل تضع الإنسان وجها لوجه، أمام كينونته تضعه متجاوزة العالم الصناعي كله متجاوزة الحضارات الفخاخ وكل أقنعة القرن العشرين الأخرى تضعه كما نرى داخل العالم نفسه أ

خاتمة

عالم الصحراء فضاء أصيل وقوة أصيلة تكتسي مبتدأ الحياة وخبرها وهي تنتفض لجرم الإنسان الذي خلفه على الأرض الصحراء مرآة وزمن هلامي أصيل لا يقبل استنساخا ولا مسخا عالم واحد وإرادة موسومة المعالم لا تقبل قسمة أو تنازلا الصحراء واحة المعطوبين من أثار الحياة وتوجساتها وخلاص المقهورين وواحة المتأملين إنها نسق ثقافي يفرض ملكه ويبسطه في الإرجاء يمتد بكل قوة ليرهن مصائر من يحاول الطمس والإخلال بقدسية هذا النسق هذا ما أمكن أن نكتشفه ونحن في ضيافة الصحراء من البوابة التي أرشدنا إليها الكاتب المتميز الذي تسكنه الرمال والناقة والإنسان الطارقي الأصيل في صحاري ليبيا والجزائر ومالي والنيجر وتشاد.

المصادروالمراجع

١. أقيس كلثومة نجار، "الصحراء من إيكولوجيا الإلهي إلى التنمية المستدامة"،
 كتاب أشرف على إعداده أحمد مورو وبرنارد كالاوورا.

ا موسى ولد ابنو م(١٩٩٦)مدينة الرياح أولا بالفرنسية عن دار L'Harmattan سنة ١٩٩٤ تحت عنوان Barzakh فبل أن تصدر بالعربية عن دار الأداب بيروت. ص ١٤

۱۲ الصحراء في أدب إبراهيم الكوني.. شِعريّة الفضاء السردي https://www.alittihad.ae/news15 أكتوبر ۲۰۲۰ ۲۰۲۰ .

- ٢. المجوس، الجزء الأول، دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٢، ص٩
 - ٣. حسين عيد واقع وحلم وأسطورة في قصص إبراهيم الكوني.
- ٤. موسى ولد ابنو، مدينة الرياح، أولا بالفرنسية عن دار الاحاسنة ١٩٩٤ سنة ١٩٩٤
 تحت عنوان Barzakh قبل أن تصدر بالعربية عن دار الآداب.بيروت. ص ١٤

٦. البيان الرابط: ٢٠٠٠مايو

https://www.albayan.ae/five-senses/2000-05-27-1.1036513

الصحراء والأدب العربي

الدكتور بلال أحمد شاها

الملخص

إني سوف أحاول في هذه المقالة أن ألقى الضوء على جوانب مختلفة للصحراء وأدبها، أي أدب الصحراء، من المعروف أن البيئة العربية بيئة صحراوبة، تشكل الصحراء معظم أرجائها، وإلى جانب هذا الشكل الجغرافي للصحراء في الوطن العربي فإن لها أثر وجداني ونفسى ينعكس على إبداع الروائي العربي، بل أن هذا التأثر الصحراوي لم يقتصر على الرواية فحسب، ولكنه امتزاج بإحساس كل مثقف وكل مواطن في هذا الوطن، حتى أصبح للصحراء حضور بارز في مجالات الحياة المختلفة. وتأثير الصحراء على الأدب العربي لم تكن ظاهرة حديثة، بل هي قديمة قدم الأدب نفسه، فسجل الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حافل بالكثير من النصوص التي يبدوا فيها تفاعل الشعراء مع الصحراء وموافقهم الإنسانية فيها، أما في مجال النثر فقد كان تأثر الروائيين مرتبط بالظروف المحيطة بالبيئة من ضياع وفقر وجوع وحرمان. وقد شهدت الساحة الأدبية تطور ملحوظا في إطار الخطاب الروائي في الرواية العربية، وذالك انتقالا من دراسة النصوص الأدبية وفقا لإطارها التاريخي إلى تحليلها تحليلا داخليا وربطه بالسياقات الأخرى. تركت الصحراء بصماتها واضحة راسخة على صفحة حياة الإنسان العربي، فأثَّرت بصورة مباشرة في توجيه سلوكه وبناء فكره، وتشبيد مجده التليد وحضارته الشامخة كما ألقت قسوتها بضلالها على روح سكانها فأكسبتهم قوة وحصانة، وزرعت فهم الإباء والكبرياء وبعثت فهم عزما لا يعرف اللين، ومنحتهم ذهنا صافيا ثاقبا، وبديهة حاضرة في الفكر واللسان، ونقاء السريرة، وطيب النفس وكرم الأخلاق. وتعتبر الصحراء جزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي، بل هي جزء

١ باحث الدكتوراه السابق في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلمي.

مهم من تراثنا الطبيعي.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، الأدب العربي، الشعر الجاهلي، الساحة الأدبية، الشعر العربي، الأدب العربي الحديث.

سنعمد فيما سيأتي إلى حسر النقاب عن صورة الصحراء ونبين كيف تجلت في أتون الأعمال الإبداعية العربية قديما وحديثا، وقبل ذالك فإننا لا نجد سبيلا إلى هذه الدراسة قبل أن نقف بدقة على معنى الصحراء لغة واصطلاحا.

مفهوم الصحراء لغة

الصحراء كلمة وردت في قواميس العربية بمعان متقاربة الدلالة، ونذكر هنا ما ورد في بعض القواميس.

الصحراء في المعاجم العربية

وردت كلمة الصحراء في معجم لسان العرب لابن منظور مادة: صحر "الفضاء الواسع لا نبات فيه وأصحر المكان أي اتسع وأصحر الرجل: نزل الصحراء وأصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لن يوازيهم شيء"\، وتتميز الصحراء عند ابن منظور بخاصتين أساسيتين هما الاتساع والقحط.

ويضيف بطرس البستاني في معجم محيط المحيط أن الصحراء "الفضاء الواسع لا نبات فيه والصحراء عند العامة على بقعة من الأرض زرع فيها القيثاء البطيخ ونحوها وهم يقصرونها ويجمعونها على صحاري وبعضهم يقول الصحراء بالتاء"، ويعتبر بطرس البستاني الصحراء قابلة لزراعة النباتات.

مفهوم الصحراء اصطلاحاً

إن التعريفات الاصطلاحي للصحراء يتضمن التعريف المعجمي ولا يقتصر عليه،

99

١. ابن المنظور: لسان العرب، دار بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٧.

۲. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط ۱، ۱۹۹۸م، ص
 ۸. ٥. ٨.

فمن أبرز مقومات الصحراء: "ذالك الخلاء الواسع المترامي العجيب الخالي من معظم مظاهر الحياة النباتية والحيوانية، وذالك إلى جانب ندرة الماء وارتفاع الحرارة التي تؤدي إلى تبخر جزء كبير، مما قد يسقط عليها من أمطار متفرقة"\.

لم تصبح الصحراء صحراء دفعة واحدة كما أنها لم تكن دوما صحراء، بل حدث ذالك ضمن عملية تحول مناخي تضاريسي شديدة البطء وشديدة التعقيد، "وقد أخذ سطح الصحراء تشكله الخاص بالتدريج في العصر ما قبل العصور الجيولوجية استغرق ٢ مليار سنة بعد أن تشكلت الشروط الضرورية لذالك"٢.

وتتميز الصحراء بميزة أخرى "فمعظم نباتات الصحاري من الأنواع التي يمكنها أن تتحمل الجفاف الشديد أو تتحايل عليه فمنها ما هو قصير العمر جدا بحيث يستطيع أن يتم حياته في فترات لا تزيد على شهر واحد عقب سقوط الامطار مرة أخرى فينمو من جديد ومنها ما يخزن الماء في جذوره أو في أوراقه وسيقانه كما هي الحال في نبات الصبير".

نلاحظ من خلال المفاهيم السابقة أنها اعتمدت في تحديدها لمفهوم الصحراء على مقاييس محددة لعوامل المناخ مثل المطر والحرارة، "إذ يبقى الأهم في تكوين مفهوم الصحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص"³. وأيّا ما كانت التعريفات فهي متفقة على أن الصحراء فضاء واسع جدا، لا ماء فها كالأنهار والجداول والعيون الجاربة، قليلة الأمطار والنبات والحيوان.

الصحراء عند النقاد

١. صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٦م، ص ٦٧.

٢. المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٣. عبد العزيز طريح شرف: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،
 ١٩٩٩م، ص ٣٨٢.

٤ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٦م، ص ١٦.

تختلف نظرة النقاد للصحراء حسب توجهاتهم من أدبية إلى فلسفية، وسنطرق إلى نظرة الناقد صلاح صالح الذي أفرد للصحراء مصنفا يجدد صلتها بالرواية العربية في مصنفه "الرواية العربية والصحراء"، بحيث يرى أن "الصحراء أكثر البقاع اليابسة اتساعاً وأكثرها صلة بفكرة اتساع المكان واتشاحه باللامحدودية والأبدية"، ويشير صلاح صالح أيضا إلى أن "تمتع المكان الصحراوي بعدد من الخصائص الفردية كالاتساع الهائل لمدى الرؤية وجماليات التدفق الضوئي، والقدرة الخاصة على الجمع بين الحركة والسكون المطلق".

ينطلق الناقد صلاح صالح في تحديد نظرته إلى الصحراء من طبيعة تكوينها الجيولوجي الخالص وتركيبتها الجغرافية على أنها مكان كباقي الأمكنة على هذا الكون وقد تشترك في بعض خصائصها مع أماكن أخرى كالبحر، بحيث أن الصحراء تشترك مع البحر في شساعتها. وينتقل صالح في نظرته إلى الوجدانية بحيث يرى أن الصحراء ليست مجرد مكان عادي، بل يعدها من أبرز الأقاليم الجغرافية التصاقا بوجدان سكان المنطقة العربية".

الصحراء بنظرة أدبية شعرية لدى الناقد ياسين النصير في كتابه "الرواية والمكان" بحيث يرى أنه "في أبعاد الصحراء تكمن قيم الطبيعة وسحرها، فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات، وفضاء بسماء وافق منطبقين، فضاء بألوان قوس قزح، فضاء بجفاف ومطر وخيول وجمال، وعيون ماء، فضاء متصل اتصالا مباشرا بالسماء، فكانت الأديان، وفضاء يعطي لأجزائه تمازجا كليا في لوحة كونية لا حد لامتدادها".

الصحراء في الشعر الجاهلي

١ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٦.

٣. المصدر نفسه، ص ٩.

٤. النصير ياسين: الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نينوي دمشق، ط ٢ ، ٢٠١٠م، ص ١١٢.

لقد ارتبطت الصحراء بالشعر ارتباطاً وثيقاً منذ زمن بعيد، منذ العصر الجاهلي الذي تميز ببيئة صحراوية، ولهذا كانت الصحراء موضوعا للشعراء بمختلف تضاريسها ومظاهرها فتسابقوا في وصفها والافتخار بها. ولقد تعددت المظاهر المتعلقة بالصحراء فمنها ما هو طبيعي ومنها ما هو إنساني وما هو حيواني، وتتمثل المظاهر الطبيعية في التضاريس المكوّنة للصحراء مثل: الوديان، والجبال، والرمال، والصخور، والمظاهر الحيوانية كالإبل والبقر الوحشي وغير ذاك، أما المظاهر الإنسانية فتتمثل في الأطلال، والخيال، والطيف، وفيما يلى سنعرض نماذج من هذه المظاهر.

١- المشاهد الطبيعية:

اشتملت الصحراء على اتساع رقعتها واندياح جنباتها تنوعا في المشاهد واختلافا في المناخ، وقد صور لنا الشعر الجاهلي عدد لا حصر له من المشاهد، واحتفظت قوافي الشعراء بذالك التلوين العجيب في البيئة، ولكن لا يتسع لنا المجال هنا لذكرها جميعا، وسنكتفى بذكر بعض الظواهر الطبيعية.

الجبال

تعد الجبال من أهم الأماكن على وجه المعمورة وهذا لشموخها وعلو قممها ونظرا لهذه الأهمية فقد أنشدها الشعراء الجاهليين كثيرا في قصائدهم، وكانوا يتغنون بها أثناء حديثهم عن قطع المفاوز وقدرتهم على اختراقها وعبورها بالنوق. يقول "إمرؤ القيس":

جالت لتصرعني فقلت لها أُقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام وكأنما بدرٌ وسيلٌ كتيفة وكأنما من عاقل وأرمام ١

فإمرؤ القيس يرى أنه أقوى من أن تهزمه الجبال ويعجز عنه الصمود أمام قممها، فبناقته يستطيع تحدي أية صعوبات تعتري طريقه.

مجلة الدراسات العربية

_

١ . ديوان امرؤ القيس: ضبط وتصحيح وتحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتاب العالمية ببيروت،
 ط ٢ ، ٤٠٠٤م، ص ١٦٣٠.

وهذا تأبط شرا يفخر بنفسه ويسابق أصحابه للوصول إلى قمة الجبل، ويصل إلىها بعد شروق الشمس، هذه القمة التي تشبه سنان الرمح لدقتها وطولها، فيقول: وقُلَّةٍ كسنان الرمح بارزة ضحيانة في شهور الصيف محراق بادرت قنتها صحبى وما كسلوا حتى نميتُ إلها بعد إشراق المراد المراق المراق

كما تستقبل قمم الجبال كذالك الطيور الجارحة التي تتخذ منها مكانا لمراقبة الفريسة حيث يقول زهير بن أبي سلمي:

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمّى رأسه النسك كما وجدوا في الجبل مكانا يلوذون إليه مواسم الصيف، يقول تأبط شرا: هلّا سألتِ عُميراً عن مساءلتى قوماً منازلهم في الصيف ألبان "

الوديان

للوديان أهمية كبيرة لدى القبائل العربية في الجاهلية، وهذا للخصائص التي تحملها، فهي المكان الذي يرسل المياه عند نزول الأمطار من الجبال إلى الفيافي، وهي مكان يهيم فيه الشعراء بحثا عن أعذب الكلام وأرقى الصور، ولقد استعملوها كثيرا في شعرهم وغالبا ما تكون مقترنة بذكر الأحبة، والاشتياق إلى ديارهم، يقول إمرؤ القيس: ونحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادي الخزامى أو على رس أوعال فالشاعر يبكي الأطلال بهذا الوادي الذي يحمل عنه ذكربات جميلة وكثيرة.

103

١ . ديوتن تأبط شرا وأشعاره، جمع وتحقيق على ذو الفقار، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط ١،
 ١٩٨٤م، ص ٢٩.

٢ . ديوان زهير بن أبي سلمي: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، بيروت، ط ١ ، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

على أحمد خطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية، القاهرة، مصر، ط
 ١٠ ٢٠٠٤م، ص٥٦.

٤. المصدر السابق، ص ٤١.

وهذا زهير بن أبي سلمي يذكر واد الرس، فيقول:

بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادي الرس كاليد للفم' ومن الوديان المعروفة وادي الأحص الذي ذكره أبو ليلى المهلهل:

وادي الأخص لقد سقاك من العدي فيض الدموع بأهله الدعس ٚ

فالوادي هو الذي وفر المياه لسكان هذه المنطقة، ومن الوديان أيضا وادي الاخزم التي يذكره ربيعة بن مكدم:

إن كان ينفعك اليقين فاسألي عني والظعينة يوم واد الأخزم "

الدرات

الدارة هي الأراضي الواسعة الموجودة بين الجبال، وقد ذكرها الشعراء، فهذا "إمرؤ القيس" يتغنى بالدارة في معلقته. حيث يتذكر اليوم الجميل الذي قضاه بدارة جلجل مع حبيبته "عنيزة"، فيقول:

ألا رُبّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جُلجُل ً

الرباح

لقد اعتنى الشعراء الجاهليين بالرياح فوصفوها في قصائدهم وذكروا مشاهدها وتكمن أهميتها في كون العرب قديما كانت "تضرب أبياتها في القبلة في مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء، وتزول عنهم في الصيف، فما هبّت من الرياح عن يمين البيت في الجنوب، وما هبّت عن شماله فهي الشمال".

وللرباح معانى ودلالات متعددة في الشعر الجاهلي، يقول عدي بن زيد

١. المصدر نفسه، ص ١٣٨.

٢. ديوان أبو ليلي المهلهل، دار الكتاب ببيروت، ١٩٩٧م، ص ١٣٨.

٣. أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٦٥.

٤ . ديوان امرؤ القيس، ص ١١.

العبادي، وهو يتحدث عن الدّبور:

فألوت به الصّبا والدبور ·

ثم أضحوا كأنهم ورق جف

والدبور هي الربح التي تأتي من الغرب وهي تحمل معها الغبار والجفاف والقحط فهذه الرباح تمقتها العرب، ولكن رباح الجنوب غالبا ما تكون فأل خير وطمأنينة على أهلها. فهي تحمل المطر الغزير، يقول عبيد بن الابرص:

إعجاز مزن يسحّ الماء دلاّح٢

هبّت جنوب بأُولاه ومال به

السحاب والمطر

نظرا لأهمية المطر في الصحراء فقد أولى الشاعر الجاهلي عناية خاصة بالسحب والأمطار ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بوصف المطر والبرق نجد لبيد وامرؤ القيس عادة يدوم فوق المكان ويسقيه بمطر غزير، يقول لبيد بن ربيعة:

أوعازب جادت على أوراقه خلقاء عاملة ونوءُ نجوم "

فهو يصف السحب في السماء على أنها خلقاء أي أنها ملساء لا فرجة فيها، ويقول أيضاً:

باتت واسبل واكف من ديمة يروى الخمائل دائما سجامها

وفي هذا البيت ذكر لنا لبيد البقرة الوحشية وقد فقدت ولدها، فصورها وهي تروح وتجيء تحت المطر الغزير. فالمطر هو الحياة بالنسبة للجاهلي، فهو الذي يجعل الأرض في أوج بهائها وصفائها.

٢ – مشاهد الحيوان:

105

١ . ديوان عدي بن زيد: سلسلة ديوان العرب، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٢.

٢ . ديوان عدي بن الابرص، ص ٢٤.

٣. ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٦٩.

٤. المصدر نفسه، ص ٧١.

تختص الصحراء عادة بأنواع من الحيوانات تتلائم وبيئتها ومناخها، وتضاريسها الفريدة ومنها ما هو أليف ومنها ما هو متوحش، ولذالك فقد اهتم الجاهلي بوصف هذه الحيوانات لكونها الأقرب إلى نفسه ووجدانه، فوصف أعضائها وصفاتها، كذالك حركاته ومن أبرز هذه الحيوانات:

الناقة

أولى العرب الإبل عناية خاصة وتعهدوها بالرعاية الكريمة للمنافع التي عادت بها عليهم فقد استعانوا بها في التنقل والأسفار واتخذوها موارد رزقهم فأكلوا لحمها وشربوا لبنها، ولقيمتها العظيمة فقد كان فضلا على الشعراء أن يصفوها في قصائدهم، فهي رمز الكرم، يقول بشر بن أبي خازم:

سرى ودُّك السديفُ على لحاهم كلونِ الراءِ لبّده الصقيعُ ا

كما تعد الناقة صديقة الإنسان، والشاعر بصفة خاصة فهو يقصدها كلّما حنّ إلى حبيبته وهذا النابغة الذبياني غب اعتذاريته الشهيرة، يقول:

فعدّ عما ترى إذ ارتجاع له وأنم القتود على عيرانة أجد فتلك تبلغني النعمانَ أن له فضل على الناس في الأدنى وفي البَعد أ

فهي وسيلته في السفر، لا يستطيع الترحال دونها.

ومن الشعراء الذين وصفوا الناقة "طرفة بن العبد" الذي اشتمل ديوانه على نعوت كثيرة لها يقول في وصفها:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي أمون كألواح الإران نضأتها على لاحب كأنه ظهر بُرجُد

١. ديوان بشر بن أبي خازم: منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٧٢م، ص ١٣٤.

٢ . ديوان النابغة الذبياني: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣١.

فناقته لا تستقيم في سيرها من شدة نشاطها وسرعتها، عظامها كألواح التابوت العظيم ومكتنزة باللحم (وجناء).

وهذا عنترة العبسي يصف الناقة عندما تبرك فإنها تصدر صوتا يشبه صوت القصب المكسّر، يقول:

بركت على جنب الرداع كأنما بركت على قصب أجشّ مهضّم ٢

الخيل

تأتي الخيل في المرتبة الثانية بعد الإبل، وهي الأخرى قريبة من نفس الجاهلي فقد سخّرها لخدمته ومجدها في شعره، وارتبط اسمها لدى الشعراء بالعزة والقوة. ولما كانت الخيل ذا سرعة تفوق سرعة الإبل فقد لجؤوا إليها في غزواتهم وغاراتهم كوسيلة لتأمين الرزق والسيطرة على مناطق الرعي، ومن الشعراء الذين استهوتهم الخيل نجد إمرؤ القيس الذي يصف حصانه بالخفة والصلابة والسرعة والقوة، فيقول:

وقد أغتدي والطير في وُكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل مكرّ مِفرّ مُقبل مدبر معا كجلمود صخر حطّه السيل من عل كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلّت الصفواء بالمتنزل

وأحيانا تتجاوز العلاقة بين الجاهلي وحصانه من كونها وسيلة لقضاء حاجاته إلى كونه رفيقا وفيًا وهذا لطول الطريق وكثرة الألفة، كما يشعر الشاعر بحزن فرسه وشكواه كالصورة الرائعة التي ذكرها "عنترة العبسي" عن حصانه الذي ما فتئ يدفع الأعداء بنحره حتى جرح وتسربل بالدم فمال من شدة ما أصابه من الرماح يشكو إلى

١ . ديوان طرفة بن العبد، ص ٣١.

۲ . ديوان عنترة، ص ۲۲.

٣. ديوان امرؤ القيس، ص ١١٥.

فارسه بدمعه وحمحمته، يقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره فازورّ من وقع القنا بلبانه

من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

ولبانه حتى تسربل بالدّم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

٣ – المشاهد الإنسانية:

يهب الإنسان المكان الذي يسكنه أبعادا وعمقا وحضورا مختلفا، ويبعث فيها حياة حقيقية ملؤها رهافة الشعور ورجاحة العقل ويبين هذا عن حضور الخيال الذي يمنح العربي عالما متخيلا موازيا لواقعه يحقق فيه ما عجز عن إدراكه في هذا البراح القاسي وسنحاول أن نقترب من البدوي ونشاهده عن كثب كما هو وكيف يتفاعل مع كل مظاهر الحياة من حوله، ولأن مجال البحث لا يتسع لكل المشاهد الإنسانية فقد آثرنا اختيار بعض المشاهد التي تخص حياة الإنسان في الصحراء كما عبر عنها الشعر الجاهلي.

٤ - الظعائن أو الرحلة القصيرة في الصحراء

تتميز الحياة في الصحراء بكثرة الترحال والتنقل من مكان لآخر لأغراض مختلفة أبرزها البحث عن المياه والمناطق الخصبة، فكان هذا المشهد طاغيا على القبائل البدوية في الجاهلية، ولذالك اهتم الشعراء بقصيدة الظعائن وأولوها عناية فائقة فوظفوها كثيرا في شعرهم، فكانت ذالك الإحساس البارز في معظم القصائد متمثلا في الحنين والشوق الذي يمزق القلوب إلى تلك الذكريات الجميلة التي خلفتها الديار الأولى فنجد عنترة بن شداد العبسي يروي لنا مشهد الإبل التي كانت تحمل المتاع وسط الديار وهي تأكل الحبوب، يقول:

۱ . ديوان عنترة، ص ٤٣.

ما راعني إلا حُمولة أهلها وسط الديار تسفُّ حبّ الخمخم' وبربط لنا المثقب العبدى الظغائن بعدة أماكن فيقول:

لمن ظعُن تطلع من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين تُبصِرُ هل ترى ظعناً عِجالاً بجنب الصحصان إلى الوجين مررنا على شراف فذات هجل ونكبنَ الذرائح باليمين ٢

فقد ذكر لنا الشاعر أماكن عدة كالضبيب والوادي الذي لازمته النساء طويلا، ويقول في تشبيهه للطغائن بالسفن:

وهنّ كذالك حين قطعن فلجاً كأنّ حمولهن على سفينٍ يشهن السفينة وهن بختٌ عراضاتُ الأباهر والشؤونِ

فالعلاقة القائمة بينما هي الرحلة والانتقال والسرعة، وكل هذا يبرز رغبة الشاعر في الانتقال من حال إلى حال. والبعض الآخر لا يصدق أن الفراق حاصل فعلا، إلا عندما يرون الحبال مشدودة استعدادا للرحيل كحال "علقمة بن العبد"، حيث يقول:

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعناً كل الجمال قبيل الصبح مزموم أ إذن هذه أهم مشاهد الضعن والضعائن فهي جمال مذمومة أو رحال تعد وهوادج مزينة، ونساء نختفي خلف أستارها، وأناس تستبد بهم آلام الفراق عند رحيلها، وتبعث بهم أحلام اللقاء عند قدومها.

الأطلال:

۱ . ديوان عنترة بن شداد، ص ۱۷.

٢ . موسى سامح: الشعر الجاهلي مقاربات نفسية، دار الكندي، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٨٧.

٣. المرجع السابق، ص ٨٩.

٤. ديوان علقمة بن العبد، ص ٥١.

بعد رحيل الأحبة عن الديار تاركين وراءهم آثارا لا تستطيع حملها الإبل وألماً وحزنا لمن ألفوهم وأحبوهم وعاشوا بالقرب منهم زمنا، وتلك الديار ما هي إلا بقايا خيمة أو وتد، دمن خربة عافها الزمن، لم يبق منها إلا النؤي والأثافي والأواري، أو بعر الآرام في ساحاتها أو فتات العهن مما يتناثر من الهوادج، وذكريات تعجن الحنين والشوق والألم، وأياما مضت مع الأحبة ههات أن تعود. ويعتبر "إمرؤ القيس" أول من استوقفته ديار الراحلين فغلبه البكاء، حيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل ترى بعر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فُلفُل\

ويقف "النابغة الذبياني" عند دار مية الواقعة بالعلياء فالسند وهما جبلان، وقد أصبحت خاوية وضعيفة بعد فراق أهلها لها، ويقف ليسائلها ولكنها ظلت صامتة، يقول:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد وقفتُ فيها أصيلانا أسائلها عيّت جواباً وما بالربع من أحدً

وقد تصبح تلك الآثار التي يتركها الهجران كالوشم في اليد الممدودة وهذا ما يقوله زهير بن أبي سلمي:

ودارٌ لها بالرقمين كأنها مراجيعُ وشم في نواشر مغصم ودارٌ لها بالرقمين كأنها والقحط السائد في الصحراء جعل الكثير من الشعراء يستمطرون السماء فوق هذه الديار حبّا فها ودعاء لها بالسقيا والخير، كحال "عنترة العبسي" الذي يدعو لها بالمطر الغزير، فيقول:

١ . ديوان امرؤ القيس، ص ٣٠.

٢ . ديوان النابغة الذبياني، ص ٦٧.

٣. ديوان زهير بن أبي سلمي، ص ٩٤.

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلميا

وكثيرا ما يقف الشعراء عند هذه الديار يذرفون الدموع ويذبون عشقا وصبابة كلما هيّجت الذكرى أشواقه من جديد، فتلك الدموع التي يذرفها تخفف من ألمه وتشفى قلبه الجربح، يقول إمرؤ القيس:

وقوفا بها صحبي عليّ مطهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل أ

إذن هذه بعض المشاهد التي حفظها الشعر عن عالم الصحراء، مشاهد متنوعة وثرية، من مشاهد طبيعية إلى مشاهد تتعلق بالحيوان، إلى مشاهد إنسانية، اخترناها كنماذج للدراسة هنا من كثير من المشاهد التي يرفد بها عالم الصحراء، ولكن لا يتسع المجال لذكرها وإيرادها جميعا، وخاصة وأن البحث في هذا المجال كثير التشعب، ويحتاج إلى بحث مستقل، فلم نتوسع في الحديث عن الحروب مثلا ولا على العادات والتقاليد. ونخلص في الأخير إلى أن الشعر الجاهلي، أصدق ممثل للبيئة الصحراوية تتفتح معالمها في ثناياه، فيغدوا تعبيرا أمينا عنها وعن وقوف البدوي أمامها متأملا أو متأثرا فالشاعر الجاهلي سواء نبغ في الحضر أو في الوبر يشكل حجرا متينا في بناء الأدب الجاهلي المتكامل.

الصحراء في الأدب العربي الحديث

ارتبط الحديث عن الصحراء في حقل الأدب العربي بالشعر والشعراء وحظيت، بأهمية كبيرة خاصة بالنسبة للأدب العربي القديم باعتبارها الموطن الأول للإنسان

111

۱ . دیوان عنترة بن شداد، ص ۱۵.

٢ . ديوان امرؤ القيس، ص ١١١.

٣. ياسين النصير: الرواية والمكان، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط ٢،
 ٢٠١٠م، ص ١١٢.

العربي لكن مع تطور الأدب بمختلف فنونه خاصة في العصر الحديث ظهرت أشكال تعبيرية كتابية أخرى مختلفة تماما، وأهمها الرواية التي ظهرت متأخرة مع بداية القرن العشرين، إذ ظهرت كفن جديد له لغة خاصة به، دخلت في تركيها عناصر متعددة غير موجودة في أي جنس أدبي آخر، "فالرواية ينسجها التاريخ والجغرافيا والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الأخلاقية والأدبية والنحوية والسياسية والاقتصادية"، أي إنها تتكون من شبكة معتقدة من المعطيات والأحداث في محاولة منها لرصد الواقع حسب تحديد علماء الاجتماع أو بناء عالم بديل يتحقق فيه ما لم يستطعه الواقع أو ما ارتضى السكوت عنه.

ومن المعروف أن الرواية العربية اتخذت في بداية نشأتها وتطورها مسارين متضادين ومتلازمين نشأ بينهما صراع حول البحث عن طرق جديدة في التعبير وبين الصلة مع الماضي والتراث، هذا الصراع أوقع الروائيون العرب في حيرة من أمرهم، هل يتبنون النموذج الغربي الأجنبي في الكتابة وعلى رأسها الرواية الفرنسية الجديدة؟ أم هل عليهم العودة إلى أشكال السرد التراثية وتطعيم الشكل الروائي الحديث ببعض عناصر هذا التراث؟ حيث عمد لفيف من الأدباء في خطوة أولى إلى الالتفات للتراث العربي ونبعه الأصيل يعبون منه بشغف ونهم أي اتباع طائق الحكي القديم، حجتهم في ذالك التمسك بالأصالة والهوية العربية، وبهذا الشكل "تستعيد الكتابة الروائية العربية إرثها القديم وتتعلم من ألف ليلة ومقامات بديع الزمان الهمذاني ومقامات العربري، وأخبار العرب"، على نحو ما كتب الموبلعي في "حديث عيسى بن هشام" وغيره.

 ١ . شاكر النابلسي: مدار الصحراء في روايات عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢١.

٢ . فخري صالح: دراسات في الرواية العربية قبل نجيب محفوظ وبعده، منشورات الاختلاف،
 الجزائر، ط١، ٢٠١٠م، ص ٢١.

لتدخل الرواية بذالك مرحلة جديدة من مراحل تطورها وتعيش مرحلة التجريب التي قادتها إلى الاعتماد بصفة كلية على العناصر الحميمة في السرد وخاصة على عنصري الحكاية وعنصر التاريخ، والجدير بالذكر أن سيطرة الجوانب التراثية والتاريخية على الرواية أغفلت الاهتمام بالفضاء الروائي ونظرت إليه بوصفه إطارا وحاضنا ساكنا لابد من وجوده لتحريك بقية العناصر كالشخصيات والزمن والحدث، غير أن الفضاء الروائي لا يمكن أن يظل منعزلا عن باقي مكونات السرد السالفة الذكر وعدم النظر إليه في تفاعله مع هذه المكونات يجعل التأويل قاصرا عن إدراك الأبعاد الدلالية التي ترمي إليها النصوص الروائية.

وهكذا بعد أن ترسّخت الرواية في تقاليد وثقافة المجتمع العربي وأصابت قدرا من النضج الفني عملت على التخلص من قبضة الفن الروائي الغربي، وسعت إلى تحقيق منجز روائي عربي أصيل يحمل سمات الهوية العربية، واستحال النص الروائي العربي إلى بناء من القيم الثقافية والاجتماعية والسياسية والحضارية يشيّد بواسطة اللغة إذ أصبحت تعبّر عن حدة الأزمات المصيرية التي تواجه الإنسان العربي، "فالرواية الجديدة بنية فنية دالة على الاحتجاج العنيف، الرفض لكل ما هو متداول ومألوف"، إذ لم تعد المدينة الرحم الفني الخصب الذي أنجب أشكالا روائية متعددة ورغم ارتباطها بالنشأة الأولى للرواية إلا أنها تحولت إلى هامش في إنتاج النص الجديد، خاصة وأن ارتباط الرواية بالمدينة يحيل على تأثر البناء الروائي بالطبقية الاجتماعية والطبقة البرجوازية بصفة خاصة حسب التصور الجولدماني "حيث استخدم البعض البنوية التكنوية في ربط المدينة بالنص جماليا، وإن كان ذالك المنهج يحول إلى بناء اجتماعي أكثر منه بناء جماليا".

ونشير في هذا الصدد إلى أن بواكير التأليف الروائي العربي لم تعرف أعمالا روائية اتخذت من فضاء الصحراء مسرحا لأحداثها مثلما أشرنا إلى ذالك، ورغم هذا فقد

113

١ . شكري عزبز ماضى: أنماط الرواية العربية الجديدة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٦.

تسلك إلى بعض الأعمال بأشكال مختلفة "كان أبرزها استعارتها لتصوير بعض النزعات المصطبغة ببعض ما ترسب في نفوس الكتاب العرب من ولع خاص سكبته الرومانسية الغربية على الطبيعة، وعلى المبالغة في الاحتفاء بالأحاسيس والعواطف واستعارة الطبيعة لمداعبة هذه الانفعالات"، فكانت الصحراء الفضاء الجديد الذي يسعى المبدعون إلى تأكيد الصلات القوية التي تربطهم به، بعدما كانوا ينظرون إليه على أنه فضاء عمي على التشكيل الفني والجمالي "فلم يجرؤ غير الشعراء في محاولة أحكام توثيق لجامها، الذي يتأبى على الترويض على المتأخرين أيضا من كتاب الرواية".

توجهت الرواية العربية المعاصرة في عدد من النماذج فنيا وفكربا إلى الصحراء، وكان طليعة نتائج هذا التوجه أن المكان الروائي الصحراوي خصوصا تجاوز سكونيته السالبة المعهودة في الأنماط الروائية التقليدية، وانضم إلى العناصر الحركية الفاعلة في تكوبن بنية الرواية ومنح عالمها الداخلي مزيدا من التنامي والحيوبة والجماليات الإضافية الخاصة، وقد سبق توجه الرواية العربية إلى الصحراء توجه واقعى للنشر بفعل الانتقال إلى مواقع النشاط الاقتصادي وتمركز الثروات وهذا خلال النصف الثاني من القرن العشرين حيث كان لاكتشاف البترول والثروات المخبوءة في باطنها أثر كبير في تحسين صورتها والتقليل من الاندفاع إلى معاداتها ورفضها، بوصفها مكانا قابلا للاستثمار الاقتصادي، هذه التحولات الاقتصادية ساهمت في ظهور مجموعة من الروايات اهتمت بالمكان اهتماما محوربا وعكست التغيير الجذري خلخل المكان وبشره، ومكّنت الروائي العربي من الفوز بمكان جديد يزيد من إثراء خياله الفني ويستفيد من الجماليات الواقعية التي يتوفر عليها. ويستثمرها في بناء جماليات الرواية، وبذالك يتخلص من هم التأصيل للرواية العربية وخلق رواية عربية خالصة تستمد نسغها من التراث العربي الزاخر أي "الوصول إلى إنتاج رواية عربية لا يخطئ من يقرأها في اكتشاف هويتها ومزاياها وطريقتها الخاصة في القص" .

١. عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى، دار الفكر الجديد، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٦١.

تجليات الصحراء في الرواية العربية:

۱ – مصر

عمد الروائيون الرواد في مصر إلى استثمار فضاء الصحراء في إبداعاتهم الروائية لترجمة بعض أفكارهم ورؤاهم الخاصة، بدأت "الروايات العربية الأولى توجها نحو الصحراء باستحياء في البداية وتلميحات عابرة، كما في رواية الاعتراف لعبد الرحمن شكري التي نشرها في الجريدة ما بين ١٩٠٩ – ١٩١٣م، ثم عاد وجمعها في كتاب أصدره عام ١٩٢٦م باسم قصة نفس، ورواية إبراهيم الكاتب ١٩٣١م للمازني، ورواية دعاء الكروان ١٩٣٤م لطه حسين"١٠.

٢ – فلسطين

يبرز من فلسطين اسم الروائي "غسان كنفاني" في روايتيه "رجال في الشمس" و "ما تبقى لكم"، ففي روايته الأولى التي قالت عنها "ميرال الطحاوي": لا يمكن اعتبار رجال في الشمس لغسان كنفاني التي تحكي عبور ثلاث فلسطينيين في شاحنة عبر الصحراء وموتهم في الخزان بفعل الشمس رواية صحراوية، لأن القاطرة تجتاز بهم الصحراء"، حيث ترى أن هذه الرواية تعبّر عن رؤية واقعية لتجربة الاغتراب والعزلة والهجرة والبحث عن العمل في أماكن أخرى بعيدا عن الوطن.

٣ – الشام

إن روايتا "كنفاني" تصوران لنا جزء من صحراء بادية الشام الواسعة وطرقها المؤدية إلى الأردن والعراق والكويت وكذا صحراء النقب الفلسطينية، "كما كانت صحاري الشام منطلقا لمطامح روايات أخرى اعتمدت الصحراء كفضاء دارت فوق أرضها أحداث مختلفة وليست كطريق أو معبر لفضاءات أخرى كروايتي "فارس

١. نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، الأردنن ط ١،
 ٢٠٠٥م، ص ٤١.

٢ . ميرال الطحاوي: محرمات قبلية، مكتبة الشروق، مصر، ٢٠١١م، ص ٢٩.

زرزور"، "الحفاة"، و"خفي حنين"، ١٩٧١م ورواية "المذنبون" ورواية "حارة البدو"١٩٨٠م "لإبراهيم الخليل"، و"الطاحونة السوداء"، "لبندر عبد الحميد"، و"البحث عن سماوات جديدة" ١٩٨٩م "لياسين عبد اللطيف".

٤ – العراق

أما الصحراء العراقية فقد تناولها الروائي العراقي "جاسم الهاشعي" في روايته "أم الشين"، وهي قرية بائسة تقع جنوب العراق تمتثل للطبيعة امتثالا مباشرا، فإذا أقبل الربيع وازدهرت الصحراء المالحة واخضرت سنابل القمح، وجرى الماء في سيقان النباتات، تضحك الحياة وتزهر قلوب الناس بالحب، أما إذا جاء الشتاء واستحكم الجفاف فإن الطبيعة تقسوا وتتحول إلى ضبع كريه مكشر عن أنيابه، فيكثر الموت من شدة الجوع وتمتلئ دروب القرية بحيث يدرك الناس ضرورة تطهير الأرض منها"، فهذه الرواية كما يظهر من قول الدكتور "محمد حسن عبد الله" تعالج مشاكل الزراعة في المناطق الشبه صحراوية والتي يعد الجفاف أحد أهم مشاكلها.

ويطرح الكاتب الفلسطيني "جبرا إبراهيم جبرا" في روايته "البحث عن وليد مسعود"، فكرة الضياع والاغتراب الروحي، فقد استعار الكاتب الصحراء العراقية وطرقاتها لتأكيد هذه الفكرة غير أن هذه الرواية لم تعكس حقيقة الصحراء العراقية، ولم تعنى بتصويرها كمكان، فالمكان المحوري أو الأمكنة المحورية كانت في بغداد والمنازل والبيوت في المدن الأخرى". كما أن جزء كبير من الأحداث جرت في الطرقات الصحراوية التي تصل بين المدن وليست في الصحراء في حد ذاتها، رغم أنه ورد ذكر بعض المدن العراقية الصحراوية كالفلوجة والرمادي والرطبة حيث تؤكد حبيبته

١. نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، ص ٤٣.

٢ . محمد حسن عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٩.

٣. جبرا إبراهيم جبرا: البحث عن وليد مسعود، منشورات وتوزيع مكتبة الشرق الأوسط، بغداد، ط
 ٣. ١٩٨٥م، ص ٢.

"وصال" أنه "كان يسوق على غير هدى مبتعدا عن المدينة في طريقنا إلى الصحراء أمامنا الفلوجة، فالرمادي، فالصحراء"، وأكدت للجميع أن السلطات الأردنية تعنتت ومنعته من الرحيل ورفضت "السماح بالعبور فأعيد إلى الرطبة ثم أعادوه إلى الصحراء ثم أعيد إلى الرطبة "٢. وتناول الصحراء العراقية كذالك الروائي الكبير "عبد الرحمن منيف" من خلال ثلاثيته الشهيرة "مدن الملح".

ه – الأردن

ويطالعنا من الأردن "مؤنس الرزاز" بروايته "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" حيث عالج في هذه الرواية ظاهرة السّراب المنتشرة في الصحراء "وحمّلها دلالات سياسية وتاريخية وحضارية، وعمّم ذالك على جميع الصحاري العربية"، حيث تزدحم الرواية بالأمكنة السرابية، يقول: "أنظر إلى ذالك السراب تخاله حاضرا وهو غائب، تحسبه مياه وهو وهم يخدع الحواس التي تقوم بدورها بسحر العقل وإغوائه بإصدار أحكام كاذبة لكن أقوام الصحراء يؤمنون بتلك البحيرات التي تخدع الحواس وتربك العقل، فتتبخر الحقائق وتمسى قابلة للطعن".

٦ – السودان

اقتصرت الرواية السودانية على الوصف المقتضب لبعض مشاهد الصحراء نذكر منها "الجنخانة" "لمحمود عباس" ورواية "جزيرة العوض" "لعمر الحميدي" التي تقدم صورة عن قربة سودانية تقع بمحاذاة نهر النيل، رغم ذالك لم يستطع هذا النهر

117

١ . صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، ص ٥١.

٢ . المرجع نفسه، ص ٣١٣.

عبد الرحمن منيف: مجموعة من المؤلفين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،
 ٢٨٠٠م، ص ٢٨٢.

٤. مؤنس الرزا: متاهة الأعراب في ناطحات السراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط
 ١١ ١٩٨٦م، ص ٢٨٦.

أن يخفف من حدة طبيعتها الصحراوية، وقد أسهب الكاتب في وصف المكان المجدب ليبرر لبطله شدة نفوره وعدائيته للمكان وأهله، يقول البطل: "بدأت أضيق بهذه القرية وبمن فيها وقد تحول ضيقي إلى كراهية للناس لأنهم اختاروا لأنفسهم أن يعيشوا هنا من دون سائر بلاد الله الجميلة، وقد كرهت أفراد أسرتي لأنهم ولدوني هنا، حيث فرضوا وجودي في هذا المكان الذي يطوقه العذاب"، فأهم ما يربط هذه الرواية بالصحراء والنهر، وهاتان الروايتان يمكن عدّهما إرهاصات الكتابة الروائية عن الصحراء في السودان. وتعتبر رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" "للطيب صالح" أكثر نضجا وتطورا من حيث الكتابة عن الصحراء.

٧– ليبيا

برز المبدع المتفرد "إبراهيم الكوني" في سماء الرواية الليبية، وغدا الوريث الشرعي للموروث الثقافي العربي للصحراء الكبرى وقبائلها وخاصة قبائل الطوارق الذين اشتغل عليهم، والملاحظ أن الصحراء في جميع كتابات "الكوني" من "التبر" إلى "المجوس" إلى "نزيف الحجر" إلى "ديوان النثر البري" إلى "خريف الدرويش" إلى "أساطير الصحراء"، كلها تستحيل إلى فضاء عبقري موحي، فضاء أسطوري روحي "فأن تكتب للصحراء عن إبراهيم الكوني، معناه أن تحفر بعيدا أو عميقا بحثا عن مجالات أخرى مغايرة للكتابة بحثا في الكتابة عن تلك الواحة الموجودة المفقودة التي ما أنفك كتّاب كبار يبحثون عنها دون جدوى، وهو ما يقتضي طريقة جديدة في السرد والكتابة". كمار يبحثون عنها دون جدوى، وهو ما يقتضي طريقة جديدة في السرد والكتابة". ومن أهم سمات الصحراء في نصوص "الكوني" أن الصحراء كفضاء تأتي كضديد لفضاء المدينة مؤثثا بمجموعة من الأساطير ذات الأبعاد الرمزية والصوفية والفلسفية، وهي ثروة روحية لا يمكن أن تضاهها أي ثروة مادية.

١ . عمر الحميدي: جزيرة العوض، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٩.

٢. حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ٢٠١٠م، ص ٦٨.

المصادروالمراجع

- ١. ابن المنظور: لسان العرب، دار بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
- بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط ١،
 ١٩٩٨م.
- ٣. صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،
 ١٩٩٦م.
- عبد العزيز طريح شرف: المقدمات في الجغرافيا الطبيعية مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٩م.
- النصير ياسين: الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، دار نينوي دمشق، ط
 ٢٠١٠، ٢
- ديوان امرؤ القيس: ضبط وتصحيح وتحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار
 الكتاب العالمية ببيروت، ط ٢،٠٤٢م.
- ٧. ديوان تأبط شرا وأشعاره، جمع وتحقيق على ذو الفقار، دار الغرب الإسلامى، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.
- ٨. ديوان زهير بن أبي سلمي: سلسلة ديوان العرب، دار بيروت، بيروت، ط ١،
 ١٩٨٦م.
- ٩. على أحمد خطيب: فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللسانية،
 القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ١٠. شاكر النابلسي: مدار الصحراء في روايات عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٠م.
- ١١. فخري صالح: دراسات في الرواية العربية قبل نجيب محفوظ وبعده،
 منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٢. شكري عزيز ماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، دار الكتب، القاهرة،
 ١٩٩٦م.
 - ١٣. عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى، دار الفكر الجديد، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٤. نبيه القاسم: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة
 والنشر، الأردنن ط ١، ٢٠٠٥م.

- ١٥. محمد حسن عبد الله: الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، بيروت،
 ١٩٩٩م.
- 17. جبرا إبراهيم جبرا: البحث عن وليد مسعود، منشورات وتوزيع مكتبة الشرق الأوسط، بغداد، ١٩٨٥م.
- ١٧. مؤنس الرزا: متاهة الأعراب في ناطحات السراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- ١٨. عمر الحميدي: جزيرة العوض، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ١٩٩٧م.
- ۱۹. حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، الجزائر،۲۰۱۰م.

تعريف مؤجز بكتب المقالات للشيخ علي الطنطاوي

الدكتور غلزار أحمد بال1

الملخص

تتم كتابة المقالة في المراحل العديدة، والطنطاوي أيضا يتبع المنهجية العامة لكتابة المقالة، غير أنه لكونه كاتبا ذا توجّه إسلامي يُدخل هذه المنهجية مقاييس يهيمن عليها فكره الإصلاحي، فهو يختار الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالدعوة والإصلاح. فاختيار الموضوعات عنده يخضع لتوجهه الإسلامي سواء أكانت المقالة تدور حول قضية اجتماعية أو سياسية، وهدفه من وراء ذلك هو تزيين القيم الأخلاقية النبيلة وتقبيح الرذائل والضلالات. يستمد الطنطاوي من ذوقه الخاص وشعوره المرهف في المراحل التنفيذية لكتابة المقالة مثل اختيار العنوان وبناء التصور النظري الكامل وإجراءات عملية لها، فهو يختار العناوين التي تثير اهتمام القراء وتجذب انتباههم وتخدم مسار الكتابة، وهي دقيقة ودالّة على موضوع المقال، لأنه كاتب متمرن مارّس الكتابة في الصحافة منذ صغره، والمعالم الرئيسية لفكره ونظرياته واضحة عنده فتأتي أفكاره متسلسلة ومترابطة ويبرهنها بالأدلّة ويعرضها بالقوة والصراحة، ويتخير الأسلوب الأنسب، والطربقة المثلى التى تفي غرضه وتحقق أهدافه في سمو وابداع.

تحليل مقالات الطنطاوي لأجل دراستها يساعدنا على إبراز خصائصها طالما نقسمها وفق المواضيع التي تصدى لها هذا الأديب، وتقسيمها وفق الذاتية والموضوعية لا يجدي نفعاً لأن المقالات مكتوبة بطابع أدبي ولا تخلو أي من مقالاته من ذاتيته فلذالك يكون التقسيم إلى الذاتية والموضوعية غير دقيق. هذا البحث يحتوي على

١ الأستاذ المساعد في الكلية الحكومية للنساء، جامعة كلستر، سري نغر.

مقالات الشيخ على الطنطاوي وأحاول في هذا البحث أن ألقي الضوء على كتبه المقالات.

الكلمات المفتاحية: المقالة، الأدب، على الطنطاوي، الأسلوب، العناوين، الأفكار، المراحل.

المقالة لغة واصطلاحا

المقال والمقالة في اللغة مشتقان من "القول" وتستعملان في معناه أي "الكلام"، وقد ورد في القاموس المحيط "القول: الكلام، أو كل لفظ مذل به اللسان، تاما كان أو ناقصا. ج: أقوال، جج: أقاويل. "\ وجاء في الحديث الشريف "نضَّر الله امراً سَمِع مقالتي فوَعَاها وحَفِظها وبَلَّغها، فرُبَّ حامل فِقْه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ علهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ الدَّعْوة تُحيط من ورائهم). "

يدل المعنى المعجمي للمقالة على أنها عبارة عن مجموعة من الخواطر والتأملات التي لا تجري على نسق معين، من حيث أن الكلمة "المقالة" مصدر ميمي بمعنى القول، والقول قد يتشكل في أنماط متعددة وغير محددة. فلذلك كانت للمقالة أنماط وأشكال متعددة وضروب مختلفة صيغت صياغة أدبية في الأدب العربي في العصور المتقدمة.

"لا بدلنا إذن أن نبحث عن المعنى الاصطلاحي للمقالة، والطريقة المثلى لذلك هي أن يطلع الباحث على جميع ما كتب من المقالات، ثم يضع تعريفا يشملها جميعا من غير استثناء، وهذا مطلب عسير، لأن الكاتب يكتب بملء حربته وبتصرف في موضوعه كما يحلو له، لذلك كان أقصى ما نطمح إليه أن نصل إلى تعريف يقرب المعنى إلى الأذهان، ولا بد لنا قبل أن نحاول مثل هذا التعريف أن نشير إلى أن الكتاب العرب

١ د. مصطفى فاروق: محاضرات في فن المقال، ص ٦.

٢ الترمذي: باب الحث على تبليغ السماع وقال هذا حديث حسن صحيح.

في العصور الأولى كانوا يؤلفون قطعا من النثر الأدبي في صور متنوعة، ولكنهم لم يكونوا يسمونها "مقالات" ومع ذلك فإن لفظ مقالة كان يستخدم بمعنى بحث في مسألة أو مذهب من المذاهب الدينية، أو يقسم الكتاب إلى "مقالات" كل واحدة منها تعالج بحثا دينيا أو فلسفيا أو علميا ومن هذا القبيل استخدام الكاتب الشاعر الفارسي النظامي العروضي الاصطلاح في كتابه "جهار مقالة" (أو المقالات الأربع)".\

يقدم لنا الدكتور محمد يوسف نجم تعريف المقالة كما يلي:

"المقالة نص نثري محدود الطول يدور حول موضوع معين تظهر فيه شخصية الكاتب، وله مقومات فنية تتمثل في المقدمة والعرض والخاتمة وشرطها الأساسي أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب" ٢

ويقول سيد قطب: "أما المقالة فهي فكرة قبل كل شيء وموضوع. فكرة واعية، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب، بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر. وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكري". "

أنواع المقالة

قد دأب الباحثون على تقسيم المقالة إلى ذاتية وموضوعية بناء على غلبة الطابع الذاتي أو الموضوعي عليها. ولكن هناك إمكان تقسيما تأخري للمقالة إذا نظرنا إليها من زوايا مختلفة، ولا سيما باعتبار الكاتب والأسلوب.

١ د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة الادبية، القاهرة، مطبعة لحنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩،

٢ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٤.

٣ سيد قطب: النقد الأدبي-أصوله ومناهجه، ص ١٠٦.

المقالة حسب الكاتب: يوجد للمقالة نوعان رئيسان حسب تدخُّل الكاتب في المقالة وهما:

المقالة الذاتية: هذا النوع من المقالات يعبر فيه الكاتب عن رأيه الشخصي وعواطفه الشخصية عن حدث أو مشهد معين، وهذا النوع يحتوي على الكثير من المصيغ البيانية، والعبارات الموسيقية، والصور الخيالية، وفي الأغلب يتناول الكاتب في مقالته مواضيع اجتماعية، أو شخصية. يقول د. محمد يوسف نجم عن هذا النوع من المقالة:

"والمقالة الذاتية تلك التي تبدو فيها شخصية الكاتب جلية جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه، وعدة الكاتب في هذه المقالة الأسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة ويثير الانفعال، ويستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية والعبارات الموسيقية والألفاظ اللغوية الجزلة، وهي التي تعبر عن مشاعر كاتبها وتجسد أحاسيسه وتعكس عواطفه ونظرته إلى موضوع المقالة وموقفه إزاءها". '

المقالة الموضوعية: هذا النوع من المقالات هو عكس المقال الذاتي، حيث يبتعد الكاتب عن إظهار نفسه أو شخصه في المقالة، ويتناول موضوع المقالة بشكل موضوعي بعيداً عن العاطفة، داعماً أقواله بالأدلة والبراهين. وقد جاء في فن المقالة ليوسف نجم:

" وهي تستقطب فيها عناية الكاتب، ومن ثم القارئ، حول موضوع معين يتعهد الكاتب بتجليته مستعينا بالأسلوب العلمي الذي ييسر له ذلك ومن خصائص هذا الأسلوب الوضوح والدقة وتسمية الأشياء بأسمائها ولا يبيح الكاتب لشخصيته وأحلامه وعواطفه أن تطغى على

١ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٦.

تعريف مؤجز بكتب ومجموعات المقالات للطنطاوي

١. البواكير

يجمع هذا الكتاب بعض مقالات الشيخ علي الطّنطاوي التي كتبها بين ١٩٢٩ و١٩٣٥ أي في الفترة التي كان عمره فيها بين ٢٠ و٢٦ سنة! أغلب هذه المقالات نشرها الشّيخ رحمه الله تعالى في الجرائد والمجلّات، وقام حفيده مجاهد مأمون ديرانيّة بجمعها وترتيبها ترتيبا زمنيا في هذا الكتاب. كتب علي الطنطاوي تلك المقالات في فترة الاحتلال الفرنسي لسوريا، وبداية هجرة اليهود إلى فلسطين، أغلب المقالات تحدث فيها عن مدارس التجهيز، وعن وزارة المعارف وعن الأدب، كان يتحدث بحماسة جياشة عن وطنه وعن دينه وبعقلانية كبيرة وذكر الكثير من الحقائق التاريخية. تثير هذه المقالات اعجاب القارئ ودهشته وهو يفكر كيف كان لهذا الشاب "العشريني" بأن يكتب هذه المقالات الناقدة الاصلاحية بهذه القوة والصرامة بدون خوف أو جزع وبكل صراحة وحدّة وشدّة. ولكن ليس هذا كل ما كتبه الطنطاوي في تلك الأيام.

٢. الجامع الأموي في دمشق: وصف وتاريخ

هذا الكتاب رغم قصره وصفا دقيقا وتاريخا لمن أراد أن يقف على الجامع الأموي، يبدأ الكتاب بوصف عام للجامع ويستمر إلى ثلاثة فصول: "جولة في الأموي" و"في صحن الأموي" و"في الحرم". وفي هذه الفصول وصف لصور الجامع ومداخله وبواباته، ثم الصحن بقبابه وبلاط أرضيته، ثم حرم الجامع (أي الجزء المسقوف منه) بمنبره ومحاريبه الأربعة.

وبعد ذلك سبعة فصول تستعرض تاريخ الجامع من يوم أُنشئ إلى زماننا الحاضر، وذكر الطنطاوي في الكتاب ما مرّ بالأموي من حرائق وزلازل وما أُجري عليه من

125

١ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، ص ٩٧.

إصلاحات في القبة والمآذن، وفي الفصل "الأموي في أواخر القرن السادس الهجري"، وصف تفصيلي للأموي في ذلك الوقت نقله عن ابن جبير و"الحريق الأخير"، وفيه قصة حريق الجامع سنة ١٣١١ه، وأخيرا فصل عنوانه "الإصلاحات الجديدة"، وهو تقرير حصل عليه المؤلف من مهندس الأوقاف يومئذ، السيد مكين المؤيد. \

٣. تعريف عام بدين الإسلام

يقول الشيخ الطنطاوي في بداية هذا الكتاب عن ضرورة إصداره:

"كنت أول من جمع في دمشق بين أسلوبي الدراسة، وكان العلماء يومئذ بين (شيخ) لا يعرف من علوم الدنيا الحديثة شيئا، وبين (أفندي) لا يفقه من علوم الدين شيئا، إلا شيئا قليلا لا يُغني ولا يجزي. فتنهت مبكرا إلى ضرورة عرض الإسلام بأسلوب عصري، وكتبت في ذلك مقالات، ونشرت رسائل، ذكرت منها من نحو خمسين سنة بعض الآراء التي أُوردها اليوم، في هذا الكتاب." ٢

والدافع الآخر لتأليف الكتاب هو لما كان يُعلّم في بغداد، سأله طلاب عن كتاب واحد ليفهموا منه الإسلام، فكتب في الرسالة مقالات يدعو فيها العلماء إلى تأليف هذا الكتاب، فلما لم يستجب له أحد، باشر العمل نفسه وأنجز الكتاب. نشر أول الأمر مقالات في جريدة "المدينة" السعودية سنة ١٩٦٩م، ثم نشر وزارة المعارف الأردنية في عدد خاص من مجلتها "رسالة العلم"، وبعد ذلك نُشر في كتاب أعيد طبعه إلى اليوم أكثر من ثلاثين مرة وتُرجم إلى عدة لغات. يتألف هذا الكتاب من اثني عشر فصلاً ومقدمة وخاتمة. فأما المقدمة -وهي بعنوان "بين يدي الكتاب"- ففيها تصوير جميل لمعاني الفطرة والتكليف وطريقي الجنة والنار وحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة.

١ مجاهد مأمون ديرانية: على الطنطاوي-أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، ص١٠٠٠٠١.

٢ على الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام، ص ٦.

٤. دمشق

يضم هذا الكتاب تسع عشرة مقالة كُتبت بين عامي ١٩٣١ و١٩٦٤، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو: "دمشق: صور من جمالها، وعبر من نضالها"، وهو اسم يوحي بأن مقالات الكتاب وصفية أو تاريخية. والحقيقة أن فيها من ذلك كثير، لكن في الكتاب أيضاً صوراً من الأدب وفيضاً من المشاعر والأحاسيس بل إن فيه فصولاً من الذكريات، مثل مقالة "ساقية في دمشق" (وفيها أشتات من ذكريات الدراسة في الكتّاب) و"مكتب عنبر"، وهذه الأخيرة كانت في الأصل مقدمة كتبها المؤلف لكتاب أصدره ظافر القاسمي عن مكتب عنبر سنة ١٩٦٣، فنجده قد استرسل -فيها - في هذه الذكريات وهو يقول مخاطباً مؤلف الكتاب:

"لقد حركت سواكن نفسي، وبعثت لي ذكريات أمسي، وهزرتني هزاً، حتى لقد أحسستُ كأن قد عادت لي مواضي أيامي، وهل تعود الأيام الماضيات؟ لقد كان عهد مكتب عنبر جنتي التي خرجت منها ثم لم أعُد إليها، فرجَعْتَني إليها -يا أخي ظافر- بكتابك، أطير من فوق أسوارها العالية وأبوابها الموصدة بجناحين من ذكرى وخيال، حتى أدخلها مرة ثانية، فأعيش فيها في حلم ممتع فتّان".'

٥. صوروخواطر

يحتوي هذا الكتاب على ثمان وثلاثين مقالة نُشرت بين عامي ١٩٣٥ و١٩٦٦م. منها مقالات في الأدب المحض، ومقالات فلسفية مثال "السعادة" و"بيني وبين نفسي" و"بين البهائم والوحوش" و "لا أُؤمن بالإنسان" و"رقم مكسور"، ومنها مقالات اجتماعية كما في الكتاب بعض المقالات الطريفة المضحكة ومنها "أعرابي في حمام" و"أعرابي في سينما" و"الأعرابي والشعر" و"مجانين" و"عقلاء المجانين"، ومن هذه المقالات الطريفة "ديوان الأصمعي" الذي لا يمكن التمتع منها إلا لمن له نظر عميق في

١ نقلا عن مجاهد مأمون ديرانية: على الطنطاوي، ص١٠٥.

الأدب العربي القديم والحديث. وبعض مقالات الكتاب قد طُبعت مفردة في رسالة صغيرة مرات كثيرة ومنها "يا ابني" و "يا بنتي" وربما بلغ ما طبع منها أكثر من نصف مليون نسخة، وقد ترجمت إلى اللغة الأردية أيضا وهي متداول بين الناس في الكشمير. يقول الطنطاوي في مقالته "مجانين":

"وإذا شاهدتم رجلا يعتزل في الكوخ، أو ينفرد في غار، ولا يقبل على الدنيا، ولا يكلم الناس قلتم إنه (مجنون)، ولكن "الغزالي" عاف الدنيا وقد اجتمعت له، والمجد وقد أقبل عليه، والرياسة وقد أتته منقادة تسعى إليه، وحبس نفسه في أصل منارة الجامع الأموي في دمشق، فهل كان (الغزالي) حجة الإسلام وعلم الأعلام مجنونا...(ثم يقدم أمثلة كثيرة ويسأل)

أكانوا كلهم مجانين؟ أما في رأى العامة، فنعم!

ذلك لأن القافلة تمشي، فمن سايرها عدّه أهلها عاقلا، ومن تقدم عنها يسلك طريقا جديدا قد يكون أقرب وآمن، عدّوه مجنونا، كمن تأخر عنها ليتيه في مجاهل الصحراء!

لكن ذاك جنون العبقربة، وهذا جنون المارستان!" ١

٦. فتاوى الطنطاوي

كان الطنطاوي يجيب عن أسئلة وفتاوى الناس بالهاتف من بعد العصر إلى قبيل المغرب كل يوم، ثم كان يقعد في الحرم المكي مقعدا عاما للفتوى بين صلاتي المغرب والعشاء سنين طوالا وكان هذا بالإضافة إلى فتاواه في برنامجي الإذاعة والرائي، فجمع هذا الكتابُ طائفة من الفتاوى التي كانت قد نُشرت في جريدة "الشرق الأوسط" بين أواخر سنة ١٩٨٢م وأوائل سنة ١٩٨٤م، فلما اجتمع لديه قدر منها قرر أن ينشرها في كتاب منفرد، بحيث نحا فيها مؤلفه نحواً جديداً مبتكراً في تبسيط جواب كل مسألة

١ علي الطنطاوي: صور وخواطر، ص ٥١ و٥٥.

وتبويبه في فقرات مرقِّمة يسهُل فهمهما ويمكن لكل واحد من الناس الاستفادة منها. يضم هذا الكتاب مئة وستاً وسبعين مسألة رُتَّنت في اثنين وعشرين باباً، وهذه الأبواب -حسب ترتيها في الكتاب- هي: المنامات والكرامات والجن والأرواح، والقرآن الكريم (وبضم فتاوي في رسم المصحف وترتيبه والحروف المقطعة في أوائل بعض سوره)، والمذاهب (وفيه فتاوي عن نشوئها واختلافها والموقف الصحيح منها)، والإسلام (وفيه مسائل عن معناه وصلاحه لكل الأزمنة وعن معنى الأمانة التي حملها الإنسان، وبحث عن القومية والإسلام)، والصوفية، ومشكلات الشابات المتدينات، وطفل الأنابيب والغناء والصور والتدخين، وتقنين الأحكام الشرعية والحكم بشرع الله، وفتاوي في المال والمعاملات المالية (وهو باب يضم فتاوي عن الشركات المساهمة والبيع بالتقسيط والربا والإيجار وحبس المدين وبعض المسائل المتفرقة الأخرى)، ومشكلات الشباب، وحجاب المرأة ولباسها وزينتها (ويضم مسائل متفرعة عن هذا الموضوع كعمليات التجميل والنمص وثقب آذان البنات والذهب المحلِّق)، والحيض والغسل والرضاع والحضانة والعدة، والزواج والطلاق، والطهارة والنجاسة، والصلاة، والصيام واثبات دخول رمضان بالحساب، والحج والعمرة، والزكاة وزكاة الفطر، والميراث والوصية الواجبة، والأنبياء والصحابة، وأسئلة لغوبة وأسئلة عن أحاديث وأدعية، وأخيراً موضوعات متنوعة (وهو باب يضم ما لم يمكن تصنيفه في أي من الأبواب السابقة؛ مثل محبة الله ومخافته، والزهد في الدنيا، وثواب من يعمل الخير من غير المسلمين، والقتل الخطأ، وغسل الشهيد، وبر الأم، والاحتفال بعيد الأم، وتبني اللقيط، واسقاط الجنين لغرض طبي، والتصفيق للخطيب، وزيارة القبور، وقتل الكلاب الضالة). وقد تفاوتت هذه الأبواب في سعتها وكثرة ما فيها من فتاوى، ولعل أطولها هي أبواب "الزواج والطلاق" و"الصلاة" و"الصيام" و"الحج"، وهي الموضوعات التي يكثر عنها السؤال غالباً.

٧. فصول اجتماعية

يقول مجاهد مأمون عن هذا الكتاب: "وبعد، فهذا هو الكتاب الرابع الذي وفق

الله عزَّ وجلً إلى إخراجه من الكنوز التي تركها على الطنطاوي وراءه، وما بقي بعدُ كثير" ، هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي تعالج فيها الطنطاوي الكثير من المشاكل والأحداث الاجتماعية التي تمر بنا يومياً، كالاستهلاك، والزيارات، والهدايا، والتبذير والتقتير، والسعادة، والوهم، والذنوب، وتربية الأولاد، والزواج والطلاق، والمساواة بين الجنسين، والدفاع عن المرأة، والامتحانات، والهدايا، والاحوال الشخصية.

٨. فصول إسلامية

يضم هذا الكتاب اثنين وثلاثين مقالة نُشرت في أزمنة متباينة، من أواخر الثلاثينيات إلى أوائل السبعينيات، ويقع في ٢٧٠ صفحة وقد صدر للمرة الأولى في عام ١٩٦٥م، ثم أُعيدت طباعته مع زيادات في عام ١٩٨٥م.

ينتهز الطنطاوي كل فرصة للحديث عن الإسلام وهو يتحدث عن الإسلام ومستقبله من نواح شتى حتى صارت هذه المقالات كتبًا كثيرة وهذا الكتاب أيضا مجموعة مقالات إسلامية، يقول المؤلف في مقدمته للكتاب:

" هذه فصول إسلامية، كُتبت في أزمنة متباعدة، فاختلف أسلوبها، ولكن اتّحدت-بحمد الله- أغراضها ومقاصدها، وربما تكرّرت فها المعاني، ذلك لأن الشُبه تكرّر ورودها فاضطررنا لتكرار ردّها، وإن من الحقائق ما لا تضرّ معه الإعادة ولا تُبليه كثرد الرد، وأنا أسأل الله أن ينفع بها، وألا يحرم كاتبها الثواب عليها".

٩. فصول في الدعوة والإصلاح

صدر هذا الكتاب بعد وفاة الطنطاوي وقد جمع مادته حفيد المؤلف من مقالات نشرت في الصحف والمجلات وأحاديث أذيعت في الإذاعات أو ألقيت على المنابر بين

١ علي الطنطاوي: فصول اجتماعية، ص ٧.

٢ على الطنطاوي: فصول إسلامية، ص ٤.

عامي ١٩٣٦م و ١٩٩٠م، يحتوي على مقالات عجيبة وأخرى مؤلمة، تتناول المجتمع من نواحي الفكر واللغة والاسلوب فهو مفيد جدا خصوصاً للتربوبين ومن يهتم بالمجتمع، حيث يعجب القارئ كثيراً من نظرته الشاملة للقضايا المعاصرة، كالقومية والعربية والتقدمية والرجعية والاشتراكية وغيرها، من جوانها وطرحه للحلول بنظرة شرعية تربوبة، وحرصه على مستقبل الأمة فهو يقول تحت عنوان "إلى علماء الشيعة": "ونحن المسلمين اليوم يحيط بنا الأعداء من كل جانب وتنصب علينا المصائب من كل مكان، ثم نختلف في أبي بكر وعليّ رضي الله عنهما...الخليفة الذي بايعته هذه الأمة بالخلافة سنة خمس وثلاثين للهجرة كان من حقه أن يبايع بها سنة عشر، ويرى(حزب من المسلمين) أن تأخير بيعته خمسا وعشرين سنة وتقديم ثلاثة رجال عليه أمر يستحق أن نتنازع نحن الآن عليه، بعد ألف وثلاثمئة وخمسين سنة، وبعد ما تبدلت الأرض وتغير وجه الدنيا...مع أن هذه الخليفة نفسه قبل بتقديم الثلاثة عليه، وبايعهم بالخلافة بيده، وأعطاهم طاعته وأولاهم مودته!...على أن أهل السنة لا يطيلون النزاع في أفضلية أبي بكر أو علىّ رضي الله عنهما، ولا يرون لذلك خطرا في الدين، لأنه إن كان الفضل عند الله فالله أعلم به، وهو لا يُسئل عما يفعل، ونحن لا دخل لنا في القضية، وان كان في الإدارة والسياسة فقد ولِّي الرجلان، والحكم الآن للتاريخ وأهله.

١٠. في سبيل الاصلاح

هذا الكتاب يضم ثلاثا وثلاثين مقالة، يعود أكثرها إلى عشر الأربعينيات والكتاب يحمل شعار الإصلاح لمناحي شتى تهم الأمة على مدار الأزمنة ويعالج سلوكيات المجتمع من غش وخداع ومماطلة وسرقة وكذب وظلم وغيرها وبعض المقالات في أسلوب فكه كما يوجد في مقالة "مناظرة هادئة" ففيه نقاش مثمر حول النهضة النسائية، ومقالة "حق الضيافة"، يقول حفيد الطنطاوي عن هذا الكتاب:

"إن مقالات الكتاب حافلة بالدعوة إلى الخير والصلاح ومكارم الأخلاق، فنجد الدعوة إلى الفضيلة ومحاربة الفساد العنصر الأبرز في عدد منها، كما في "دفاع عن الفضيلة"، و"رجل في ملابس النساء" والى علماء مصر" و"المشكلة الكبرى"...فنجد الانتصار للفقراء والدعوة إلى العدالة الاجتماعية في مقالات: "إنذار" و"تاجر حرب" و"بطون جائعة وأموال ضائعة" و" يا أيها الأغنياء" و"إلى القرية يا شباب"، ونجد تشخيصا وعلاجا لمشكلات اجتماعية (كالغش والمماطلة والتطفل والاستهتار والفردية والأنانية والنفاق وضياع الأمانة).

وكذلك يدافع في الكتاب عن الأزهر ويدعو إلى إصلاح التعليم والأدب وإحياء اللغة في بعض المقالات، وبالجملة يوجد في هذه المقالات مواضيع نافعة والنصائح المفيدة التي تنبثق من خبرته الواسعة فهو كما نعرف يستمع كل يوم إلى قضايا مثلها في المحكمة.

١١. مع الناس

يضُم هذا الكتاب أربعين مقالة مكتوبة في فترات متباعدة، بعضها من أوائل ما نشر في الصحف في مطلع الثلاثينيات، ولكن أكثرها مما نُشر في أواخر الخمسينات، تهتم معظمها بقضايا الناس وهمومهم ومشكلاتهم، تنوع فيها الشيخ بين مواضيع تاريخية، سياسية، اجتماعية وقصصية عاصرها في حياته ثم شرع الى بثها في المذياع ليتعلم منها الجيل ويلخص لهم تجربته كعالم جليل ذي خبرة لأنه عاش حياة مليئة بالتجارب والعبر، نلاحظ في الكتاب كثيرا من التكرار ولكن ربما لبعد المسافة الزمنية بين طرح مقالة وأخرى ولأهمية الموضوع، فهي مقالات اجتماعية واقعية. ولما كان كثير منها مما أُذيع من إذاعة دمشق (حين كان للشيخ حديث أسبوعي يُذاع منها كل يوم جمعة) فإنها قد جاءت وصفاً لما في المجتمع من مشكلات وسعياً إلى المعالجة والإصلاح.

١٢. من حديث النفس

في الكتاب ست وثلاثون مقالة كتبها صاحبها بين عامي ١٩٣١م و١٩٦١م،ونحو

١ مجاهد مأمون ديرانية: على الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، ص ٧٥.

نصف مقالات كُتبت في عقد الثلاثينيات، يذكر فيها الطنطاوي أشتات من ذكريات الطفولة المبكرة والشباب، يصف فيها نفسه أو يعبر عن عواطفه وانفعالاته وكان الطنطاوي-في تلك المرحلة من حياته- في توثب لا يفتُرُ وهمّةٍ لا تني، وإن المشاعر لتضطرم في نفسه حتى ما يطيق حملها فيبئها في ثنايا الصفحات وينشرها عبر سطور المقالات، ففيها مقالات "في الكُتّاب" وفي معهد الحقوق" و"إلى حلبون" و"ذكريات" و "من التعليم إلى القضاء" و"قصة معلم" وفي هذه المقالة يصف نفسته حين صار معلما في المدارس الابتدائية، وحال المعلمين مثله من خلال حوار خيالي مضحك ومؤلم.

١٣. هتاف المجد:

الكتاب يحتوي على خمس وثلاثين مقالة، منها ما كان أحاديث أذيعت في الإذاعات أو خطبا ألقيت في الاحتفالات والمهرجانات، ومنها ما نشر في الصحف والمجلات في مختلف السنوات في منتصف الأول من القرن الماضي، يجمعها هدف واحد وهو استنهاض همم المسلمين والعرب أيام الاستعمار والاحتلال الصهيوني، يزرع الكاتب الأمل في النفوس في وقت تكالب فيه الأعداء على الأمة الإسلامية فهو يوقظ الضمائر الحية، ويشعل في النفوس شعلة الجهاد وحب الحرية وحب الاستقلال والتخلص من براثن الظالمين وبذل الروح والدم في سبيل ذلك، تكلّم فيه الشيخ بلسان الحريص على إيصال مثل هذه المعاني لمستمعيه في تلك الأيام، وأظنه نجح في ذلك وبجدارة بما يملك من أسلوب أدبي لامع رائع جداً، فنحن نجد الكاتب تارة يعكس حرقة قلبه ويستنكر الجمود والصمت، وتارة أخرى ينمي في نفوس مستمعيه مشاعر الإباء والعزة ويحثهم على التفكر في كيد المستعمرين.

خاتمة

كتب الطنطاوي أكثر شيئ في قالب المقالة، فقد كتب مقالات منذ صغره في الصحف والجرائد حيث كان يعمل عند خاله في بداية مهنته في الصحافة، ومعظم كتبه تحتوي على المقالات، وموضوعها الرئيسي يدور حول الدعوة والإصلاح، ثم يتحدث في المقالات الأخرى عن السياسة وخاصة عن الصهاينة والمستعمرين، وقضية

فلسطين تحتل مكانة مركزية في هذا النوع من المقالات، ومن ميزات المقالات الاجتماعية أنه لا يستعرض المشاكل فحسب بل يقدم حلولاً لها، ومن ميزات بعض المقالات أيضاً أنه قام بالنقد للأدباء والشعراء انطلاقاً من توجهه أن "الفن للفن" مذهب مرفوض، ثم قليل ما توجد عنده المقالات الفلسفية والتأملية، ويفقد التعمق في هذا النوع من المقالات، فتتجلى فها السطحية والسذاجة، ومما لا يمدح له في مقالاته أنها لا تقبل التنوع المذهبي والفكري وكثير ما يحدد الفكر الإسلامي من منطلق مذهبه الضيق أفقاً. يتناول الطنطاوي في معالجة موضوعاته الأساليب البيانية المختلفة وفق متطلبات الموضوع ويلتزم بالأطر الفنية، والإسلامية، والفطرية دون تكلف وهو يستخدم أيضا الحوار والتحليل النفسي لإثارة العواطف وإيصال فكرته إلى نفس القارئ كما يستخدم أحيانا أسلوب التأمل ليكشف عن رؤيته وإحساسه تجاه القضية وأسلوب السخرية والفكاهة لإبراز المعايب والسلبيات.

المصادروالمراجع

- ١. الطنطاوي على: الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ، دار المنارة، جدة، ط ١،
 ١٩٩٠م.
- ۲. الألمعي مضواح إبراهيم: روائع الطنطاوي روائع من أدبه وفوائد من كتبه، دار
 المنارة، ۲۰۰۰م.
- ٣. الندوي أبو الحسن: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار
 الإسلامية، دار الندوة، لبنان، ط ٢، ١٩٦٨م.
 - ٤. الجدع أحمد: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، دار الضياء، عمان، الأردن.
- ٥. الشايب أحمد: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٠،
 ١٩٩٤م.
- ٦. العلاونة أحمد: فهارس ذكريات علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط ٢، ٢٠٠٠م.

- ٧. أمين أحمد: النقد الأدبى، مكتبة النهضة المصربة، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٣م.
- ٨. عبد الفتاح إسماعيل: أدب الأطفال في العالم المعاصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٩. المقدسي أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم
 للملايين، بيروت، لبنان، ط ٦، ٢٠٠٠م.
- ١٠. السمهوري رائد: على الطنطاوي وأعلام عصره (سيد قطب وآخرون-صداقة خصومة-نقد)، دار مدارك للنشر، ط ٢٠١٢.
 - ١١.مجلة الرسالة: العدد ١٠١، دار الرسالة، القاهرة.
 - ١٢. مجلة الفيصل: مجلة ثقافية شهرية، الرياض، السعودية.
 - ١٣. مجلة الوعي الإسلامي: وزارة الأوقاف، دولة الكويت، ٢٠١٤م.

إسهامات نجيبة الرفاعي الإماراتية في الأدب العربي الحديث

محمد نسار-ب¹ عند الله نجيب يم

الملخص

تعد هذه الدراسة محاولة للإشارة إلى إسهامات القاصة والروائية الشهيرة نجيبة الرفاعي في الأدب العربي بالإمارات. وقدمت إسهامات بارزة في مجال الأدب العربي بإنتاجاتها القيمة في القصة القصيرة، وذاع صيتها في مجال العلم والأدب، خاصة في القصص حتى لقب "حاصدة الجوائز" في مسابقات القصة القصيرة على مستوى الدولة.

كانت المرأة الإماراتية مثل أخواتها مهضومة الحقوق ومسلوبة الإرادة ومغلوبة على أمرها ليس في الخليج وحده بل في العالم العربي بأجمعه. لا تستطيع أن تقرر مصيرتها وتنفذ ولو أمورا بسيطة من حياتها أو تغير الوضع القائم المهترئ الذي لا تسمح لها بالحركة إلا في محيطها الضيق. لكن منذ خمسينات الماضي، بعد الظفرة الاقتصادية، تغير الوضع الذي ما زال قائما منذ قرون، فالتفتت الدولة الإمارات العربية المتحدة مثل أخواتها في الخليج حكومة وشعبا إلى بناء المؤسسات الحديثة من شأنها أن تلعب دورا بارزا وحيوبا في النهوض الاجتماعي والثقافي للبلد. فتأسست المدارس والمعاهد التعليمية وأنشئت النوادي والمنتديات الأدبية، وأقيمت المطابع والمكتبات، وصدرت المجرائد والمجلات، كما ظهرت مؤسسات مهتمة بشؤون المرأة وقضاياها. ساعدت كل هذه العوامل على تطوير وتسريع النهضة بشكل عام والنهضة الثقافية بشكل خاص.

١ باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كيلة يم. إي. يس ممباد.

٢ أستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، كلية سلم السلام العربية، أربكود، كيرلا.

ولم تعد المرأة الإماراتية في عزلة عما كان يحدث في المشهد الاجتماعي والثقافي من تطور سريع، بل شاركت فيها وأصبحت جزءاً من تلك العملية الحيوية التي غيّرت مجرى التاريخ لدولة الإمارات. واكتسبت لها سمعة طيبة لا على مستوى المنطقة فحسب بل على مستوى الوطن العربي والعالم.

وكانت للقصة جذورها في أدبنا العربي القديم، ظهور أول قصة قصيرة عربية "في القطار" لمحمود تيمور كان في سنة ١٩١٧م. ولكن الإمارات المعزولة عن العالم بصحرائها الشاسعة لم تعرف الرواية والقصة كجنس أدبى له شروط فنّية جديدة إلا بعد ظهور النفط. ولم يطلع الأدب في بلاد الإمارات لما ظهر في سائر بلاد العرب مثل مصر ولبنان وسوربا والعراق وفلسطين دولة قطر وغيرها، واحتكاكها بالعالم ثقافيا وتجاربا. ولهذا برز في قصص الإماراتي الفاعل الثقافي واصطبغ في كثير منه بالصبغة الإماراتية. برزت القصة مع ولادة الحركة الأدبية الحديثة في الإمارات كلون أدبي مؤثر، ذلك لأنها من أقدر الفنون الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسوم خلجات النفوس وحث القراء على المثل العليا وكريم الخلال. فأما اليوم فتحتل الكتابة النسوية مكانة استثنائية في المشهد الثقافي الإماراتي، فهي غنية بأقلامها مبادرة في موضوعاتها، غزيرة في انتاجها، متنوعة في إبداعاتها ما بين الشعر والقصة والرواية. لا يمكن ادّعاء هذه التطور بصفتي الدقة والكمال، ولكنها ضرورية كمدخل للاسترجاع والقراءة المتجددة. وقد أشار عبد الفتاح الصبري في كتابه القصة القصيرة النسوبة الإماراتية أن في الإمارات أكثر من مائة قاصات أصدرن كتب القصص، ولكن عدد مؤلفاتهن قليل جدا إما يكون واحد أو اثنان فقط. هنا إطلالات على اسهامات نجية محمد الرفاعي حيث كانت قاصة واعلامية وكاتبة إماراتية.

نجيبة الرفاعي

ولدت نجيبة الرفاعي في عجمان عام ١٩٦٧م، حصلت البكالوريوس في الكيمياء من جامعة الإمارات. وحصلت على شهادة اجتياز البرنامج التدريبي من المركز الكندي العالمي للاستشارات والتدريب ٢٠١٥م وحصلت أيضا على شهادة اجتياز ممارس عام

معتمد في البرمجة اللغوية العصبية ٢٠٠٣م. وعملت في مجال التربية والتعليم كمعلمة لمادة الأحياء، ثم تدرجت في الوظيفة إلى منصب مديرة مدرسة، وعملت في قسم الموارد البشرية في منطقة عجمان التعليمية من عام ٢٠٠٥م إلى عام ٢٠٠٧م، كما عملت في قسم التوجيه في مركز التنمية الاجتماعية بعجمان التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية من عام ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠٠٠م.

لها خبرة في مجال التدريب أيضا، وهي مدربة معتمدة من أكاديمية الدولية للتدريب في بريطانيا، درّبت أكثر من ألف متدرب من المعلمات والطالبات والإداريات والموظفات، في مجال التربية والسلوك الإنساني والتنمية الذاتية. ومن الدورات التدريبية التي قامت بتقديمها مثل النجاح في الحياة، ذوقيات السلوك الاجتماعي، المعلم الفاعل، لغة الجسد، الإدارة الصفية، القائد العصري، التفكير الإبداعي، انطلق من جديد، ارسم حياتك، الثقة في النفس، إدارة الوقت، بناء القيم التربوبة.

ليست أديبة فقط بل لها أيضا مشاركات فائقة في مجال التلفاز معدة ومقدمة برنامج "منارات" على تلفاز الشارقة ٢٠١٧م، معدة ومقدمة برنامج "حياتنا" على تلفاز الشارقة ٢٠١٦م، معدة ومقدمة برنامج "عطر المساء" على تلفاز الشارقة، لدورتين متاليتين عام ٢٠١٥م و٢٠١٦م، معدة ومقدمة برنامج 'صناعة الأجيال' على إذاعة الشارقة من عام ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠٠٩م.

الجو ائز والمناصب

وقد قدمت نجيبة الرفاعي إسهامات بارزة في الأدب العربي بالإمارات. استطاعت أن ترقى بالأدب الإماراتي القصصي إلى مكانة عالية، وتلقي إنتاجها قبولا لدى القارئ الإماراتي بكل مستوياته المعرفية، وكذالك لدى القارئ العربي. وحصلت على جوائز عديدة على قصصها حتى يمكن أن نطلق عليها لقب "حاصدة الجوائز" في مسابقات القصة القصيرة على مستوى الدولة. حيث نالت جوائز تقديرية على مدى ثلاث سنوات متتالية في مسابقة غانم غباش للقصة القصيرة في أعوام ٢٠٠٠م و ٢٠٠٠م و ٢٠٠٠م، وجائزة المركز الأول لعامين متتاليين في مسابقة القصة القصيرة لجائزة

راشد بن حميد للثقافة والعلوم عامي ٢٠٠١م و٢٠٠٢م، وحصلت فهما على المركز الأول متتالية، وجائزة المعلم المبدع من وزارة التربية والتعليم والشباب لعام ١٩٩٧م. وجائزة المولز الأول وجائزة المعلم المتميز من جمعية أم المؤمنين النسائية لعام ٢٠٠٠م. وجائزة المركز الأول في مسابقة جمعية المعلمين – للقصة القصيرة لعام ٢٠٠٢م. وجائزة المركز الثالث في جائزة أندية الفتيات بالشارقة لإبداعات المرأة الإماراتية في الآداب والفنون لعام ٢٠٠٢م. وجائزة المرأة الإماراتية في الآداب والفنون لعام الأدب والفنون لعام ١٠٠٠م. وجائزة المرأة الإماراتية في الشارقة، الأدب والفنون لعام ٥٠٠٠م التي ينظمها المجلس الأعلى لشؤون الأسرة في الشارقة، وجائزة المركز الثاني في مسابقة القصيرة الدورة الثانية ١٠٠٠م التي تنظمها وزارة الثقافة وتنمية المعرفة. وجائزة مجلس الآباء والمعلمين في عجمان- فئة الشخصيات المتميزة للعام ٢٠٠١م. إضافة إلى العديد من التكريمات وشهادات التقدير التي حصلت عليها من بعض المؤسسات المعينية بالثقافة والفكر والإبداع. منها تكريمها في اليوم العالمي للمرأة عام ٢٠٠٩م وذلك للمساهمة المتميزة، والالتزام تجاه خدمة المجتمع.

إنها كانت قد تحمّلت كثيرا من المناصب ومنها -عضو رابطة أديبات الإمارات التابعة للمكتب الثقافي في المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بالشارقة، وهي عضو مجلس أمناء جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، وعضو مجلس أمناء مبادرة تنمية مهارات التعلم، بدعم من الشيخة روضة بنت أحمد بن جمعة آل مكتوم، وعضو لجنة تحكيم المسابقات، في مبادرة تنمية مهارات التعلم، وعضو لجنة تحكيم مسابقة القصة القصيرة للناشئات الدورة السابعة ٢٠٠٧م التي تنظمها رابطة الأديبات. وعضو لجنة تحكيم جائزة الإبداع الأدبي في كل من الدورة السادسة ٢٠٠٩م والدورة السابعة تحكيم مهرجان الشارقة للمسرح المدرسي في الدورة الرابعة ٢٠١٤م، وقد أدرجت إحدى مهرجان الشارقة للمسرح المدرسي في الدورة الرابعة ٢٠١٤م، وقد أدرجت إحدى قصصها في منهج اللغة العربية للصف السابع في وزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات، وترجمت بعض قصصها إلى اللغة الفرنسية، ضمن كتاب مختارات من

قصص المبدعات الإماراتيات إلى الفرنسية، الصادر من وزارة الثقافة وتنمية المعرفة. وهذه المكرمات الأكاديمية تدل على مكانتها في مجال الأدب العربي. وهي كاتبة وأديبة وإعلامية ومدربة معتمدة من الأكاديمية الدولية للتدربب.

مميزاتها في الأدب

قد قامت القاصة نجيبة الرفاعي بإسهامات جلية تستحق التقدير والعناية في مجال الأدب القصصي العربي، ولها دور لا يستهان به في تطوير القصة القصيرة في الإمارات. قد ألفت نجيبة الرفاعي قصصها بلغة فصيحة يفهمها الجميع وانها استخدمت لغة بسيطة واضحة تمارس سردا أفقيا، لقد نجحت نجيبة الرفاعي في حجز مقعدها في صالون الإبداع القصصي ومنصة أجناس القول الأدبية في الإمارات، بعد أن نجحت في الخروج من أطر القصة التقليدية إلى عالم القصة الجديدة، من خلال تلك الجملة القصصية الواعية التي بثتها في جنبات ما تكتبه، جرأة عالية وروح شابة وثابة مدهشة في العناوين والخطوط والتعابير اللونية، والشخصيات وأسلوب الأداء سواء في بساطته، أو منطقيته، وهو ما أوصل قاصتنا إلى ترجمة بعض قصصها إلى الفرنسية من خلال الكتاب الذي أصدرته وزارة الثقافة وتنمية المجتمع بالتعاون مع رابطة الأديبات الإماراتيات في المجلس الأعلى للأسرة بعنوان 'مختارات من قصص المبدعات الإماراتيات بالفرنسية من ترجمة الدكتور مولدي فروج وإبراهيم الدرغوثي ومراجعة الكاتبة التونسية المقيمة في الإمارات ربم العيساوي. وبتضمّن الكتاب نصوصا لكل من: نجيبة الرفاعي، وأسماء الزرعوني، وباسمة يونس، وسارة النواف، وشيخة مبارك الناخي، وفاطمة السويدي، وفاطمة محمد الهديدي.

تتميز القاصة برحابة إبداعية، ولغة شاعرية تجذبك إلى دواخل الشخصيات، لتكشف لنا عن عوالم ومساحات جديدة في النفس البشرية بكل تناقضاتها، الشعوري والحسي والإنساني، من خلال التشبهات البلاغية والنزعة الوجدانية الشفيفة في تصوير الواقع. ومن ذلك نقرأ ما كتب على الغلاف الخارجي للمجموعة: "لا يعنيني أن يعرفوا اسمى، أو يحفروا قصتى في سجل تاريخهم، لا يعنيني أن يصنعوا لي تمثالاً أو

يصيغوا لي نشيداً، فأنا لست بمعجزة، ولا إنسانة معجونة بالخرافة، كل ما أردته أن أرسم بسمة الرضا على وجه أمي، ومع أنني لن أرى ابتسامتها، إلا أن وهج سعادتها سينير قلبي، وسأتذوق حلاوة حبها في عروقي. يوم أن ولدت، كان ذلك اليوم عرسا، أذابوني في أحضانهم، استنشقوني، زرعوني في أياديهم كتعويذة حظ يلثمونها صبحا ومساء..." يبدو لنا من خلال ما سبق مدى تأثر نجيبة الرفاعي وتركيزها في جانب التشبهات البلاغية التي تمتاز بدقة الاختيار للفظ حتى يكون ملائما للوصف وخلق الصورة الفنية بما لها من قوة التأثير، وإذا قرأنا قصتها "قصاصة من ورق" وكيف حاولت فيها تلمس بعض الصور المغرقة في الظلم الاجتماعي وإبراز بعض الأفكار "تيمات" من نماذج مقهورة. إلا أن الأهم من ذلك أن بناء القصة واللغة والحوار جميعها تكشف عن مقدرة في تركيب صورة فنية مزدوجة المعنى والدلالة، مع استثمار أمثل للتشبهات، وربط ذلك بالواقع المعاسي بطريقة جاذبة. ألفت نحو خمس مجموعات قصصية وبعض الكتب في الرواية والقصة أيضا.

إسهامات نجيبة الرفاعي في الأدب العربي

نجيبة الرفاعي بدأت حياتها الكتابية منذ أن كانت على مقاعد الدراسة، صبية حالمة تحاول كتابة الخواطر الشعرية، ونظم أبيات في مدح الرسول محمد ، ولكن لم توفّق للنجاح فيها، ثم كتبت بعض القصص، كان أول قصص لنجيبة الرفاعي القافلة عام ١٩٩٣م، ونشرتها في ذلك الوقت في مجلة محلية هي الإصلاح، وتحكي عن معاناة أم في بلد تفترسه الحروب، وتنتظر قافلة المساعدات، وحين تصل القافلة يهجم عليها الجياع بصورة جنونية، فتعود الأم منكسرة، خاوية اليدين بلا طعام لابنتها الصغيرة، والقصة الثانية التي نشرتها الكاتبة كانت بعنوان القيد عام ١٩٩٩م، وجمعت فيها ما بين الواقعي والمتخيل والتعبير الذاتي.

لقد بدأت نجيبة الرفاعي تلفت إليها الأنظار من خلال مجموعاتها القصصية

۱ نجيبة الرفاعي، لن ننسى، دار النشر، بيروت، ط ۱، ۲۰۰٤م، ص ٦.

المتتالية، ونشرها لبعض قصصها من خلال مشاركتها في رابطة الأديبات التي توفر مناخا ثقافيا وأدبيا مشجعا على حوار التجارب، وكان من ثمار تلك الردود الإيجابية والاهتمام النقدي الذي حظيت به بعد نشر قصتها "آمال تموت ببطء"، وهي إحدى قصص مجموعتها "قصاصة من ورق". استمدت القاصة مادتها الحكائية من وحي الواقع. مجمل القصة يتحدث عن فتاة تدعى "عنود" التي ظلمها أبوها فأبعدها عن المدرسة، وهي ما زالت في طور الطفولة لتهتم بشقيقتها الصغيرة بعد رحيل الأم.

مؤلفاتها المتميزة

قد قام نجيبة الرفاعي بإسهامات جلية في القصة القصيرة كما لها إسهامات جلية في الرواية والتلفاز. أصدرت مجموعة قصصها الأولى سنة ١٩٩٥م باسم "قصاصة من الورقة" ثم أصدر بعده مجموعتها الثانية باسم "نبض في حياتي" عن واقعات الاجتماعية. مؤلفاتها كما يلى.

- ١. قصاصة من الورق، (مجموعة قصصية) صدرت عام ١٩٩٥.
 - ٢. نبض في حياتي، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٠م.
 - ٣. لن ننسى، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٤م.
 - ٤. أنفاس الورد (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٥م.
- ٥. أول خطوة في الحلم، (مجموعة قصصية) صدرت عام ٢٠٠٦م.
- ٦. حامد وحمدة في بيت الجدة، (قصة مصوه للأطفال) صدرت عام ٢٠٠٨م.
 - ٧. أحب ذاتي، (كتيب موجه للفتيات) صدرت عام ٢٠١٠م.
 - ٨. حين نعيش للآخرين، (مجموعة قصصية للأطفال) صدرت عام ٢٠١٢م.
 - ٩. حكايات بنات، (كتاب تربوي) صدرت عام ٢٠١٤م.
 - ١٠.غالية (رواية) صدرت عام ٢٠١٦م.

لغة قصصية ممتازة

تتميز مؤلفات نجيبة الرفاعي بأسلوبها الرائعة وتصويرها الدقة. وقد ألفت نجيبة الرفاعي قصصها بلغة فصيحة يفهمها الجميع وكذلك أن لغتها لغة بسيطة واضحة تمارس سردا أفقيا. تنبثق جمالياته من التجاور في ربط الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات ربطا تعشيقيا، كما يصنع البناؤون. ومن النموذج نفهم عن أسلوبها المتميزة: "من وسط شلالات الدّماء المتدفقة من رأسي يلوح وجهك يا أمّي، ينزل على قلبي كنهر رقراق يرطب روجي القاحلة، أمدّ يدي أحاول أن ألمس عينيك فأكتشف أنّ بيني وبينك مسافات شاسعة، فأنا الآن تحت أقدامهم، وجسدي قد سلخته هراواتهم، يحيطون بي، يهمشون عظامي الصغيرة بأعقاب بنادقهم، ولا يأبهون بطفولتي ولا بصراخي، كلّ ما يفكرون به هو الإبادة، إنه الخوف المعشش في قلوبهم الجبانة، يرتعبون من ظل حجر، ويذوبون من صوت الربح ويطلقوا النار على نمل الطريق وعلى ذرّات الهواء، يحملون بالأمان وهيهات أن يأتيهم، وأياديهم مغموسة بدماء الأبرياء، ودنياهم يعوي في سمائها صراخ الأمهات، يدعو عليهم بالفناء."\

"لم أعد أقو على تحمل نظرات ابني وهي تلاحقني أينما سرت، تستشعر أنفاسي، تقرأ كل تعبيرات وجهي، تحاول أن تعثر على ملامح الحزن التي أدسها بين عروقي، لكنني لن أتهاوى، ولن أسمح للضعف أن يتسلل إلى ملامعي، سأبقى صامدة مبتسمة مبتهجة، ولن أعطي للآخرين فرصة كي يتفرجوا على ألمي، ليشبعوا بذلك فضولهم المجون. لا تعنيني ظنونهم ولا تؤثر في صمودي همساتهم المسمومة، لكن الذي يضعفني حقا وينخر في جدار صبري هو عبد الرحمن، ابني الذي التصقت روحه بدمائي دونا عن إخوته، فغدا يقرأ أفكاري قبل أن تترجمها شفتاي."

"بين متاهات عينها تضيع الحقائق، وفي تشابكات شعرها المنكوش ترتسم عوالم الفوضى، خطوتها تحكى لنا تاريخا اختزله الناس في كلمة واحدة عنها، وهم

١ نجيبة الرفاعي، لن ننسى، دار النشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٨٧

يشيرون إليها بأصابعهم، وشفاههم لا تعرف سوى كلمة.. مجنونة... قديما.. حين كنت ألعب في الأزقة وسط المياه الراكدة، ثم أذهب إلى أمي وبقايا الطين عالقة في أطراف بنطالي، لم تكن أمي تفعل شيئا سوى أن تأخذني لأم سليمان كي ترنبني، حينها لم أكن لأجسر على مواجهة نظرات أم سليمان ولا تحمل عتابها، فقد كان حبها يأسر قلبي وبمنعني من إغضابها." \

خاتمة

اشتهرت الكاتبة نجيبة الرفاعي في العالم العربي بإسهاماتها للأدب العربي وخدماتها للغة العربية في عدة مجالات، وهي تتميز بأسلوبها الشيق وسردها المثير الذي تجده بانتباه القراء بالكتابة في عالم ما وراء الطبيعة والقصص الخاصة في قضايا الاجتماعية والسياسية.

المصادروالمراجع

- ١- عبد الفتاح صبري: تحوّلات المكان في القصة النسائية لإماراتية المكان والجسد تجلّيات الذات، ط-١: دار الياسمين للنشر والتوزيع: نشر في دولة الإماراتية ٢٠٠٨.
- ٢- حنا فاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي-أدب الحديث، ط٣٦، دار الجيل-بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٣- د. الرشيد أبو شعير: مدخل إلى القصة القصيرة الإماراتية، ط١١: دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.
 - ٤- نجيبة الرفاعي: لن ننسى، ط- ١، دار النشر -بيروت، ط١، ٢٠٠٤م:
- ٥- د. حوريف زيدان: مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث، ط٤، دار النشر بيروت، ١٩٩٩م.
 - ٦- نجيبة الرفاعي: أول خطوة في الحلم، ط-١، نسخة إلكتروني، ط ٢٠٠٤م:

ا الرفاعي، نجيبة، أول خطوة في الحلم، ط ا نسخة إلكترونيا، غير معروف، ص ٢

- ٧- د. محمد حنيفة: المشاعر الأدب الأدبية، ط١، مكتبة الهدى، ٢٠١٨م
- ٨- عباس، مجلة الصباح للبحوث، كلية فاروق كيرالا، المجلد ١، ٢٠١٦م
 - www.alittihad.ae, on 20/10/2019 -9
 - www.albayan.ae.five sevlve novel -1.

رواية الأجيال وخصائصها الفنية

عبد المنعم بري ١

الملخص

قد تنوعت أقسام الرواية الحديثة مع جري الزمن نظرا إلى متطلبات العصر وضروريات المجتمع. ومن هذه الأنواع "رواية الأجيال" التي انتشرت في ساحات الآداب العالمية كلها بعدما ظهرت في الأدب الفرنسي في مطلع القرن العشرين. وقد تكمن أهمية هذا الجنس في الحقيقة بأنه أصبح أقدر وسيلة على تقديم واقعية المجتمع وقضاياه حيث يوفر للقارئ فرصة الاطلاع على الأطراف الكثيرة لحدث واحد، ومن ثم فرصة المقارنة بين الأجيال العديدة التي عاشت قبل هذا الحدث، وفي حينها وبعدها. ومن هنا أركز في هذا البحث على مفهوم هذا النوع المهم من الأنواع الروائية التي تم كتابتها من قبل الأدباء البارزين، كما أحاول أن أستكشف عن أهم الميزات والخصائص لهذا النوع الروائي.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الأدب الفرنسي، رواية الأجيال، رومان رولان، الدائرية، المسلسل.

مفهوم رواية الأجيال لغة:

يطلق مصطلح 'رواية الأجيال' في الأدب العربي على مصطلح فرنسي "-Roman الذي ظهر في الأدب الفرنسي في العقد الأول من القرن العشرين إذ أطلقه الروائي الفرنسي الشهير رومان رولان (Romain Rolland) على روايته جان كريستوف (Jean Christophe)، وذلك في مقدمة الجزء السابع من روايته المسمى بـ "في البيت"

١ باحث في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سري نغر، الهند

(Dans La Maison) سنة ۱۹۰۹م.۱

إن مصطلح "Roman-Fleuve" مكون من كلمتين فرنسيتين؛ "Roman" و"Fleuve"، فأما كلمة Roman فتطلق على الرواية أو أما كلمة "Fleuve" فتدل على النهر الذي ينتهي إلى البحر أفي اللغة الفرنسية. وبهذا إن كلمة "Fleuve" في هذا المركب تدل على التدفق والانسياب السردي. كما تدل على حيوية الفكرة أو الموضوع وحريته، وأما كلمة "Roman" فتوفر هذه الفكرة إطارا يقيدها ويجعلها في صورة مقبولة ومؤثرة.

مفهوم رواية الأجيال اصطلاحا:

وأما معنى 'رواية الأجيال' الاصطلاحي فقد عرفتها 'موسوعة بريتانيكا'، بأنها "سلسلة من الروايات، كل واحدة منها مكتملة في حد ذاتها، وتتعامل مع شخصية مركزية واحدة، أو تعالج عصر الحياة الوطنية، أو تقدم أجيالا متعاقبة من الأسرة." وكذلك عرفها 'قاموس التراث الأمريكي للغة الإنكليزية' بأنها "رواية طويلة تتكون من عدة الأجزاء، وتسرد تاريخ الأجيال العديدة من عائلة أو مجتمع أو مجموعة أخرى،

Collins, Ashok. "The Roman-Fleuve." The Cambridge History of the Novel in French, \(\) edited by Adam Watt, Cambridge University Press, Cambridge, 2021, p. 441.

Atkins, Beryl T., Duval, Alain and C. Milne, Rosemary. Collins Robert French Y Dictionary. Thirtieth Anniversary Eition. Glasgow: Harpercollins Publishers, 2008.

P. 873.

٣ نفس المصدر. ص. ٤١٨.

Felber, Lynette. Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve. & Gainesville, Florida: University Press of Florida, 1995. p. 12.

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "roman-fleuve". Encyclopedia Britannica, 23 o Aug. 2007, https://www.britannica.com/art/roman-fleuve. Accessed 23 November 2022.

وتقدم نظرة شاملة للمجتمع خلال عصر معين". وكذلك عرفه 'معجم وبستير لكليات العالم الجديد' بأنها "رواية طويلة تشتمل على المجلدات العديدة، وتتعامل مع شريحة واسعة من المجتمع، أو الأجيال العديدة من عائلة، وما إلى ذلك". وقد عرفها أحد الباحثين العرب بأنها "رواية طويلة جدا يشترك في صنع أحداثها عدد كبير من الشخصيات المنتمية -في الغالب- إلى أجيال متعددة"."

فمن هنا نلخص أن رواية الأجيال هي رواية تنتمي من حيث الجزور والنشأة إلى الأدب الفرنسي وتعنى بها رواية طويلة تتكون من عدة الأجزاء وكل جزء يمثل رواية مستقلة تشتمل على جميع عناصر الرواية، وتحتوي على سرد حياة المجتمع من خلال أجياله العديدة بتقديم حياتها وقضاياها في كل فترة عاشها مختلف الأجيال لهذا المجتمع.

وقد اختلف الأدباء واللسانيون العرب في ترجمة مصطلح "Roman-Fleuve"، فقد ترجمه البعض بالترجمة الحرفية وترجمه الآخرون بترجمة تناسبه من حيث خصائص هذا النوع الروائي الفنية. فمثلا ترجمه الناقد العربي الكبير محمد غنيمي الهلال بالقصة النهرية نظرا إلى ترجمته الحرفية، وترجمه أحد الباحثين بالرواية

Soukhanov, Anne H. The American Heritage Dictionary of The English Language. \(\) Fourth. Boston, New York: Houghton Mifflin Company, 2006. p. 1511.

Agnes, Michael. Webster's New World College Dictionary. Cleveland, Ohio: Wiley Y Publishing, Inc., 2004. p. 1244.

٣ محمد, أحمد سيد .الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب(محمد ديب ونجيب محفوظ) . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب, ١٩٨٥. ص. ٣٦.

٤ هلال, محمد غنيمي. في النقد التطبيقي والمقارن.الفجالة- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
 ص. ٢٧.

الانسيابية نظرا إلى انسياب مادته من جزء إلى آخر، ولكن أكثر الباحثين العرب ذهبوا إلى ترجمة هذا المصطلح بـ "رواية الأجيال" وفضّلت ترجمته برواية الأجيال لكثرة تداولها بين الباحثين، ولكونها أدق ترجمته من حيث الخصائص الفنية والمنطقية. وقد فضّلت هذه الترجمة أيضا لأن الترجمة الحرفية لهذا المصطلح لا تشير إلى طبيعة هذا الجنس، وترجمته بالرواية الانسيابية قد يلتبس بمفهوم رواية تيار الوعي حيث تعبر عن الانسياب المتواصل للأفكار داخل الذهن، فلرفع الغموض وكثرة إشاعتها بين الفئة الأدبية آثرت ترجمة "رواية الأجيال" على التراجم الأخرى.

خصائص رواية الأجيال الفنية

تتسم رواية الأجيال بجميع الصفات التي يتصف بها الرواية العامة، إذ تشتمل على جميع العناصر الأساسية التي تقوم عليها بنيتها السردية مثل الحبكة والمكان والزمان والشخصيات واللغة والحدث والصراع. ومع هذا تتميز رواية الأجيال ببعض الميزات التي تميزها عن غيرها من الروايات، وهي كالتالي:

الروايات العديدة، كلها مكونة من عناصرها الروايات المستقلة، فتكون مؤلفة من الروايات العديدة، كلها مكونة من عناصرها الروائية الكاملة على حد ذاتها. وتكون جميع أجزاء الرواية متماسكة بحيث تشكل عملا طويلا واحدا وذلك بحفاظه على موضوع رئيسي واحد والروابط التي تربط بين أجزاءها المختلفة. وكل هذا نجده في روايات الأجيال بدءا من عصر بلزاك إلى عصر ازدهار رواية الأجيال في الأدب الفرنسي. وكذلك لو نظرنا إلى روايات الأجيال في الأدب الإنكليزي والأدب العربي نجدها مؤلفة من الروايات المستقلة المتعددة. وبجدر بالذكر هنا أن

١ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص. ٣٦.

٢ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٥. ص. ٧٨.

- الروايات التي تتألف من جزء واحد وتستغرق أحداثها عدة أجيال من الزمن، لا ندخلها في إطار رواية الأجيال لخلوها من الميزة المهمة لهذا الجنس الروائي.
- ١٠. إن رواية الأجيال تشتمل على عدد كبير من الشخصيات، حتى يعجز القاري في بعض الأحيان على إحصاء هذه الشخصيات بالدقة وقد يفوق هذا العدد على آلاف من الشخصيات الرئيسية أو الثانوية في بعض الروايات. ويلاحظ هنا أن بطل رواية الأجيال قد يختلف من رواية إلى أخرى لأنه قد يموت في جزء من أجزاءها فيحل محله بطل آخر يمثل جيلا آخر من نفس المجتمع، ويتيح للقاري فرصة المقارنة بين شخصية البطل الأول وشخصية البطل الثاني في معاملتهم لمختلف المناسبات ومدى تطورهم مع جري الزمن وكيفية هذا التطور مبينا سلبيات كل بطل نيابة عن المجتمع والجيل الذي يمثله ذلك البطل.
- فإذا امتازت الرواية العامة بخاتمتها، لا تتصف رواية الأجيال بهذه الميزة المهمة التي توجد عيبا في الرواية التقليدية، ومع أننا إذا نظرنا إلى خاتمة روايات الأجيال فإننا نجد أن خاتمة إحدى أجزائها قد تكون مفتاحا للجزء الآخر، وكل جزء يلمح إلى الخاتمة في آخرها غير أنها تفسد في الجزء التالي. وهكذا نجد السرد في رواية الأجيال بهرب من الخاتمة بحيث إذا قرأنا الرواية الأولى بأكملها وبدأنا القراءة في الثانية، شعرنا بأن الخاتمة الأولى لم تكن خاتمة الرواية في الحقيقة، وإنما كانت تمثل خاتمة مؤقتة للجزء الذي انتهينا من قراءته، ولا خاتمة الرواية بنفسها. وهكذا تبدو الخاتمات في روايات الأجيال مفتقرة إلى النهاية بالمعنى الدقيق، إذ تسمح للقصة بالمضي إلى المستقبل بدلا من إيقافها وربط كل النهايات المفتوحة والمغفلات بإحكام. على أنه تخدم هذه الخاتمات هدفا آخر حيث تبث الرواية في نفس قارئها ما فيها من الحياة، وتربطه بتاريخ حقيقي يربط الرواية وقارئها بالعالم الحقيقي. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى ما قاله الناقد الإنكليزي 'مارتن ويليس': "إن بهاية الرواية بالخاتمة أو بوسائل أخرى، نادرا ما تكون محددة إلى حد بألا تسمح بفتحها مرة أخرى في رواية لاحقة تضم نفس الشخصيات. (ولهذا تعرف سلسلة بفتحها مرة أخرى في رواية لاحقة تضم نفس الشخصيات. (ولهذا تعرف سلسلة

Felber, Lynette. Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve. \Gainesville, Florida: University Press of Florida, 1995. p. 3.

الروايات المترابطة باسم رواية الأجيال)." فإذا نعتقد بأن الرواية هي أقوى وسائل التعبير عن الحياة الإنسانية، والحياة الإنسانية مستمرة رغم ما يحدث فيها من الآفات والحوادث، فرواية الأجيال تشبه أكثر بالحياة الإنسانية حيث تستمر وتستأنف بعدما حدث ما حدث فيها وزعمها القراء بأنها خاتمة لها وليست كذلك.

- أ. إن رواية الأجيال تتميز عن غيرها من الروايات بالميزة الدائرية، وهي عودة بعض الشخصيات إلى الظهور من وقت إلى آخر في أجزاءها المسلسلة. فإذا انتقلنا من قراءة الجزء الأول لرواية من هذا النوع، إلى الجزء الآخر وجدنا الشخصيات الرئيسية التي كانت حية في ختامه تستأنف السرد في الجزء الآخر. وكذلك نشاهد أن هناك الشخصيات التي تلعب أدوارا مختصة من الطب والقضاء وضبط الشرطة وغيرها فقط، تعود إلى الظهور من حين إلى أخرى في أجزاءها المختلفة، كما نشاهد ذلك في سائر روايات الأجيال بدءا من 'جان كريستوف' إلى روايات الأجيال العربية. وعلى سبيل المثال نذكر ما نشاهد في رجوع بعض الشخصيات في عدة أجزاء الملهاة البشرية لبلزاك، فإذا مرض بطل إحدى روايات الملهاة نراه يرجع إلى نفس الطبيب "بيانكون"(Bianchon) الذي يرجع إليه أبطال الروايات يرجع إلى نفس الطبيب "بيانكون"(Bianchon) الذي يرجع إليه أبطال الروايات الأخرى للمعالجة وهلم جرا. وهذه الميزة تؤتي رواية الأجيال الوحدة التي تربط بين أجزاءها المختلفة وتجعلها متماسكة في صورة رواية طوبلة واحدة.
- ٥. ترتبط رواية الأجيال ارتباطا وثيقا بالواقعية، فهي تعالج قضايا المجتمع وتاريخه معالجة شاملة وتصور ما توجد فيه الأفكار والتقاليد والنظم تصويرا دقيقا. فموضوع الرواية الرئيسي هو مسيرة الحياة وتغيرها عبر مسيرة الأجيال، ولا تكتفي هذه الرواية بتصوير مرحلة من مراحل الحياة، أو تصوير نضال الناس ضد ما

151

Martin, Wallace. Recent Theories of Narrative. Ithaca, New York : Cornell University \
Press, 1986. p. 84.

٢ محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥. ص. ٧٨.

ت عبيدات، زهير محمود سليمان. رواية الأجيال في الأدب العربي الحديث. الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤. ص. ١٤.

يعانيهم من النظام الفاسد أو المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، بل إنها تصور أحوال الناس قبل هذا النضال وما جرى أثناءه وما بعده. وبهذا كله تعتبر رواية الأجيال أكثر واقعية من الروايات الواقعية الأخرى لأنها تصور تقلبات حياة المجتمع وتحللها، وتبين الأسباب التي أدت إلى هذه التقلبات، وتؤتي القارئ فرصة المقارنة بين الأجيال المختلفة لنفس المجتمع حتى يظهر أمامه حقيقة هذه التقلبات وما تحمل معها من الإيجابيات والسلبيات.

- 7. إن رواية الأجيال لا تهتم بالحبكة المحكمة المتماسكة بل تعتمد على حبكة تتوزع في سائر أجزاءها الروائية. فطبيعة رواية الأجيال الانسيابية وتقديمها للتفاصيل الدقيقة تجعلها تبتعد عن الحبكة المحكمة. ولا شك في أن الكاتب يحبك الحبكة لرواية الأجيال بشكل يسمح له استمرار الأحداث بين الأجيال العديدة من المجتمع وبربط بين الأحداث بحيث تشكل عملا واحدا متماسكا في النهاية.
- ال الزمان من السمات الرئيسية لرواية الأجيال، وله محوران: فأما المحور الأول فهو يتعلق بالزمان الذي تستغرقه أحداث هذا الجنس الروائي. فنقول إن الزمان في رواية الأجيال تكون ممتدا لعقود من الزمن، وقد تكون تحتوي على أكثر من قرن من الزمن. وهذه الميزة تجعل هذا الجنس في مسمى الموسوعات التاريخية حيث يشتمل على تاريخ عهد طويل للمجتمع الواحد. وأما المحور الثاني فهو يتعلق بالثغرات الزمانية المؤقتة التي تحول بين إصدار الأجزاء المختلفة من رواية الأجيال. وقد يمتد زمن هذه الثغرات أعواما، فتتطلب وقتا طويلا لقراءتها وقد يطول لعقود من الزمن بعض الأحيان. ولذلك قد تسبب أحيانا في إزعاج القاري وعدم متابعة القراءة في الأجزاء التالية، وهنا يتطلب من الكاتب أن يكون مميزا في الزكاء والمهارة بحيث يستمر السرد في الجزء التالي بنفس الأسلوب واللغة والمرونة التي كان قد كتب بها الجزء السالف. وكذلك لا بد للكاتب أن يختار موضوعا التي كان قد كتب بها الجزء السالف. وكذلك لا بد للكاتب أن يختار موضوعا

١ المصدر السابق، ص. ١٧.

نافعا وشيّقا لكتابة مثل هذه الرواية حتى لا يتنفر القارئ عن قراءتها أو يتركها في وسطها، أو يعتبرها ضياء لوقته الثمين.\

خاتمة

وملخص القول إن رواية الأجيال تنتمي من حيث الجذور والنشأة إلى الأدب الفرنسي، حيث ترعرعت على أيدي عباقرة الآداب العالمية حتى أصبحت جنسا روائيا مستقلا. وقد امتازت هذه الرواية بخصائصها الفنية التي تجعلها تمتاز بين جميع الأجناس الروائية الأخرى. وقد تعد هذه الرواية من أقدر الأجناس الروائية على تصوير الواقع وتبيينه للقارئ ولكنها في وقت ذاته تعد تحديا بالنسبة للكاتب بحيث تتطلب منه المزيد من البحث والعناية إبان كتابتها.

المصادروالمراجع

- ١. عبيدات، زهير محمود سليمان. رواية الأجيال في الأدب العربي الحديث.
 الأردن: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤.
- ٢. الفاخوري، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب الحديث. بيروت،
 لبنان: دار الجيل، ١٩٨٦.
- ٣. محمد، أحمد سيد. الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥.
- ٤. هلال، محمد غنيمي. في النقد التطبيقي والمقارن. الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
 - 5. **Agnes, Michael.** *Webster's New World College Dictionary.* Cleveland, Ohio: Wiley Publishing, Inc., 2004.
 - 6. **Collins, Ashok.** "The Roman-Fleuve." *The Cambridge History of the Novel in French*, edited by Adam Watt, Cambridge University Press, Cambridge, 2021, pp. 439–455.

¹ Felber, Lynette. Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve. Gainesville, Florida: University Press of Florida, 1995. p. ix-x.

- 7. **Atkins, Beryl T., Duval, Alain and C. Milne, Rosemary.** *Collins Robert French Dictionary.* Thirtieth Anniversary Eition. Glasgow: Harpercollins Publishers, 2008.
- 8. Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Roman-Fleuve". *Encyclopedia Britannica*, 23 Aug. 2007, https://www.britannica.com/art/roman-fleuve. Accessed 23 November 2022.
- 9. **Felber, Lynette.** *Gender and Genre in Novels without End: The British Roman-Fleuve.* Gainesville, Florida: University Press of Florida, 1995.
- 10. **Martin, Wallace.** *Recent Theories of Narrative.* Ithaca, New York : Cornell University Press, 1986.
- 11. **Soukhanov, Anne H.** *The American Heritage Dictionary of The English Language.* Fourth. Boston, New York: Houghton Mifflin Company, 2006.

المأساة الإنسانية في ضوء قصص الطيب صالح القصيرة

بشارت حسين١

الملخص

كان الطيب صالح السوداني أديبا بارعا كاتبا فارها استطاع بإبداعاته القصصية أن يضع السودان على خربطة الإبداع القصصي فنا ومنهجا وأسلوبا. فما كان كاتب قصصى مجرد فحسب، بل إنه كان من الرواد القلائل للقصة القصيرة السودانية واحدى العلامات البارزة للقصة في السودان. مارس في إنتاجاته القصصية على الموضوعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقومية وما إلى ذلك، غير أن مشكلة الإنسان وصراعه ضد البؤس والشقاوة والفقر ومشكلة ظاهرة التسلط واستبداد الحكومة على عامة الناس من العمال والفلاحين من الموضوعات المهمة التي اتسمت به معظم قصصه القصيرة. وأما هذه المقالة فسوف تسلط ضوءا وافرا على المأساة الإنسانية والمعاناة الاجتماعية في ضوء قصص الطيب صالح القصيرة، كما تبحث هذه المقالة عن معالم الطيب صالح الفني في مجال القصة القصيرة السودانية.

الكلمات المفتاحية: الطيب صالح -القصة القصيرة- المأساة الإنسانية-

التقديم

نال الطيب صالح السوداني بجدارته الأدبية وانتاجاته الرائعة مكانا ممتازا بين الكتاب والروائيين. وقد شق طريقا جديدا للقصة القصيرة من حيث المضمون والفكر والأسلوب معا، بحيث يعتبر بلا منازع عملاقا من عمالقة الأدب والفن، حتى نال في هذا المجال العديد من الجوائز الوطنية والعالمية. فما كان مجرد كاتب روائي، بل كان من

رواد القصة القصيرة في الأدب السوداني ومن الأدباء القلائل الذين جعلوا القصة القصيرة نوعا مقبولا من أنواع الأدب السوداني في الوقت الذى لا يهتم بها أكثر الكتاب والروائيين السودانيين أن النماذج الإنسانية من الفقر والبؤس والشقاوة والحوادث الاجتماعية من الفلاحين والعمال والأزمات السياسية من الظلم والاستبداد والقهر في ظل الاستعمار البريطاني من الموضوعات الرئيسية التي تناولها الطيب صالح في قصصه القصيرة. ويمكن لنا أن نقسمها إلى قسمين مهمين، قسم كتبه الطيب صالح في الغربة خلال قيامه في لندن، وقسم كتبه بعد عودته إلى وطنه السودان. وإننا نجد بعد النظرة المدققة أن هذين القسمين يختلفان عن الآخر من حيث المضمون والشكل والفن والأسلوب. يتضمن القسم الأول من القصص القصيرة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عاناها الشعب السوداني تحت الاستعمار البريطاني وما صاحبه من الأزمات والمعاناة. وأما القسم الثاني من القصص القصيرة للطيب صالح فيتضمن على العادات والتقاليد والأعراف السودانية بجانب إلى تصوير معاناة في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك.

ومن القصص القصيرة التي كتبها الطيب صالح خلال قيامه في لندن قصة" نخلة على الجدول". كتبها الطيب صالح هذه القصة عام ١٩٥٣ مبعدما شجع صديقه معاوية الدرهلي الذي كان يعمل معه في هيئة الإذاعة البريطانية على كتابة القصة القصيرة. فعندما نشر الطيب صالح هذه القصة اطلع عليها معاوية الدرهلي وأعجبته كثيرا، حتى أذاعها في برنامج خاص من إذاعة لندن. ويصرح الطيب صالح عن سبب كتابة هذه القصة قائلا:" عندما جئت لندن في فبراير شباط ١٩٥٣م، كنت أقول: لماذا جئت أصلا إلى هذا البلد. وما هي المصيبة التي رمتني وساقتني إليه.... في تلك الفترة وتحت وطأة الحنين إلى أهلى وبلدى وعشيرتي كتبت قصة قصيرة أسميتها "نخلة على

ا غازي محمد خالد: الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، ص٦٨وما بعدها

الجدول"، إنها قصة بسيطة كتبتها ببساطة شديدة جدا "'.قد جعل الطيب صالح هذه القصة القصيرة تعبيرا عن اشتياق بلده وأهله وقريته التي ترعرع فها ونشأ في طقسها، كما جعلها تعبيرا عن مشكلة تراوح الفرد بين الغنى والفقر. فالنخلة والجدول التي جعلهما المؤلف عنوانا للقصة تعد عنصران أساسيان للحياة السودانية الريفية، وقد أشار المؤلف بهما حينما كان مغتربا في لندن".

تدور هذه القصة حول فلاح فقير اضطرته الظروف القاسية على بيع نخلة له، فساوم بعض الإقطاعي فلاحا لبيع النخلة. وخلال المساومة تتداعى إلى ذهن الفلاح ذكريات عن حياتها ربطت بهذه النخلة في جانب، وفي جانب آخر شعر أن عيد الأضحى مقبل وليس لديه ثوب نظيف يلبس ويخرج به إلى الصلاة، وليس عند زوجته غير ثوب لبسته منذ شهور حتى تراكمت عليه الأوساخ. فكان الفلاح مترددا في بيع النخلة وعدم بيعها، فإذا سمع صوت شيخ محجوب يقول له بشيء من التوسل والابتهال: "يفتح الله"، ورأي الفلاح إلى الشيخ محجوب عادت ذكرياته بخمسة وعشرين عاما إلى الوراء. وتذكر حينما كان الشيخ محجوب شابا التقط شتلة صغيرة من النخل، فزرعها حتى أصبحت شجرة مستقلة، ولكن عندما باعها أصبح منبوذا ومحتقرا من قبل أهله وعشيرته، حتى لم يجد له مالا يسد به الرمق ويقضى به الحياة.

استطاع الطيب صالح بهذه القصة أن يعبر عن المأساة الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية السودانية في ظل الاستعمار البريطاني. كما استطاع أن يعالج خلال حكاية الفلاح والتاجر قضيتين مهمتين في المجتمع السوداني، تتعلق القضية الأولى بانتهازية التجار وأصحاب رؤوس الأموال واستغلال الفقراء والفلاحين والعمال، حيث كان التاجر يستغل الفلاح وبجبره لبيع النخلة التي كانت منبعا وحيدا لمعيشته. وأما القضية

١ غازي محمد خالد: الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، ص٦٩

٢بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر
 فها دراسة نقدية، ص٣٧٦

الثانية فتتعلق بالإيمان وبالقضاء والقدر والتوكل على الله، حيث عندما أمسك الفلاح نفسه عن بيع النخلة متوكلا على الله تعالى، سرعان ما أتت ابنته الصغرى إليه وأخبرته بأن أحد زملاء أخيها قدم من مصر وأراد لقاءك. فعندما قرب الفلاح إليه أعطاه ثلاثين جنها أرسلها ابن الفلاح من مصر. فشخصية التاجر حسين وشخصية الفلاح البسيط تمثلان نزاعا بين الوجهتين المختلفتين، أحدهما وجهة دينية وروحية يمثلها الفلاح البسيط، وثانيهما وجهة مادية مستغلة يمثلها التاجر حسين الذي كان ينتهز الفرصة ويسعى لاستغلال الفلاح البسيط. فشخصية التاجر حسين هو المحور الرئيسي الذي نسج الطيب صالح حوله الفساد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في السودان تحت ظل الاستعمار البريطاني المستعمار البريطاني السيديات المستعمار البريطاني السيديات المستعمار البريطاني المستعبد المستعبد المستعبد المستعبر المستعبد المستعبر المستع

وبعد هذه القصة كتب الطيب صالح قصته الشهيرة "حفنة تمر" عام ١٩٥٧م ونشرها في مجلة "إنكونتر" التي كانت تعتبر من أكبر المجلات الأدبية البريطانية والتي كانت آنذاك زوبعة ثقافية، ثم نشرها عام ١٩٦٨م في مجلة الأسبوعية السودانية "الرأي الأم". قد تدور هذه القصة حول مشكلة تراوح الفرد بين الغنى والفقر خلال تقديم حكاية صبي كان جالسا ذات يوم مع جده وكانا يتحدثان عن جار اسمه مسعود. فكان الجد يكره مسعود كرها شديدا، حتى لقبه بسبب كرهه بالرجل الخامل. فلما استفسر الصبي سبب كرهه وعن معنى الرجل الخامل، أخبره الجد عما حدث قبل أربعين عاما بينه وبين مسعود قائلا: إنه كان رجلا غنيا وكان يملك أرضا خصبة ونخلة كثيرة ورثها عن أبيه، حتى إنه كان من ذوي المال الكثير والشهرة البليغة في القرية. وكان لمئة خادم من البنين والبنات، ولكنه الآن أصبح رجلا فقيرا، باع جميع أملاكه من الأرض والنخيل بسبب حبه للنساء. فعندما كان يتزوج امرأة باع فدانا أو فدانين من الأرض. وفي هذه الأثناء جاء مسعود إلى جد الطفل وأخبره بأنه يريد أن يحصد التمر وسأله لحضوره في الحقل. فعندما ذهب الطفل مع جده إلى الحقل أدهش حينما رأي

١ الطيب صالح عبقري الرواية العربية، ص ١٢

في مكان حصاد التمر التاجر حسين وموسى صاحب الحقل المجاور لحقل جده ورجلين غريبين لم يرهما الطفل من قبل. فعند ما نظر الطفل إلى مسعود، رآه واقفا بعيدا عن هؤلاء الناس. فسأل عن جده سبب وقوف مسعود بعيدا عن حقله، أخبره الجد أن هؤلاء التجار يتقاضون ديونهم من مسعود أكياسا من محصول التمر، فيأتون على المحصول بأكمله. وأدهش الطفل أكثر مما كان قبل عندما شاهد التجار اجتمعوا في الساقية ويكيلوا التمر بمكاييل ويصبونه في أكياس، فأخذ حسين التاجر عشرة أكياس وأخذ موسى خمسة أكياس وجده أيضا أخذ خمسة أكياس. ولم يستطع الطفل أن يفهم عما يحدث هناك. وفي تلك الأثناء قال جده لمسعود، إنه ما زال مدينا له بخمسين جنها نتحدث عنها فيما بعد. فلما نظر الطفل إلى مسعود أحس الطفل بألم شديد، ثم ذهب إلى حافة النهر وأدخل إصبعه في حلقه وتقيأ التمر الذي أكل"\.

استطاع الطيب صالح أن يقدم خلال هذه القصة القصيرة المأساة الاجتماعية السودانية وقهر الاقطاعيين الكبار على الضعفاء من الفلاحين والعمال، معرضا شخصية مسعود الذي استلب أرضه وتمره جميعا من قبل التجار والاقطاعيين الكبار لقلة حيلته وقصور رؤيته، حتى خرج مسعود من حقله في موسم الحصاد دون أن يفي باقي ديونه، فظل مدينا لجد الطفل خمسين جنها. فهذه القصة تعبير صادق عن واقع السودان وحساسية الناس الذين قضوا حياتهم تحت الظلم والقهر من قبل الاستعمار من جانب ومن قبل الاقطاعيين الكبار من جانب آخر. فشخصية الطفل يمثل حساسية الناس ووعهم تجاه الظلم والقهر، بينما يمثل شخصية مسعود العمال والمزارعين الذين وقعوا في أزمة اقتصادية نتيجة لعدم العدالة الاقتصادية في المجتمع الذي كان يحكم فها الأغنياء والاقطاعيون، مستغلين العمال والفلاحين بطرق مختلفة. كان مسعود من ذوي الثروة والمال، ولكنه أصبح فقيرا ومحتاجا لا يملك سوى

ا بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فها دراسة نقدية، ص ٣٨٣ وما بعدها

حمارته العرجاء وسرجه المكسور وجلبابه الممزق بسبب استغلال الاقطاعيين واستدانتهم عليه. وقد صور الطيب صالح حالة مسعود العاجزة قائلا:" كان مسعود واقفا بعيدا عن ذلك الحشد كأن الأمر لا يعنيه، مع أن النخل الذي يحصد كان نخله هو.'.

ومن القصص القصيرة التي ألفها الطيب صالح خلال قيامه في لندن قصة "رسالة إلى إيلين" التي نشرها الطيب صالح عام ١٩٦٠م، والتي تدور حول علاقة الشرق بالغرب وتصور عادات العالم الشرق والغربي في أسلوب ممتع جدا. وهذا يجدر بالملاحظة أن هذه القصة تختلف تماما عن قصص الطيب صالح السابقة من حيث الشكل والمضمون معا، حيث قدمها المؤلف في صورة رسالة أرسلها رجل سوداني من الخرطوم بعد وصوله إلى وطنه السودان إلى زوجته الغربية الإسكتلندية التي تزوجها خلال قيامه في أبردين في اسكتلندا. قد تبدأ هذه القصة بعلاقة الحب بين الرجل السوداني الذي سافر إلى البلاد الغربية للتعليم العالى، وبين المرأة الإسكتلندية التي كانت تتعلم معها. وفي أثناء الدراسة جرت بينهما علاقة الحب والمودة نحو ثمانية أشهر، حتى اتفقا على الزواج. فالمحور الرئيسي لهذه القصة هو الرسالة التي أرسلها الرجل السوداني إلى زوجته إيلين الإسكتلندية بعد وصوله إلى السودان. عندما وصل هذا الرجل إلى وطنه السودان وفض حقيبته وجد أن زوجتها وضعت فيها كل ما يحتاج إبان إقامته في السودان، فازداد حبه وولعه لها وهي التي تزوجت منه حتى بعدما اعترفت الفرق بينهما في اللون والدين والذوق والمظاهر. فالرجل عندما وصل إلى أهله وأقاربه أدرك نفسه غرببا بين أهله وأقاربه حتى أمام أبيه وأمه اللذين كانا يرحبانه ويذرعان الدموع بالفرح والبهجة بسبب عودته. فأدرك أن هذه الزبارة ليست كالزبارات الماضية المفعمة بالفرح والسرور، فاستشعر بالتمزق وبالإحساس العارم بعدما علم أن علاقته مع أهله في هذه المرة ليست مثل علاقة كانت بينهم من قبل. فقد تعمق لديه

١ المصدر السابق، ص٣٨٨

هذا الاحساس خاصة عندما قدم إلى أقربائه وعشيرته الذين لم يعرفوه ولم يتحدثوه، حتى الفتاة التي كانت معها علاقة ودية زمن دراستهما في القرية لم تلاحظ إليه، بل اعتبرته مثل الشجرة التي اقتلعت بشدة الربح. ويتضح كل هذا من هذه العبارة:" أنا في حسابها كنخلة على الشاطئي اقتلعها التيار وجرفها بعيدا عن منبتها. أنا في حسابها تجارة كسدت". فالقرية التي ترعرع ونشأ فها أصبحت له غريبة. فإنه أخذ يحس بأن عودته إلى بلده كان تعذيبا إلى نفسه. فنسي الوطن وأهله وأقاربه، فهو يخاطب زوجته في رسالته قائلا:" الليلة الأولى بدونك. وبعدها ليال ثلاثون كمفازة ليس لها خير. سأجلس على صخرة قبالة دارنا واتحدث إليك. أنا واثق أن الرباح والكهرباء التي في والهواجس التي تهجس في الكون، سترهف آذانها، وستحمل حديثي إليك. موجات هوج من قلبي، تستقبلها محطة في قلبك. حين تنامي مدّي ذراعك حيث أضع رأسي على الوسادة. فإني هناك معك، حين تستيقظين قولي صباح الخير فإنني سأسمع وأرد، أجل سأسمع. أنا الآن أسمع صوتك العذب الواضح "\.

على هذا النحو استطاع الطيب صالح في هذه القصة أن يعبر عن الألم والحزن اللذين واجههما الشبان السودانيون خاصة والعرب عامة بعد مغادرة وطنهم، كما استطاع أن يعبر عن واقعية الحياة في المجتمع الغربي الذى تأثر الطيب صالح به إلى أقصى حد خلال غربته ومعايشته في لندن، ولذلك السبب يرى بعض الباحثين أن المؤلف قد عبر في هذه القصة عن سيرته الذاتية وعن زواجه بامرأة اسكتلندية "جوليا" وفي جانب الآخر أن هذه القصة تمهيدا لروايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال" التي تتحدث فيها الطيب صالح بالدقة عن العالم الغربي والشرقي والتي عدها الناقدون

١ الأعمال الكاملة للطيب صالح، ص ٤٩٧

٢ نفس المصدر، ص٤٨٩

من أفضل مئة رواية عالمية بمضمونها البليغ وأسلوبها الرائع\. فجميع هذه القصص هي التي ألفها الطيب صالح خلال قيامه في لندن، ولذلك السبب نجد في معظم قصصه القصيرة الغربة كما نجد فها وهج الحضارة الغربية الصخبة وقهر الاستعمار البريطاني ومعالجة الأوضاع السودانية في كافة المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية.

وأما القصص التي ألفها الطيب صالح بعد عودته إلى وطنه السودان فتختلف تماما عن القصص السابقة موضوعا وأسلوبا وفكرا. ومعظم هذه القصص تدور حول الأوضاع الداخلية السودانية، كما تدور حول العروبة وثقافتها الإسلامية العربقة وهموم الأمة العربية شرقا وغربا. ومن أهم هذه القصص قصة" دومة ود حامد" التي نشرها أول مرة في العدد الثالث من مجلة" أصوات" عام ١٩٦١م، ثم نشرها عام ١٩٦٩م في مجلة" الهلال". قد تعد هذه القصة من أشهر قصص الطيب صالح القصيرة وأنجحها. وقد يقول الطيب صالح عنها:" هي أحد عمود من أعمالي الأدبية. كانت أول قصة لقيت النجاح وجعلتني أحس أنني يمكن أن أكون كاتبا "٢. قد ترجمت هذه القصة إلى العديد من اللغات العالمية بما فيها الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية والعبرية وما إلى ذلك. فهذه القصة القصيرة على حد تعبير بعض الباحثين نموذجا صادقا للرمز والايحاء الأدبي، تدور أحداث هذه القصة حول قربة صغيرة من قرى السودان، يعتقد أهلها بالرجل الصالح المدفون فها وبؤمنون بكراماته، حتى كانوا يدعوا له عندما نزلت عليم المصائب، وبرونه في أحلامهم يدعون منه لرفع مصائبهم ودفع أزماتهم. فلما حاولت الحكومة قطع" الدومة" وهو المكان المدفون له، وقف جميع أهل القربة أمام الحكومة وناضل معها مناضلة قوبة ضد قطع" الدومة" واسقاط

ا بي حسينة: الطيب صالح وموسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر
 فها دراسة نقدية، ص ٣٩١ وما بعدها

٢ حسن ولي : الطيب صالح فكره وإبداعه الروائي، ص ١٠

قبره، وقد جرت هذه المناضلة بين أهل القرية والحكومة نحو أسبوع أو أكثر، اشترك فيها كثير من الرجال والنساء والأطفال من القرية حتى توقفت الحكومة عن قطعها. وفي الحقيقة يرمز الكاتب بهذه الحكاية إلى ثبات الناس واستقرارهم أمام الاستعمار. فشجرة دومة وضريحة ود حامد علامتان بارزتان لثبات الناس أمام الأجانب عبر القرون والأجيال. ثبت الناس أمام الاستعمار البريطاني والإنجليزي وحاربوا ضدهما محاربة قوية ممسكين التقاليد والعادات المقدسة لهم.

قدم الطيب صالح هذه الحكاية خلال تقديم شخصيتين أحدهما شيخ كبير ينتمى إلى قربة ود حامد، والثاني شاب قدم من المدينة إلى قربة ود حامد لزبارتها. فعندما وصل الشاب إلى القربة قص الشيخ عليه قصة قربته ومزاياها قائلا يؤمن أهل قربها بأولياء الله الصالحين وبشيوخ الصوفية وكراماتهم. فهذه القربة موصونة للأجانب والغرباء والأعداء، فإذا جاء أحد إلى هذه القربة في الشتاء يهاجم عليه أسراب من الحشرات التي تدعى "النمتة"، وإذا جاء إليها أحد في الصيف يهاجم عليه ضخم من الحشرات الأخرى التي تدعى" ذباب البقر"، وأما إذا جاء إليها أحد بين هذين الطقسين تحميه هذه القربة وتصونه من البلاء والمصائب أي ما كانت. ثم قال للشاب أنت جئت في الصيف، لذا سأعطيك شبكة من " التل"، ضعها على رأسك. فهذه الشبكة تقوى عن احتمال اسراب ذباب البقر. ثم أخبره هذا الشيخ عن حادثة حدثت في هذه القربة في سنة من السنين قائلا: مرة جاء إلى هذه القربة واعظ كبير أرسلته الحكومة السودانية لكي يعظنا وبرضينا على قيام مدينة كبيرة في هذه القربة بعد قطع أضرحة الأولياء الصالحين. فعندما وصل إلى القربة مصمما على قطع الأضرحة وقلع ود حامد توّرم وجهه بعد وصوله في القربة وأصبح طربح الفراش إلى أن مات، فمنذ ذلك اليوم لم ترسل الحكومة أي واعظ بعد. ثم قال عندما سيطرت على السودان كلها الحكومة الإنجليزية فإنها قررت على قطع الدومة واقامة مكينة الماء في موضعها. فلما سمع أهل القربة عن ذلك سدوا جميع طرق دخول القربة وسدوا الحكومة عن قطعها. وبعد استقلال السودان من الاستعمار أرسلت الحكومة نخبة من الرجال الأقوباء إلى هذه

القرية لأن يبنوا على الدومة محطة الباخرة، ولكن هاجمت عليهم ذباب البقر حتى رجعوا يائسين، ولكن سرعان ما أرسلت الحكومة رجال الجند وحبس الرجال الأقوياء من القرية، فعندما دخل الجند في القرية هاجمت عليهم الحشرات حتى رجعوا يائسين وبقيت الدومة على مكانها سالمة'.

استطاع الطيب صالح أن يصور خلال هذه الحكاية نضال الشعب السوداني ضد الاستعمار والأجانب، وأن يقدم صورا عديدة من الصعوبات والأزمات التي واجهها السودانيون عبر القرون. إنه جعل شجرة الدومة وضريحة ود حامد رمزا وعلامة للشعب السوداني الذي ناضل ضد الحكومات المختلفة في إزالة التقاليد والأعراف وفي تكوين التغيرات في مجال الزراعة والاقتصاد والسياسة على نحو ما نعرف من قول الدكتور ماهر حسن فهمي الذي يقول عن هذا الصدد:" الدومة هنا رمز للعقائد التي يتمسك بها أهل القربة في اصرار رغم تخلفها، بل هم يحاربون التطور وبسدون السبيل أمامه من أجل مجموعة أساطير قدسوها وأحالوها محور حياتهم وفكرهم، وعاشوا حياة بدائية لا صحف ولا سينما ولا مستشفى ولا مدرسة ولا كهرباء ولا وسائل مواصلات سوى الحمير، ولكنهم يتبركون بالدومة وبقدمون القرابين لود حامد تحت الدومة التي تشغل يومهم وتملئ حتى أحلامهم في صحتهم ومرضهم وأفراحهم ومآسيهم. وربما كان قطع الدومة أشبه بمحق لمقدساتهم، ولكن القربة لم تكن على استعداد لإقامة محطة الباخرة وتغنيهم عن عناء السفر على الدواب لمجرد أن الباخرة سوف تقف عند القربة عصر يوم الأربعاء وهو الوقت المحدد في القربة لزبارة ضربح ود حامد عند الدومة يأخذون نسائهم وأطفالهم وبذبحون نذورهم وأهل القربة يروون قصتها أبا عن جد وتفعل الأساطير بألبابهم الأفاعيل" ٢. والشيء المهم الذي نجده في هذه القصة

ا بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فها دراسة نقدية، ص٣٩٦ وما بعدها

٢ فهمى حسن ماهر: قضايا في الأدب والنقد، ص٣١٣ وما بعدها

هو أن الطيب صالح خالف الحكومة الاستعمارية في معظم أعماله القصصية والروائية، وإن كان توقف عن الانتقاد اللاذع على الحكومة الوطنية في أعماله السابقة التي تجاوز فها عن الأعمال الشنيعة للحكومة بإتيان أشياء يفتخر بها الحكومة الوطنية، غير أننا نجده في هذه القصة ينتقد على الحكومة الاستعمارية والوطنية معا على لسان شخصية الشيخ قائلا:" أنت تذكر أنه كان لنا قبل أعوام نواب وأحزاب وضوضاء كبيرة، ما كنا نعرف أولها من آخرها. ونحن منذ أبينا أن تقوم المحطة عند الدومة، لم يعد يعكر علينا صفوفنا أحد. وانقضى عامان ونحن لا نعرف شكل الحكومة سوداء هي بيضاء". على كل حال تعتبر هذه القصة من أروع قصص الطيب صالح القصيرة فنا ومنهجا وأسلوبا وفكرا، بل عدها بعض الدارسين وعلى رأسهم ماهر حسن فهي، البداية الحقيقية لفن الطيب صالح القصصي. فإن حيوية اللغة ودقة الوصف وإيثار الألفاظ البسيطة الدقيقة على الألفاظ الصعبة والأسلوب الحواري البليغ الذي يجري بين الشاب القادم من المدينة وبين الشيخ العجوز للقرية، والذي يوضح الفوارق الواضحة بين المدينة والقرية في العادات والتقاليد والسذاجة من السمات المهمة التي تمتاز بها هذه القصة من قصصه الأخرى.

خاتمة

اتضح لنا مما سبق أن الطيب صالح السوداني عالج معاناة الإنسان السوداني ومأساته الاقتصادي والاجتماعي معالجة لا بأس بها. واستطاع أن يصور الأشياء والأحداث تصويرا واقعيا بعيدا عن المبالغة والتصنع. بجانب إلى ذلك اتضح لنا مساهمته القيمة في تطوير القصة القصيرة في السودان، حتى كان وحيد من الكتاب القلائل الذين أخرجوا فن القصة القصيرة السودانية من التقاليد القديمة والأسلوب الزائف إلى معالمها الفني الجديد أسلوبا ومنهجا وفكرا وما إلى ذلك.

١ الأعمال الكاملة للطيب صالح، ص١٧٥

المصادروالمراجع

- الجيزة: وكالة الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر. الجيزة: وكالة الصحافة العربية (ناشرون). ٢٠١٥م.
- ٢. بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد
 الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية.
- ٣. محمد أحمد سعيد. الطيب صالح عبقري الرواية العربية. بيروت: دار العودة.
 ١٩٨٤م.
 - ٤. صالح الطيب. الأعمال الكاملة. بيروت: دار العودة. ١٩٩٦م.
 - ٥. حسن ولى: الطيب صالح فكره وإبداعه الروائي.
- ٢. فهمي حسن ماهر: قضايا في الادب والنقد: رؤية عربية، وقفة خليجية. الدوحة:
 دار الثقافة. ١٩٨٦م.

مسرحيات عبد القادر علولة من منظور الوعي الاشتراكي: دراسة نقدية

د. أرشد محمودا

الملخص

إن عبد القادر علولة كان رائدا من رواد المسرحيين الجزائريين الذين رفعوا الأدب المسرحي الجزائري إلى رفعة كبيرة فنا ومضمونا. إضافة إلى ذلك نال مكانة مرموقة بين معاصريه في تقديم الأحوال الاجتماعية والسياسية الجزائرية من منظور الوعي الاشتراكي. وأما هذه المقالة فتبحث عن مفهوم الاشتراكية في مسرحيات عبد القادر علولة، وتوضح كفاح الشعب الجزائري ضد النظام البيروقراطي مشيرة إلى الأحوال السياسية والاجتماعية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: عبد القادر علولة - الاشتراكية – مسرحيات عبد القادر علولة والاشتراكية – الخاتمة.

نبذة عن حياة علولة (١٩٣٩-١٩٩٤)

كان عبد القادر علولة ممثلا ومخرجا مسرحيا من مواليد مدينة تلمسان في الجزائر في أسرة فقيرة، وحصل على تعليمه البدائي في بوهران وعلى الشهادات الثانوية في مدينة سيد بلعباس، ثم أخذ يمارس في مجال المسرح ممثلا ومترجما، ثم التحق بالمسرح الوطني "كهاوي" واستفاد من هذا المسرح الوطني استفادة تامة وحصل على الإلمام بالجذور الأولى للمسرحية، وساهم في تطوير المسرحية الجزائرية مساهمة جبارة بأعماله الأدبية. وقد اعترف معظم النقاد بمساهمته في هذا المجال حتى لقبه النقاد والأدباء ب"عميد المسرح الوطني الجزائري". مضيفا إلى ذلك شارك في شتى الدورات

_

١ محاضر في معهد اللغة العربية، بانهال، كشمير، الهند

التكوينية والنشاطات المسرحية، ومّثل من خلال ذلك عدة مسرحيات عالمية ودولية كمسرحية "أولاد القصبة" لعبد كمسرحية "الأسرى" للمؤلف الروماني بلوت ١٩٦٢م، ومسرحية "أولاد القصبة" لعبد الحليم رايس وغير ذلك. وبهذه التمثيلات والتكوينات والنشطات المسرحية وجد علولة مهارة واسعة في كتابة المسرحية، وسبق في تقنياتها على معاصريه، كما يصرح الناقد الجزائر جميل حمداوي "ومن المعروف أن المبدع الدارامي عبد القادر علولة من مواليد الغزوات بتلمسان سنة ١٩٣٩م، وقد تلقى تدريبا مسرحيا بفرنسا، وساهم منذ وقت مبكر في إنشاء المسرح الوطني الجزائري، فتولى إدارة مسرحية فرقة مسرحية بمدينة وهران."\.

لعب دورا هاما في ميدان التخريج المسرحي، حيث إنه أخرج بعض المسرحيات العالمية والدولية بطريقة فنية، ومن أهم هذه المسرحيات مسرحية "السلطان الحائر" لتوفيق الحكيم ١٩٦٥م، ومسرحية "الدهاليز" لمكسيم جوركي وما إلى ذلك. ونالت هذه المسرحيات المخرجة إقبالا كبيرا وأهمية بالغة في الأدب المسرحي الجزائري خاصة وفي الأدب العربي عامة. ثم اتصل بفرقة من الشباب المسرحيين الجزائريين إلى أمد بعيد، ولم يقف في هذا الميدان فحسب بل إنه مثل وعلق وعرض بعض الأفلام في مجالات مختلفة، ومن أهم أفلامها المعروضة والمقروءة: "حقار الدينار" ١٩٦٩م، و"الكلب" للمخرج هاشعي شريف، و"تلمسان" ١٩٨٩م، للمخرج محمد بوعماري، وما إلى ذلك. وعلق على بعض الأفلام فمنها "بوزن القلعي" للمخرج حجاج ١٩٨٨م، و "كم أحبكم" للمخرج عز الدين مدور ١٩٨٥م، وهذه الأفلام المعروضة والمقروءة من علولة تشمل على أحوال الجمهورية الجزائرية.

وقد بدأت الفترة الذهبية لحياة عبد القادر علولة عندما أخذ يكتب المسرحيات الأدبية مستمدا موضوعاتها من الأوضاع الاجتماعية والسياسية المعاصرة. عالج في

١ حمداوي، جميل، بريشت وتأثيره في المسرح العربي، الطبعة الأولى، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني المملكة المغربية ٢٠٢٠م، ص ٨٠.

مسرحياته الأوضاع السياسية والاجتماعية المعاصرة من منظور واقعي اشتراكي مع متغيرات جديدة في المستوى السياسي والثقافي والاقتصادي خلال صدور قرار اللامركزية للمسرح، كما يصرح جميل حمداوي "مرحلة المسرح الواقعي الاشتراكي مع عبد القادر علولة يمكن أن نضيف مراحل مسرحية أخرى كمرحلة التجريب المسرحي، ومرحلة التأصيل والتأسيس، ومرحلة التفاعل والتناسج الثقافي" أ. ومن أهم مسرحياته ثلاثيته الشهيرة ("الأقوال"١٩٨٠م، و"الأجود" ١٩٨٥م، و"اللثام"١٩٨٩م،) تحتوي هذه على تصوير المجتمع الجزائري وعلى تعبير الطبقات الكادحة من العمال الذين كانوا يعملون في الإدارات الحكومية المختلفة. إن الهوية الجزائرية تجاه النظام الاشتراكية الداعية إلى الاشتراكي وكفاحها ضد النظام البيروقراطي وإيضاح المفاهيم الاشتراكية الداعية إلى العدالة الاجتماعية والسياسية والمساواة بين أفراد المجتمع من الموضوعات المهمة التي عالجت مسرحيات عبد القادر علولة.

الاشتراكية بين النشأة والتطور

بدأت الاشتراكية في روسيا في القرن التاسع عشر خلال الثورة الفرنسية ردا على الرومانسية والواقعية الانتقادية المتشائمة. ثم ازدهرت هذا الاتجاه في الأدب ازدهارا تاما في بداية القرن العشرين على أيدي مكسيم وغوركي، ثم تبعهما أدباء آخرون من أمثال جون ريد وهنري باريو حتى أصبحتها أسلوبا دأب عليه الكتاب والقصاص في روسيا في التعبير عن طموحاتهم ومشاعرهم تجاه الأوضاع التي يعاني المجتمع. فهذا النوع من الواقعية حديث النشأة، حيث إنها ظهرت في الادب كمصطلح أدبي جديد خالص في أواخر القرن التاسع عشر في المؤتمر الأول للأدباء السوفيتين عام ١٩٣٤م بموسكو. وقدمت في هذا المؤتمر تسميات عديدة لهذا النوع من الواقعية، وتسعى معظم هذه التسميات إلى التعبير عن المنهج الاشتراكي الجديد في الابداعات الأدبية

169

١ حمداوي، جميل، بريشت وتأثيره في المسرح العربي، الطبعة الأولى، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني المملكة المغربية ٢٠٢٠م، ص ٨٨.

والفنية. وفي الأخير استقر الرأى على تسمية" الواقعية الاشتراكية". ظهرت هذا النوع من الواقعية بسبب النظريات السياسية والتعاليم الاجتماعية الجديدة التي كانت تنادى بها الفلسفة الماركسية. فحربة الانسان وتنظيم المجتمع وشاعة العدالة الاجتماعية بين طبقات عامة الناس وخواصهم كانت ثمرات هذه الواقعية الاشتراكية. ثم انتقلت هذا النوع من الواقعية الى البلدان العالمية المختلفة وظهرت هذا الفكر عند الكتّاب البارزين، ومن هؤلاء الكتاب الكاتب البارع الماني "برتولد بربخت" الذي (Bartolt Brecht) كان رائدا المسرح الملحمي والتعليمي في المان وصاحب المسرح وكان يدعو إلى النضال والثورة والتحويرات من الاستغلال الرأسمالي بروح الاشتراكية خلال كتاباته الأدبية ومسرحياته العديدة، واعتمد في منهجه على قواعد المسرح الأرسطي مع بعض التغيّرات، وكان يعالج شتى الموضوعات حول الاستغلال والفساد في المجتمع، وكان يحاول أن يعالج هذه الوقائع الاجتماعية بإيقاظ النفوس والدعوة إلى التفكير، وكذلك تأثر كثير من كتاب العرب بهذا المنهج البريختي، فأصبحوا يعتمدون على منهجه خلال كتاباتهم المسرحية. وكان عبد القادر علولة على رأس كتّاب المسرحية في الجزائر الذي سار في معظم أعماله المسرحية على غرار نهج بربخت ومسرحياته الأدبية، وكذلك تأثر "علولة" بالمنهج البريختي تأثيرا بالغا، وخاصة في عناصر المسرح الملحمي التي تتصل بالبيئة الجزائرية، واتخذ "علولة" هذا الشكل الملحمي أساسا معينا منطلقا لعمله المسرحي، ومن هذا المنطلق كان يحاول أن يعالج شتى المشاكل التي اتصلت بالفساد والبير وقراطية التي صاحبت التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فتعدّ مسرحياته من قسم الواقعية الاجتماعية مثل المسرحية الأرسطية التي تدور على حول أحوال الطبقة البرجوازبة. وبتبع علولة في هذا الشكل المسرح البريختي وبعتمد في مسرحياته على العقل بدل العاطفة والمشاركة الوجدانية، فيظهر ذلك جليا في مسرحياته، وأننا نجد في مسرحياته المستوي الفني والفكري العالى وهو الذي يجعله من أقدر كتاب المسرحية في الجزائر في العالم العربي على السواء، حيث أننا نجد أن مسرحياته لا تدور حول قصة واحدة تقليدية مبنية على تتابع الأحداث، بل نجد

مسرحياته في معظم الأحيان مبنية على شتى أحداث مستقلة وخير مثال على ذلك مسرحية "الأقوال، والأجواد" اللتين تحويا في طياتها أحداث مختلفة مستقلة، وكذلك أنه يقدم الشخصيات لمسرحياته منتقاة من الطبقات الكادحة، أي طبقة العمال من عامة الشعب، ويصور من خلالها آلام هذه الطبقات في ظل الاستغلال وسلب الحقوق، وسوء تطبيق الاشتراكية، كما تصرح نورية شرقية "لقد كان علولة يبحث من خلال التجربة التي خاضها إلى إبداع مسرح عربي مادته التراث وموضوعه التعبير عن واقع الإنسان والطبقات الكادحة في شكل أو قالب من البيئة الجزائرية ومن صنعها"\.

وبعد استفادة علولة بمسرحيات بريخت في الشكل الملحمي بدأت في مجال المسرحية الجزائرية مرحلة جديدة بشكل المسرح الملحمي، وقام علولة بتطوير الواقعية الاشتراكية مستفيدا من الثقافة التراثية والجديدة، فقد كان يعيش في هذه الثقافة في ظل المشاكل التي كانت توجد في المجتمع الجزائري، وقدّم علولة الخلفية الاجتماعية لشخصيات مسرحياته ومنهم العمال، وكان يصور نضالهم ضد البيروقراطية، ومآسيهم في الحياة، كما كتب الدكتور واسني الاعرج: " إن المهم في دراميات العمال هو أن تبرز حياة العمال ومشاكلها من الداخل، وعلى أساس واقعى ومعاصر، حيث تظهر المشكلة حية معاصرة". ويتوجه علولة إلى الكتاب الثوريين الذين كانوا يخلّصون مجتمعاتهم من الظلم الاجتماعي والاستغلال الأجنبي. والمهم أن علولة تأثر بالمسرح البريختي من نواح عديدة، وهذا التأثر يتجلى في أكثر مسرحياته سواء من ناحية الفن والمضمون، فهو يسير على أسلوب بريخت (Brecht) في تصوير الوعي الاجتماعي والسياسية في المجتمع، كما

ا نورية شرقية، اتجاهات الكتابة الدرامية في المسرح الجزائري، كلية الآداب واللغات والفنون،
 جامعة جيلاني، سيدي بلعباس ٢٠١٥م،

٢د. واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،
 ص: ٤٦٨.

يصرح الدكتور كمال عبد: " ولقد عمل بريخت من خلال مسرحه السياسي والتعليمي على محاولة فضح الواقع والعمل على تغيره"، \.

وأما الصراع فإنه يعد كعنصر مسرحي عند "علولة" فهو يحاكي بريخت في صراع جدلي بين الإنسان وبين أوضاعه التي توجد في صور شتي خلال القضايا المتناقصة. ولا شك أن الصراع يكون موجودا في كل مجتمع ضد كل أشكال الفساد. وأما علولة فهو لسان مجتمعه في تصوير هذا الصراع خلال مسرحياته، وعلى سبيل المثال يقوم علولة بإبراز مشاكل الطبقة الكادحة في مسرحيته "الخبزة"، فهو يستخدم تعبير لقمة الحياة رمزا في صراعه، والحقيقة أن علولة يسير على طريقة الواقعية الاشتراكية.

ومضيفا إلى ذلك، تأثر عبد القادر علولة ببريخت تأثيرا بالغا بجانب كله، من ناحية الفكر والفن والأسلوب، كما يصرح جميل حمداوي قائلا: "فقد تأثر علولة برتولد بريخت تأثيرا كبيرا من الناحتين الفكرية والفنية، وهذا ناتج عن إيمان علولة بالمبادئ والأفكار التي أمن بها بريخت وهي: الحرية، الاشتراكية، العدالة الاجتماعية،"\
وكتب مسرحيات كثيرة على أسلوبه وطريقته خلال اختيار الموضوعات والشخصيات لمسرحيات، وفي تقويم هياكل المسرحيات، وفي إبراز القضايا المختلفة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، كما يصرح جميل حمداوي " يعد عبد القادر علولة المخرج الجزائري أكثر وفاء لتعاليم بريشت (Brecht) وأكثر تمثيلا لمبادئ المسرح الملحمي والتسجيلي بالجزائر..... وطبق علولة أيضا المنهجية البريختية بكل آلياتها الفنية والجمالية والتقنية، بما فيها نظرية التباعد، والتغريب، والاندماج، وتكسير الجدار الرابع من أجل مساعدة الجمهور على التفكير والنقد، والإدلاء بآرائه بكل

١د كمال عبد، الدراما الاشتراكية وتطورها في مصر، ط، طرابلس ليبيا، ص ٣٦٤.

٢ جميل حمداوي، توظيف التراث الشعبي في المسرح العربي، الطبعة الأول، ط. دار الربف للطبع والنشر الإلكتروني، الناطور المملكة المغربية ٢٠١٩م.ص. ٨٥-٨٦.

صراحة في القضية المسرحية المطروحة أمامهم" أ. فمسرحيات علولة كلها تعتمد على منهج بريخت وفكره السياسي، حتى اعتبرت مسرحياته نموذجا رائعا لمسرحيات بريخت فنا وفكرا. فهم يهتم بالموضوعات التي تعني بالمجتمع الجزائري في إطار فني أخذه من بريخت ففكرته السياسية والفلسفية تتجسم في مسرحية "الأجواد" مثل مسرحياته الأخرى. كما يصرح حمداوي جميل "ويتبين لنا أن مسرح عبد القادر علولة يقوم على تصور نظري بريشتي كلي، تتجلى بكل وضوح، في مجموعة من تصريحاته وحواراته وممارساته المسرحية المتنوعة، والمتعددة والثرية"، أ.

الاشتراكية في مسرحيات علولة

فقد يتضح لنا بعد النظرة المدققة أن الاشتراكية تجري في مسرحيات علولة مع النظام الطبقي دائما، ويقدم من خلال هذه الاشتراكية الفرق بين الفقراء والأغنياء، ويعبر عن الاستغلال الذي كان يوجد في بعض فئات المجتمع، كما يصرح أحمد حمومي "كان علولة يحمل فكرا اشتراكيا ومارس مسرحه بصفته مناضلا يساهم في توعية الجماهير لأن المسالة الأساسية التي فرضت نفسها ضمن الواقع الاجتماعي هي انعدام الديمقراطية بالجزائر فلم يربد من المساهمة في المعاركة التي دخلت فها الجماهير بواسطة مسرح بمجد الكادحين ويشجب السلوكيات المشينة من محسوبية ورشوة ونهب وبيروقراطية"." وكذلك تعد ثلاثية علولة (الأقوال، والأجواد، واللثام) من أهم المسرحيات التي تحتوي على الحقائق الجزائرية الاجتماعية والسياسية. ومسرحية الأقوال نموذج رائع في هذا المجال.

١ حمداوي، جميل، بريشت وتأثيره في المسرح العربي، الطبعة الأولى، دار الريف للطبع والنشر
 الإلكتروني المملكة المغربية ٢٠٢٠م، ص٧٧-٨.

حمداوي، جميل، بريشت وتأثيره في المسرح العربي، الطبعة الأولى، دار الريف للطبع والنشر
 الإلكتروني المملكة المغربية ٢٠٢٠م، ص ٩١.

٣ احمد حمومي التراث الشعبي والمسرح تجربتان من الجزائر مجلة إنسانيات ١٢٠٠٠ ٢٠ ص٢

إن مسرحية "الأقوال" تحتوي على ثلاثة فصول، وهي لا تدور حول قصة واحدة تقليدية مبنية على تتابع الأحداث، بل نجد فيه في معظم الأحيان مبنية على شتى أحداث مستقلة، وتشتمل على الأحوال الاجتماعية والسياسية التي سادت الجزائر بعد الاستقلال من الاستعمار الفرنسي كآلام العمال البسطاء والفلاحين والمثقفين، واشار إلى تدهور القدرة الشرائية عند الموظفين الجزائريين كفساد البيروقراطية والإدارية ورصد علاقة الشعب الجزائري بالسلطة الحاكمة.

وفي الفصل الأول، استغل الكاتب الشخصيات العامة من العمال البسطاء وموظفي الحكومة، أما موظفو الحكومة فقد كانوا يسلبون حقوق العمال مثل سي ناصر مدير الشركة ببيروقراطية عامة، فبيروقراطية عامة كانت ضد مصالح العمال. غير أن هناك طبقة بسيطة التي تقوم ضد البيروقراطية ومنهم قدور السائق، فطريقته في الدفاع، هو العدالة الاجتماعية في إطار الاشتراكية.

وفي الفصل الثاني، قدم الكاتب تصويرا حقيقيا لشخصية غشام خلال حياته المملوءة بالكد والكوارث، ويلوّن أحداثه بألوان تزدهر بالحيوية كما أنه يقوم بإثارة العواطف في حب الوطن والتضامن، وبالإضافة إلى ذلك هو يصور ميل شخصية غشام إلى الاشتراكية التي يقدرها، أنها تهدى إلى العدالة الاجتماعية.

وفي الفصل الثالث، وجدنا أن الكاتب قدم فيها قصة حياة زينوبة منذ كانت مريضة إلى أيامها الأخيرة، والكاتب قدم من خلالها انها كانت مريضة غير أنها كانت تحب وطنها الجزائر، لأنها كانت تزور كل المناطق، وتبكي دائما لأعمال وطنه، وشاركت مع العمال في النضال للوطن ضد استغلال السلطة.

ا أ. فاطمة اكنفر، التأثير البريختي في مسرح عبد القادر علولة، مجلة رؤى فكرية، العدد السادس،
 ٢٠١٧م. ص ٧٣-٧٤.

٢ عبد الحليم بوشراكي، التراث الشعبي والمسرح في الجزائر، كلية الآداب والفنون، جامعة الحاج
 حضر بانتة الجزائر، ٢٠٠١م ص. ١٣٩.

ربما تبين في مسرحية الأقوال إن المؤلف وظف شخصية مختلفة، وهي مستمدة من الحياة الواقعية الجزائرية. فهو يقدم خلالها وعيه السياسي والاجتماعي. فالنظام المستند إنما يستغل الطبقة الكادحة بالبيروقراطية، وأما الطبقة الكادحة فلها تطلعات وهي التي تلعب دورا كبيرا في تنمية البلاد دون أن يحصل على حقوقها الواجبة، فنرى أن سي ناصر مدير الشركة يسلب حقوق العمال، وأما الشخصية قدور فهو رجل عادل متحمس يقوم للدفاع حقوق زملائه كما يحب وطنه ويبذل جهوده في توحيد صفوف العمال الكادحين. وعلى غراره يقوم غشام ضد البيروقراطية فلا يستطيع الظلم والخيانة ويرفع صوته ضد أولئك الذين الأموال بالغش والسرقة والخيانة. وأما الشخصية زينوبة فهي صابرة فلها قلب دافق بالحب والحنان لزملائها وأقربها الذين أصبحوا عرضة لظلم الطبقة الحاكمة.

وإذا نرى مسرحية "الأقوال" من ناحية السياسي فنجد بعض الأحدث التي لها أبعاد سياسية، وقد جاء بها المؤلف بكل صراحة، فالمؤلف يؤمن بالاشتراكية والشخصيات التي وظفها في المسرحية أكثرها من الطبقة الكادحة فهم يعانون بمشاكل كبيرة لاستغلال السلطة فيقاومون هذا الظلم بتوحيد صفوفهم. فالحوارات تهدي إلى أن الشعب يشارك في التنمية الاقتصاد فيجب أن يستفيد بتوزيع خيرات البلاد بينهم بالعدل. فالعدالة الاجتماعية لها نفع عظيم في تطوير المجتمع الاقتصادي والفكري. والحوارات تهدي إلى أن البيروقراطية هي نقطة سياسية مركزية في هذه المسرحية كما تصرح سمعية كعواش: "هذه المسرحية بصوت جهير عن البعد السياسي، الذي تقر بالاشتراكية أي فجميع الأفراد أيضا لديهم الحق في الحكم باتباع نظام الحزب الواحد. وهكذا حدثت في هذه المسرحية عن البعد الاقتصادي بمشاركة كافة الشعب والأفراد وبمشاركة العمال في تنمية، وأنهم يكون المستفيدين بتوزيع خيرات البلاد بعدل على الجميع. كما حدثت أكثرا في حوار هذه المسرحية عن البيروقراطية فهي نقطة سياسية مركزية في مسرحية الأقوال. وهي التي تعد عرقلة كبرى في سبيل التقدم". إن تأثره بالواقعية الاشتراكية جعله يستلهم شخصيات ذوي الفكر الاشتراكي. وحاول معالجة بالواقعية الاشتراكية جعله يستلهم شخصيات ذوي الفكر الاشتراكي. وحاول معالجة بالواقعية الاشتراكي. وحاول معالجة بالواقعية الاشتراكي. وحاول معالجة

القضايا المتنوعة في خلفية هذه الفكرة الاشتراكية. والامر المهم الذي نراه في مسرحياته جميعها هو أنه أتى بالشخصيات بطريقة حسنة ويقدم خلال ذلك الأحداث والوقائع الحقيقية، بحيث يرتبط بها أحداث المسرحية ويشوق بها القراء إلى متابعة القراءة دون كلل وملل. فعنصر التشويق مع الرؤية الاشتراكية عن معرفة أحوال الشخصية الرئيسية والثانوية على السواء من أهم سمات علولة في تقديم الشخصيات. وهذا الشيء لا نجده لدى معاصريه.

وفي هذه المجال خير المثل شخصية "قدور" هي شخصية رئيسية في مسرحية "الأقوال " وهو سائق مخلص في الشركة الوطنية ويدافع عن جميع العمّال الذين يعملون معه وكان قدور يود أن يقف سي ناصر عن سلب حقوق الآخرين، وقد أدى دورا هاما في إصلاح المجتمع وإصلاح العمّال الكادحين خلال حياته الراغدة، كما لعب دورا هاما في الدفع حقوق العمّال الكادحة، والعمال أيضا أصبحوا يقومون لدفع حقوقهم ضد البيروقراطية وضد الحركات الأخرى التي كانت تحرك لسلب حقوقهم.

وقدور يحب زملاءه، وينوي أن يدافع عن حقوق العمال الآخرين، وهو يريد أن يدافع عن الوطن وأرض الجزائر، وهو مخلص إلى أقصى الحد، غير أنه اتهمه سي ناصر بالاختلاس والرشوة والسرقة، وكانت هذه التهمة مبنية على الحسد. لأنه كان بيروقراطيا كبيرا وظل قائما ضد الطبقة الكادحة، ولكن قدور لم يحس أي ضيق في هذا المجال من أعمال زميله وأفكاره ولم يقطع رابطة الصداقة بقلبه. ويتضح هذا الأمر بالوضوح من هذا الاقتباس لبوجملين محمد "تتناول شخصية قدور السواق هذا العامل الذي ظل يزاول نشاطه كسائق عند مدير الشركة المؤسسة منذ خمسة عشر سنة ويدافع عنه لدى العمال إذ اتهموه بالاختلاس والسرقة والتلاعب بحقوق العمال، يفيق قدور السواق من غفوته ويدرك حقيقة مدير المؤسسة سي الناصر ويصحو ضميره فيسرع لتقديم استقالته وينظم إلى فئة العمال يدافع عن حقوقهم وأحلامهم،

ينكشف أمر المدير سي الناصر فيطرد من الشركة بفضل النضال العمالي،". وحاول قدور أن يلفت انظار الناس إلى مزايا الاشتراكية الحسنة فهي ضد الاستعمار وضد البيروقراطيين وآثارهم الوحشية الظالمة، فتوحدت جهود العمال بهذه الحركة الاشتراكية فبذلوا جهودا للحصول على حقوقهم. وأخيرا اعترف جميع الناس مجاهدة قدور الذي أنهض الناس إلى مصلحة البلد وحقوقهم، فقد كان يريد يدافع عن الوطن وأرض الجزائر، كما أنه كان ينوي أن يدافع عن حقوق الجزائريين، وحقوق العمال الآخرين، وكان يرى أن الحل يكمن في الاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

خاتمة

ومن أهم النتائج التي حصلنا على خلال هذه الدراسة والبحث، ونستدل مما قمنا أن الكاتب عبد القادر علولة شكل في مسرحياته صور الأوضاع الاجتماعية والسياسة من منظور الوعي الاشتراكي، وكان من طليعة أولئك الأدباء الذين تملكوا على فن المسرح في الجزائر مكانا عالية. إنه كان متأثرا بالاشتراكية إلى حد كبير. وقد حاول في مسرحياته أن يصور الأوضاع الاجتماعية والسياسية من منظور الوعي الاشتراكي، ويرفع صوته ضد الظلم والطغيان واستعمار الفرنسي وضد البير وقراطية وما إلى ذلك.

المصادروالمراجع

- ١. إسماعيل عز الدين، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة مصر ١٩٧٨م.
 - ٢. بوكروح مخلوف، المسرح والجمهور، مطابع حسناوي، الجزائر٢٠٠٢م.
- ٣. بوكروح مخلوف، مدخل إلى المسرح الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب،
 منشورات الأمل الجزائر ١٩٨٢م

177

١ بوجملن محمد، التجريب في مسرح الجزائري، معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي،
 الجزائر. ٢٠١١م، ص ٣٥.

- بيوض أحمد، المسرح الجزائري نشأته وتطوره، ١٩٢٦-١٩٨٩م، منشورات الطبين الجاحظية ١٩٩٨م.
- ه. جلاوجي عز الدين، النص المسرحي في الأدب الجزائري، الطبعة الأولى. الجزائر ٢٠٠٠م.
 - ٦. حمّاد عبد الله، النقد المسرحي في الجزائر، مكتبة منطقية، الجزائر.
- ٧. حمداوي، جميل، بريشت وتأثيره في المسرح العربي، الطبعة الأولى، دار الريف
 للطبع والنشر الإلكتروني المملكة المغربية ٢٠٢٠م
- ٨. حمداوي جميل، المسرح الجزائري نشأته وتطوره، الطبعة الأولى، ط. دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، ٢٠١٩م.
- ٩. حمداوي جميل، توظيف التراث في المسرح العربي، الطبعة الأولى، ط. دار الريف
 للطبع والنشر، المملكة المغربية، ٢٠١٩م.
- ١٠. حمداوي جميل، صورة المسرح الجزائري في النقد المغربي المعاصر، الطبعة الأولى، ط. مكتبة المثقف بالجزائر ٢٠١٥م.
- ١١. حوحو أحمد رضا، مسرح الفرجة والنضال في الجزائر، دراسة في أعمال رضا حوحو دار هومة الجزائر ٢٠٠٥م.
- ۱۲. خضر سعاد محمد، الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة المصربة، بيروت ١٩٩١م.
- ١٣. د. أحسن، المسرح الجزائري والثورة التحريرية، ط. وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر ٢٠٠٧م.
- 14. د. الاعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.٢٠٠٤م.
- ١٥. د. الراعي على، المسرح في الوطن العربي، الطبعة الثاني ط، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٢م.

الأدب عند الرومنطيقيين العرب

د منصور أمين ك١

الملخص

إن الرومنطيقية حركة فكرية وثورة أدبية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا، ثم انتقلت إلى الآداب العالمية الأخرى من أمثال إنجلترا وإسبانيا وألمانيا وما إلى ذلك. تهتم هذه الحركة الرومنطيقية بمصالح الفرد وتتحدث عن المشاعر والعواطف الفردية، فالتصوير عن حب الطبيعة والتعبير عن هموم الإنسان ومشاعره وعواطفه والتركيز على تصوير الأشجار والأنهار وكل ما تتعلق بالطبيعة من القواعد الأساسية للحركة الرومنطيقية. تحرر هذه الحركة الرومنطيقية من قيود العقل والواقعية وتميل إلى التجديد، وتتصف بالسهولة في التعبير والتفكير وإطلاق النفس على سجيتها والاستجابة لأهوائها. ظهرت في الأدب العربي الحديث بعدة أسباب، ومنها حملة نابليون على أرض مصر، وعلاقة أهل لبنان بالفرنسة، ورحلة الأدباء من لبنان وسوريا إلى أمريكا الجنوبية والشمالية. وأما هذه المقالة فقد تضيء ضوء بسيطا على الخصائص الهامة التي امسك بها الأدباء الرومانتيكيون في الأدب العربي الحديث. الكلمات المفتاحية: خصائص الرومنطيقية الغربية — خصائص الرومنطيقية

التمهيد

قبل أن نعمق إلى هذا البحث لا بد المناقشة عن العلاقة بين الرومنطيقية الغربية والعربية. إن الأدب العربي الحديث قد تأثر كثيرا بالآداب الغربية، وقد فاق تأثرها بأي

العربية – المقارنة بين الرومنطيقية الغربية والعربية – الخاتمة

١ أستاذ المساعد ومشرف البحث، قسم اللغة العربية، كلية يم. بي. يس ممباد (الحكم الذاتي)

أدب وفي أي زمان سبق، وذلك منذ أن أخذ العرب يتصلون بالعالم الغربي.١ واستقر النقاد على الرأى بأن بداية الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث كان باحتكاك العرب مع أوربا، ولكن هذا الاحتكاك الأوربي العربي لم يحرز وفاقا وتساوبا مائة بالمائة، بل بينهما فرق واضح. وببرز هذا الفرق بعد ما نقارن بينهما مقارنة فنية، يقول الدكتور على عباس علوان:" إن مقارنة الانجازات الكبرى للرومنطيقية الأوربية وخطوطها العامة سواء في النظرية الشعرية أم في تجديد بنية القصيدة ونسيجها، أم في هذه الحركة التي أثارتها في تاربخ الفن الإنساني، وما دار حولها من نظربات واستحداثات. وهذه الصورة التي نجدها تختلف كثيرا جدا عن صورة الموجة الرومنطيقية التي شاعت في بعض الأقطار العربية منذ مطلع القرن، ثم اتسعت بسرعة حتى الحرب الكونية الثانية."٢ وقد بقي هذا الاتجاه في الشعر العربي مملوء بسماته العامة من أحزان الشعراء وشكواهم وتمردهم أحيانا، وأشواقهم للطبيعة، وتغيير الأوزان في القصيدة، والحنين إلى أيام الطفولة وبرائها، والحيرة والشك والتردد. هذه الظواهر العاطفية والسمات الشكلية والموضوعية التي نجدها عند شعراء العرب المحدثين لهذه الفترة، قلما اجتمع جميع هذه الصفات في شاعر واحد أو جماعة واحدة ولا شك أن هذه السمات والظواهر تلتقي في خطوطها النوعية العامة بالسمات الأساسية لتلك الرومنطيقية الأوربية، ولكنها تختلف عنها في الدراسة اختلافا كبيرا، وهي درجة عمق هذه الأحاسيس، وتلك العواطف والمنازع والسمات.

والحقيقة أن الرومنطيقية العربية لم تحرز تقدما هائلا من التجديد وأحداث الانعطاف الكبرى في البنية الفكرية والثقافية والفنية على ساحة الشعر العربي. والسبب الرئسي الأول وراء هذا الخلاف بين صورة الرومنطيقية الأوربية، وبين موجة

١ الرائد، لكنو، الهند، العدد :٨، أكتوبر ٢٠١٤، ص-١١.

٢ البعث الإسلامي، مجلة إسلامية شهرية جامعة -المجلد -٤٥، العدد العاشر، جمادي الثانية
 ١٤٢١هجرية، ص -٧٩.

الرومنطيقية العربية، هو الجانب السياسي والاجتماعي اللذان يتمثلان في الاختلاف ما بين نشأة البرجوازية العربية وحركتها ونشاطها. والسبب الثاني هو غياب الفنان العظيم ذي القدرات الهائلة والإمكانات المتعددة. ١ وقد تحمل الرومنطيقية الغربية والعربية سمات وخصائص تتميز بها عن الآخر. ومن خصائص الرومنطيقية الغربية الهامة:

- ١. الاهتمام بالعاطفة وبالأعمال الشعربة.
 - ٢. الاهتمام بالفرد ورغباته.
 - ٣. الميل إلى الشعر الغنائي.
- ٤. مناجاة الطبيعة ومعاملتها أنها كائن حي يشارك الشعراء مشاعرهم.
 - ٥. تتصف بالشكوى والحزن والألم.
 - ٦. يعتمد على الخيال والتصوير في التعبير عن الأفكار.
 - ٧. تحاول الإبداع والتجديد في أسلوب الشعر وأعراضه.
 - ٨. لا تحفل بالقواعد اللغوبة الموروثة، بل تهتم بالتعبير عن المعنى.

وأما من خصائص الرومنطيقية العربية فمنها:

- ١. الخيال المجنح المحلق.
- ٢. تكرار الألفاظ والاهتمام بالتغبير عن المعنى.
- ٣. جعل أحزان الفرد وأحلامه محور الحديث والتركيز عليه.
 - ٤. التفاعل مع الطبيعة.
 - ٥. الانصراف إلى الطبيعة.

181

البعث الإسلامي، مجلة إسلامية شهرية جامعة -المجلد -٤٥، العدد العاشر، جمادي الثانية ١٤٢١هجرية، ص -٨٣.

٦. التعبير عن تجربة ذاتية وعدم تكلف الألفاظ وتصنعها. ١

ومع ذلك كله نجد مشابهات كثيرة بين هاتين النزعتين، ونبحث هنا عن بعض خصائص الرومنطيقية العربية التي نجدها لدى أدباء العرب، ومنها:

الثورة على القديم وأنصاره

يكتشف في يسر في النصوص النظرية التي كتبها الرومنطيقيون العربيون بأنهم ثاروا على ما كان شائعا في أيامهم لإرساء مذهبهم النظري الجديد. وقد كان ميخائيل نعيمة من أبرز الكتاب الرومنطيقيين الذي يعبر عن ذلك منذ سنة ١٩١٣م قبل أن يصبح المنظر الأول لجماعة المهجر فيقول في كتابه 'جبران خليل جبران': " قرأت الرواية كاستفزتني كتابة مقال فها دعوته 'فجر الأمل بعد ليل اليأس' وأرسلت به إلى الفنون' وهو أول مقال نقدي حبرته، فكان فاتحة حياتي الأدبية وقد نددت فيه تنديدا مرا بجمود اللغة العربية في خلال عصور طويلة..."

وقبل تأسيس الرابطة القلمية، هب الكاتب والفيلسوف المهجري أمين الريحاني مطالبا إلى الشعراء بنبذ موضوعات الشعر التقليدي وعدم السير في رقاب الأقدمين من ابتداء القصائد بالبكاء على الأطلال وتذكر الأحبة ممن غادروا الديار. ويقول في إحدى وصاياه: "حرروا صناعتكم من قفا نبك وسائق الأظعان إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم." والعقاد والمازني يقدمان لكتاب الديوان بقولهما: "وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل وقضى أن تحطم كل عقيدة أصناما عبدت قبلها، ولهذا

١ عماد على سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، الطبعة الأولى-١٤٣٠هـ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص - ٢٤٠.

٢ يعني رواية "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران.

٣القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ٩٦.

٤ نادرة جميل سراج، شعراء رابطة القلمية، دار المعارف بمصر، ص-١١٧.

اخترنا أن نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادئ الحديثة ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض."\

وبالجمل تطالب الرومنطيقية بالتحرر من القواعد والتقاليد وتأكد أهمية التلقائية والغنائية، ذلك لأن الرومنطيقية تقدمية تنظر إلى المستقبل ولا تحترم قدسية الأدب القديم لأنها تحترم ذاتية الفرد.

رفض القديم في شكله

يعتقد الرومنطيقيون بأن يرفض شكل الأدب القديم الذي يعانق به القدماء. ولعل أكثر الرومنطيقيين نقمة على أنصار الجمود اللغوي والتقليد البلاغي، وميخائيل نعيمة وهو أحد من المجددين يسخر في "نقيق الضفادع": "في الأدب العربي اليوم فكرتان تتصارعان، فكرة تحصر غاية الأدب في اللغة وفكرة تحصر غاية اللغة في الأدب.. فذوو الفكرة الأولى لا يرون للأدب من قصد إلا أن يكون معرضا لغويا يعرضون فيه على القارئ كل ما وعوه من صرف اللغة ونحوها وبيانها وعروضها وقواعدها". ويتجلى رفض الرومنطيقيين للشكل الأدبي القديم في مستوى وحدة القصيدة الشعرية وعلاقة أبياتها بعضها ببعض. فهم يعيبون على قصائد مقلدي القدامي قائلين بأنها لا تمثل من حيث التركيب بناء فنيا متماسكا تماسكا عضويا، وقد سخر العقاد من التصور التقليدي لهيكل القصيدة بقوله: "ولكنني مكتف بأن أقول إنني كنت اختار موضوعات قصائدي ولست أحسب في اختيارها وصياغتها حسبا للذين يأخذون

ا القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ٩٦.

٢ دعبيس، صعد، الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر من سنة ١٨٥٠-١٩٦٧، المطبعة الوطنية
 – بنغازمي، ص- ٣٩٤.

[&]quot;القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ١٠٧٠.

الشعر بيتا بيتا ثم لا يفرقون بين الأبيات التي توضع في قصيدة واحدة والأبيات التي توضع في قصائد شتى بغير الاتفاق في الوزن والقافية."\

وان أول ما تجدر الإشارة إلى شكل الأدب في مجال الحديث عن نظرية الرومنطيقيين العربيين لمشكلة الصياغة الأدبية، فقد تناولوا بادئ ذي بدء مادة الأدب وهي اللغة، كقول نعيمة في "الغربال": "إن لمفردات اللغة التي نصوغ منها منثوراتنا ومنظوماتنا صفات عجيبة وميزات غرببة، فلكل كلمة معنى أو روح..."، ولكنهم أحسوا بالفرق بين اللغة ذات الوجود القاموسي والكلام الأدبي الذي هو استعمال خاص لها. ولئن ثار الرومنطيقيون العربيون على التصور التقليدي للتعامل مع اللغة، وذلك التصور الذي يقوم على محاكات القدامي على كلامهم وترديد ألفاظهم، وأنهم قدموا البديل لذلك. والبديل فيما يرون إنما هو تطوير اللغة وربط الكلام الأدبي واللغة عامة بالحياة وجعلهما مواكبين لها، على نحو ما أشار جبران إلى ذلك بقوله: "أغني بالشاعر ذلك الزارع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلا عن المحراث الذي ورثه عن أبيه فيجيء بعده من يدعو المحراث الجديد باسم جديد..".٣. وقد جبران يعتقد بأن اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا نامت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وإذا كان أنصار القديم من المقلدين يرون أن الإنشاء الأدبي قيمته في المجاراة القدامي في استعمال غربب اللغة، فإن الرومنطيقيين العربيين قدموا مفهوما جديدا للفصاحة.

رفض القديم في مضمونه

تستمد مضمون الإبداعيات الكلاسيكية من الطبقة في المدينة وحياتهم

١ المرجع السابق، ص- ١٠٨.

٢ نفس المرجع، ص-١٠٨.

[&]quot;القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ١٠٩.

الاجتماعية وتستمد الإبداعيات الرومنطيقية من الفرد ومشاعره من الطبيعة. ١ وإن رفض الرومنطيقيين القديم في شكله لا يقل حدة عن رفضهم لمضمونه، فكثيرا ما ثاروا على المواضيع والأفكار التي كان المقلدون يتخذون منها مادة لأدبهم، وقد اغتنم العقاد مثلا فرصة تقديمه للديوان الثاني الذي أصدره عبد الرحمن شكري للتنديد بالمضامين القديمة فقال: "ليس للشعر التقليدي فائدة قط وقل أن يتجاوز أثره القرطاس الذي يكتب فيه أو المنبر الذي يلقي عليه "٢ ويتردد صدى الثورة على المضامين التقليدية بصفة مباشرة أو غير مباشرة عند كافة الرومنطيقيين العربيين. وعند الرومنطيقيين رؤية خاصة في مضمون الأدب، يقول عبد الرحمن شكري: "فينبغي للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه من العواطف والمعاني الشعرية وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته، وينبغي له أن يعود نفسه على البحث في كل عاطفة من عواطف قلبه وكل دافع من دوافع نفسه، لأن قلب الشاعر مرآة الكون، فيه يبصر كل عاطفة جلية وشريفة، وفاضلة أو قبيحة مرذولة وضيعة "٣

ومن آراء الرومنطيقيين تصوير الظواهر الاجتماعية، على نحو ما أثبته العقاد في تقديمه الجزء الثاني من ديوان صديقه شكري إذ قال: "فالشعر لا تنحصر مزيته في الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخاطر ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات، ولكنه يعين الأمة أيضا في حياتها المادية والسياسية، وإن لم ترد فيه كلمة من الاقتصاد والاجتماع. فإنما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهر من مظاهر الشعور

۱ الخطيب، عماد علي سليم، في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص- ٢٤١.

٢ القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ٩٩.

[&]quot;القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ١٠٤.

النفساني، ولن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم الخارجي". ١ ومع ذلك فالأمانة العلمية تقتضي بأن نعترف بوجود بعض النصوص التي دعا فها الرومنطيقيون العربيون صراحة إلى أن يكون الأدب معبرا عما يدور في المجتمع وعما يعجد فيه. وميخائيل نعيمة يقول مثلا في " الغربال": "لكننا نعتقد في الوقت نفسه بأن الشاعر لا يجب أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توجه إليه نفسه سواء كان لخير العالم أو لويله. لذاك يقال إن الشاعر ابن زمانه وذاك صحيح في أكثر الأحوال إن لم يكن في كلها. "٢. نستخلص من كل ذلك أن مضمون الأدب في النظرية الرومنطيقية يتصف أولا بالإنسانية، لأنه يهتم بالنفس البشرية ويسير أغوارها وبغوص فها باعتبارها واحدة على امتداد العصور وتباعد الأمكنة.

الدعوة إلى التجديد

رفض الرومانتيكيون العربيون نظرية الأدب التقليدية، ويقترحون التجديد حلا بديلا، وقد جاء التعبير عن ضرورة التجديد في كتابات الرومنطيقيين مصاحبا لثورتهم على القديم التقليدي وعلى أنصاره. يقول الشابي متحدثا عن الأدب العربي في عصره: "والحق أنه قد أصبح من العسير جدا على الأديب العربي المعاصر أن يعصم نفسه من التأثر بالروح الأجنبية، فهو لا بد أن يتأثر بهذا الروح ولو تأثرا لا شعوريا. "٣. على هذا النحو اكتشف الرومنطيقيون العربيون بأن الطريق الفاضل إلى التجديد ينبغي أن توصلهم إلى آداب الحضارات الأجنبية وإلى فكرها وفنها ويدعون إلى ذلك صراحة وجهرا. يقول ميخائيل نعيمة في "الغربال" في عنوان " فلنترجم " أحسن مثال على دعوة الرومنطيقيين إلى ضرورة الانفتاح على الآداب الأجنبية، فيقول: "نحن في دور من رقينا الرومنطيقيين إلى ضرورة الانفتاح على الآداب الأجنبية، فيقول: "نحن في دور من رقينا

١ المرجع السابق، ص- ١٠٥.

٢ نفس المرجع، ص- ١٠٦.

٣القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها، التوصية للطباعة وفنون، ص- ١٠٠٠.

الأدبي والاجتماعي تنبهت فيه حاجات روحية كثيرة لم نكن نشعر بها من قبل احتكاكنا الحديث بالغرب، وليس عندنا من الأقلام والأدمغة ما يفي بسد هذه الحاجات، فلنترجم." (وهكذا يحث الرومنطيقيون إلى تجديد الأدب واكتشفوا الطريق إلى ذلك التجديد فانعكس كل ذلك على تصورهم ماهية الأدب وشكله ومضمونه ووظيفته.

خاتمة

فقد يظهر لنا من هذه الدراسة أن وظيفة الأدب هي تصوير لخلجات النفس ومشاعرها وتعبير عن تطلعاتها وعواطفها. فالرومانتيكيون يعتقدون بأن وظيفة الأديب هي أنه يعبر عما في خلجاته ويكتشف ما في عوالم نفسه. فإذا كان الأدب تساؤلا عن حقيقة الموجودات فإن مهمة الأديب هي في الإبانة عن الصلات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره وقد عبر الشاعر أبو القاسم الشابي عن ذلك في إحدى رسائله قائلا: "إن الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغي لغير ذلك الصوت القوي العميق الداوية في أعماق قلبه – أما إذا أصغى إلى الناس وما يقولون وسار في هذه الدنيا بأقدامهم. فقد كفر بالفن وخان رسالة الحياة". وبالجملة يمكن لنا القول إن الأدب عند الكلاسيكيين محاكات الآداب القديمة والاهتمام بالملاحم والبطولات والاعتماد على العقل بدلا من العاطفة والخيال الكثير، بينما ينظر الرومنطيقيون إلى الأدب بأنه خلق وإبداع ووسيلة لتحسين المشاعر والأفكار، وبحث عن الجمال. فالكلاسيكيون يعطون العقل والمنطق أهمية كبيرة وقيمة أساسية في تخليق الأدب وفي تحسينه، بينما يعطون الرومنطيقيون العواطف والأحاسيس دورا مهما في تخليق الأدب، كما كانوا

١ المرجع السابق، ص- ١٠١.

القرقوري، فؤاد، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها،
 التوصية للطباعة وفنون، ص- ١١٤.

يركزون العناية البالغة على الطبيعة بدلا من العقل والمنطق'.

المصادروالمراجع

- القرقوري، فؤاد: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فها.
- ١٠ الخطيب عماد علي سليم: في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- ٣٠ صعد عبيس: الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر من سنة ١٨٥٠ ١٩٦٧.
 - ٤٠ نادرة جميل سراج، شعراء رابطة القلمية، دار المعارف بمصر.
- الخطيب عماد على سليم: في الأدب الحديث ونقده، الطبعة الأولى-١٤٣٠هـ،
 دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،
 - البعث الإسلامي، مجلة إسلامية شهرية جامعة -المجلد -٤٥، العدد العاشر، جمادى الثانية ١٤٢١هجرية.
 - ٧٠ الرائد، لكناؤ، الهند، العدد :٨، أكتوبر ٢٠١٤.

مجلة الدراسات العربية

_

۱ الخطيب، عماد علي سليم، في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص- ۲٤١.

Re-view Committee:

Prof. M. N. Khan

* Prof. Ayub Tajuddin

Prof. Syed Kafeel Ahmad Oasmi

❖ Prof. Syed Jahangir

Prof. Habibullah Khan

Prof. Rizwanur Rahman

Department of Arabic

University of Delhi

mnkhan04@rediffmail.com

Department of Arabic

JMI · New Delhi

ayubnadwi@rediffmail.com

Department of Arabic AMU Aligarah feelaasmi@amail.com

<u>kafeelqasmi@gmail.com</u>

Department of Arabic· EFLU· Hyderabad alhirafortnightly@gmail.com

> Department of Arabic JMI · New Delhi

habibkhan2863@gmail.com Centre of Arabic & African Studies

JNU: New Delhi rrahmanjnu@gmail.com

Advisory Board:

Prof. Ab. Majid Qazi

Pz. Basheer Ahmed

Prof. Abdul Rehman wani

Prof. Syed Rashid Naseem

Dr. Shamas Kamal Anjum

Department of Arabic

JMI: New Delhi

drabdulmajidqazi@gmail.com

Department of Arabic University of Kashmir

pz.bahmad@yahoo.com

Department of Arabic University of Kashmir

Department of Arabic EFLU: Hyderabad <u>srnaseem@yahoo.com</u> Department of Arabic BGSB University: Rajouri arabicbgsbu@gmail.com

ISSN: 2231-1912

MAJALLAH AL-DIRASAT AL-ARABIA

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

An Annual Research Journal of Arabic Language & Literature Peer-Revied Journal (online and Offline)

No. : 19

Dec.: 2022

Chief Editor

Prof. Salahuddin Tak

Editor

Dr. Tariq Ahmad Ahanger

Editorial Board

Prof. Manzoor Ahmad Khan Prof. Shad Husain



Post Graduate Department of Arabic

UNIVERSITY OF KASHMIR · SRINAGAR – 190006 (NAAC ACCREDITED A+)

Telephone: 0194-2272330 · 2272331 - Ext. 2330 · 2331 E-mail: hodarabic@kashmiruniversity.ac.in